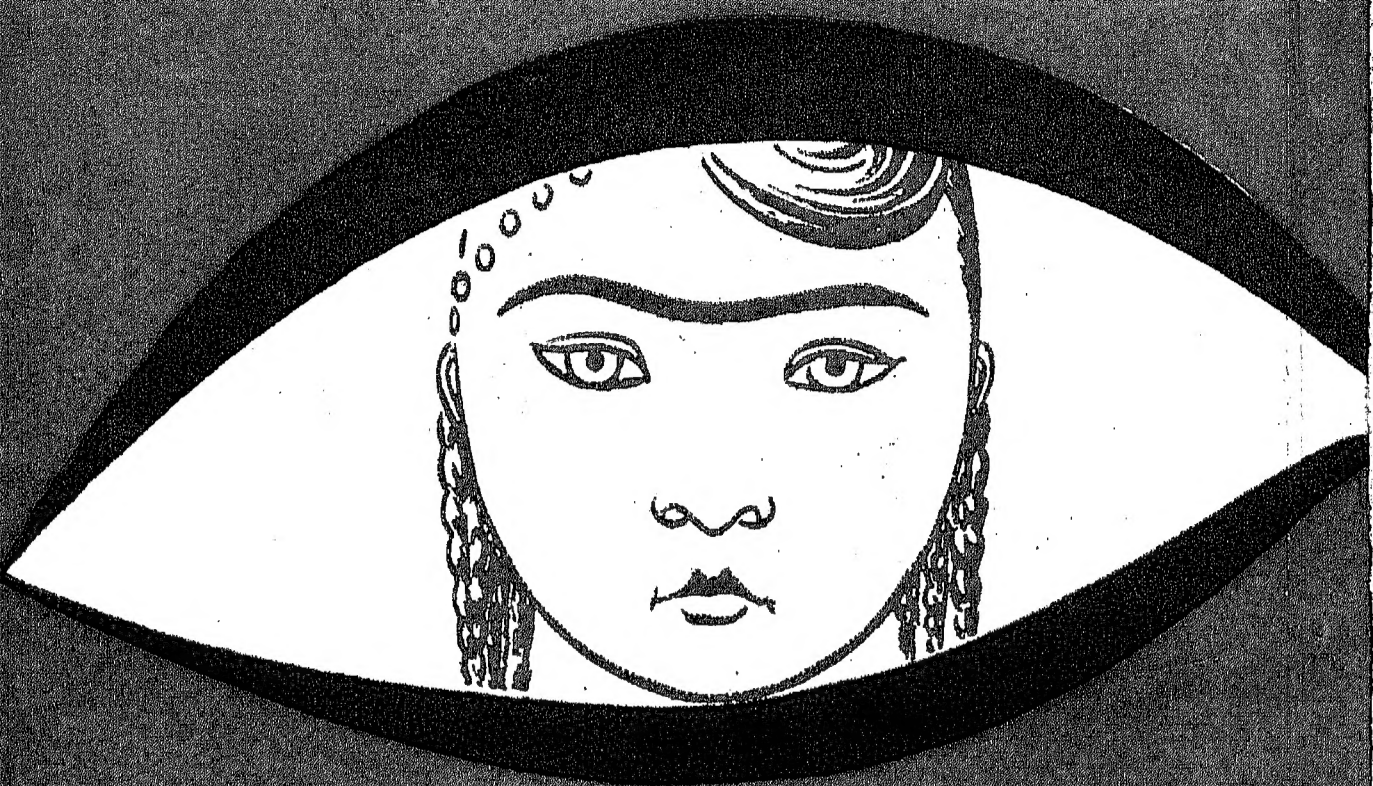
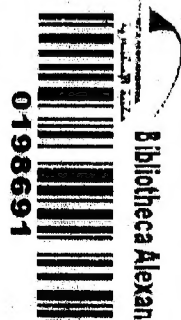


معجزة في آسيا الوسطى



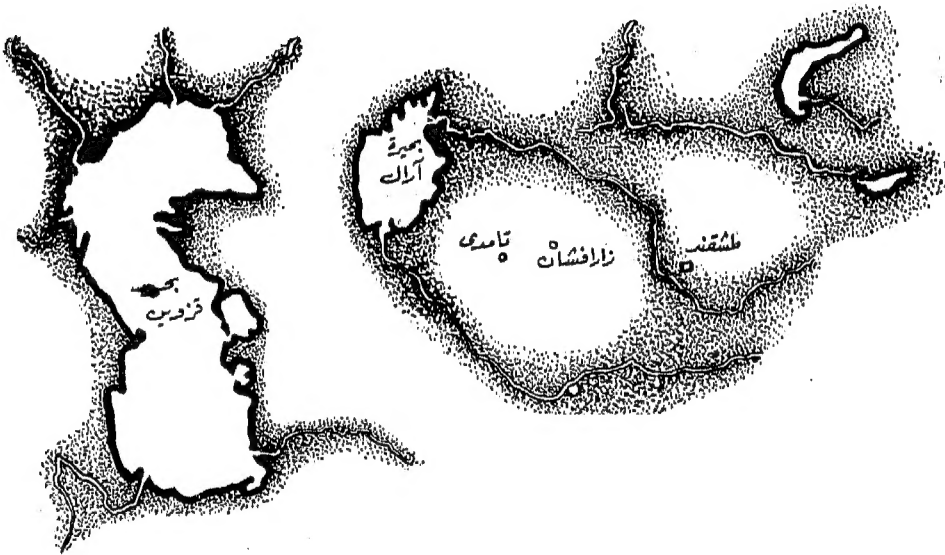
Di



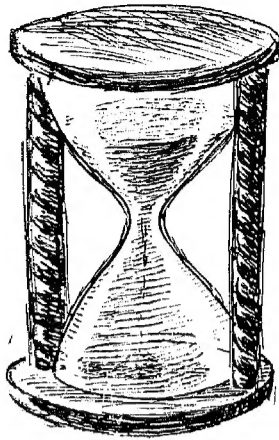
Bibliotheca Alexandrina



معجزة في آسيا الوسطى



لقد شاهدت المعجزة بعيني رأسي خلال أسابيع
ثلاثة أمضيتها في طشقند وفي بخارى وسمرقند بجمهورية
اوزبكستان السوفيتية . ومن أجل أن يشاركني القراء
الأعضاء في الالمام بهذه المعجزة رأيت أن نبدأ بالتعرف
على القصة من أولها .. قصة الانسان في
« اوزبكستان » وكيف كان شكل الحياة عليها قبل
خمسین سنة مضت .



شيء من التاريخ

قامت الدولة الخوارزمية على انقاض حكم سلاجقة ايران والعراق ، الا انه لم يكن يربطها بالدولة العباسية سوى الخطبة للخليفة العباسي وكان اول من استقل بحكمها « علاء الدين خوارزم شاه » (١١٩٩ - ١٢١٩) بعد ان تغلب على مجموعة من الترك الوثنيين كانت بينها وبين المسلمين أحداث وقد تمكن من هزيمة السلطان السلجوقي في ١١٤١ م وسيطر على بلاد ماوراء النهر حتى تمت الهزيمة أخيراً على يد « علاء الدين » ، الذي امتدت مملكته من حدود العراق الى تركستان فشملت بلاد (غزنة وسجستان وكرمان وطبرستان وجرجان وبلاد الجبل بما فيها اصفهان والدي وبعض اراض من الهند ، ثم تجاوز شمالاً الى ماوراء النهر - جيحون - حيث بخارى وسمرقند . وقد ذكر عنه « ابن الاثير » في « الكامل » :

(لم يملك بعد السلجوقية أحد مثل ملكه .)

كما جاء في كتاب « مفرج الكروب في أخبار بنى أيوب » :

(ان جيش علاء الدين بلغ ٤٠٠ ألف محارب .)

الا ان « علاء الدين » هذا وقع في خطأ مميت ، عندما جاءت الى بلاده رسل موفدة من زعيم المغول « جنكيزخان » ، فأخذه الغرور بقوته وبأسه ، مع دافع من الطمع أيضاً ، فأمر واليه في « اوترار » بقتل هؤلاء الرسل ومصادرة الأموال التي يحملونها . وكأنما أحس بخطئه ، فأراد أن يتعرف على رد الفعل عند المغول ، فبعث ببعض جواسيسه الى هناك سرا . ويذكر « ابن الاثير » ذلك :

(وعادوا بعد مدة طويلة واخبروه بكثرة عددهم وانهم يخرجون عن

الاحصاء ، وانهم من اصبر خلق الله على القتال ، لا يعرفون الهزيمة ، وانهم يعملون ما يحتاجون اليه من السلاح بأيديهم .
 ويعقب « ابن الاثير » على ما حدث بعد ذلك :
 (فندم خوارزم شاه على قتل اصحابهم واخذ اموالهم . وحصل عنده فكر زائد .)

ولا حاجة بنا الى الدخول في التفصيلات ، سوى أن جحافل المغول بقيادة « جنكيز خان » ذاته اجتاحت البلاد ودمرت كل ما صادفته وفتكت بالناس فتكا ذريعا ومبيدا بغير رحمة وذلك في ١٢١٩ ميلادية .
 ومنذ ذلك الزمن البعيد ، وحتى القرن التاسع عشر ، كانت هذه البقعة من آسيا الوسطى مجالا مباحا ومفتوحا لكر الغزاة وفرهم بعد أن أصبحت مطمعا لامراء الأقاليم المجاورة ، ولهذا كانت تسمى « تفاحة النزاع » ، وانعكس هذا على ظروف الحياة بحيث جعلها تمكث طويلا في دائرة التخلف والتأخر ، في الوقت الذي كانت بلدان أوروبا الغربية تسير بخطا واسعة في طريق النهضة الصناعية بعد اكتشاف البخار وامتداد النشاط التجاري والعلمي بين ربوع العالم .

وكان آخر المطاف أن وقعت « أوزبكستان » مع سائر دويلات آسيا الوسطى في قبضة الحكم القيصري الروسي ، وأطلق عليها اسم « تركستان » .
ومنذ ذلك الحين تبدأ مرحلة جديدة في حياة الانسان هناك .

حقيقة لم تعد هناك حروب بالصورة الوحشية السابقة ، ولكن أصبحت هذه البلاد وقد تسلط فوق رؤوسها ما هو أشد هولاً . فقد أصبحت « تركستان » مجرد مستعمرة لقيصرة روسيا ، وكان يحكم باسم القيصرية حفنة من اغنياء البلاد وكبار الملاك العقاريين والاقطاعيين وطبقة البايات ، وكان المنهج الدائم لهذا النوع من نظم الحكم ، هو العمل على ابقاء هذه البلاد في أدنى درجات التخلف والفقر والجهالة وانعدام كافة الحقوق لعامة الشعب .

لهذا ، لم يكن غريبا أن تنتشر الأوبئة والأمراض المعدية وتحصد ارواح عشرات الألوف من البشر .

فالنظام الاستعماري القيصري لم يظهر أقل اهتمام بتطوير الحياة في تركستان . فلا تعليم يذكر ولا ثقافة على الإطلاق لعامة الشعب ، وفي نفس الوقت ظلت وسائل الزراعة على حالها البدائي ، وكذلك الصناعة وكافة الخدمات وفي مقدمتها الصحة . . كلها كانت بنودا مستبعدة من برامج وخطط الحكم القيصري المستبد ، الا بندا واحدا كان يحظى بكل الاهتمام ، هو منابعة الدعم لسياسة السيطرة الادارية عن طريق زيادة قسوات الجيش والامن . . ولا غير .

والغريب حقا ، أن هذه الحسابات القيصرية جاءت بنتائج معاكسة للعرض الموضوع لها .

هذا النظام الاجتماعى الفادح والذى يحمل الطابع العدوانى للقومية الروسية القيصرية ، أثار واستفز فى جماهير آسيا الوسطى روح المقاومة ، وأيقظ لديها أهمية وضرورة الالتحام بالحركة الثورية الناهضة فى روسيا والتي كان الحزب الشيوعى يقودها .

وجاء فبراير ١٩١٧ لتندلع نيران ثورة مبكرة أطاحت بالحكم الاستبدادى المطلق وانتهت الإدارة الاستعمارية للجنرالات والحكام العاميين لروسيا القيصرية فى « تركستان » . فبدأت تتأسس هناك مجالس العمال والجنود ، التى ظهرت متأثرة بنفس اتجاهها مجالس الكادحين المسلمين أيضا .

ولكن الحكومة البورجوازية المؤقتة فى روسيا التى كان يرأسها « كيرنسكى » ، كانت عن طريق لجنتها فى تركستان تحاول عرقلة الاتجاه النامى نحو الثورة الاشتراكية ، واستخدمت كل الوسائل للحيلولة دون بقاء التحالف الذى قام بين الكادحين من القوميات المختلفة والمتعددة وبين الطبقة العاملة والفلاحين الروس .

وفى ٢٧ أكتوبر ١٩١٧ وصل الى آسيا الوسطى نبأ انتصار الانتفاضة المسلحة فى « بتروجراد » التى يطلق عليها الآن اسم لينينجراد . وفى اليوم التالى ثار عمال وجنود « طشقند » على مضطهديهم ، وبعد خمسة أيام من المعارك الطاحنة تمكنت الجماهير العاملة فى تركستان بمعاونة من الطبقة العاملة الروسية وباشتراكها الفعال من الإطاحة بسلطة المستغلين المستبدين ، وأصبحت السلطة فى يد قوى الثورة الوليدة .

فى نوفمبر ١٩١٨ أعلن المؤتمر الثالث لمجالس تركستان قيام السلطة السوفيتية فى جميع أنحاء البلاد وحدد الحكم مجلس لفوضى الشعب . وقد اشتركت القوميات المتعددة وبشكل مباشر فى تأسيس الأجهزة السوفيتية بالمدن والقرى .

وفى ١٩١٨ تأسست جمهورية تركستان الاشتراكية السوفيتية ذات الحكم الذاتى ، ضمن جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفيتية . وفى ١٩٢٠ نجحت الثورات الشعبية فى الإطاحة بأمير « بخارى » وخان « خيوا » .

وفى ١٩٢٣ تأسست جمهورية خوارزم الشعبية السوفيتية .

وفى ١٩٢٤ تأسست جمهورية بخارى الشعبية السوفيتية .

وبهذا أصبحت فى آسيا الوسطى ثلاث جمهوريات اشتراكية سوفيتية .

وكان سكان تركستان يتألفون من الأوزبيك والكازاخ والطاجيك والتركمان والقوغييز . كما كانت بخارى تضم الأوزبيك والطاجيك والتركمان والقاراقالباق . فكان القومية الواحدة مشطورة الى شطرين يفصل بينهما حدود افتعلها في الماضي حكم القياصرة المستبد . ولهذا ظهرت الحاجة الى تعديل هذه الحدود على أسس اثنوغرافية وعلمية لتجميع الشمل المتناثر لكل قومية قدر الامكان .

ذلك ان إحدى الميزات التي اكتسبتها شعوب المستعمرات القيصرية فور انتصار ثورة أكتوبر كانت هي تحريرها النهائي من أى سيطرة أجنبية ، فقد أطلقت الثورة الاشتراكية الأولى سراح كل الامم والشعوب التي كانت القيصرية تستعمرها ، سواء في آسيا أو في أوروبا ، مثل بولندا . حيث



أصبح الارتباط بالاتحاد السوفييتي ارتباطا اختياريا لا ارغام فيه . ومن هنا ظهرت المتطلبات العاجلة لشعوب آسيا الوسطى التي كانت غارقة في

المنازعات فيما بينها وكان لابد من اتخاذ موقف صحيح ودقيق للغاية من حاجات ومتطلبات السكان المحليين ، مع الأخذ في الاعتبار بكافة خصائصهم القومية وظروف حياتهم ومعيشتهم ، استنادا الى أن الإهتمام الأكبر بمصالح مختلف الأمم هو الذى يزيل أساس المنازعات ، لأنه يستبدل بفقدان الثقة المتبادل بينها التضامن والتعاون لا سيما بين العمال والفلاحين الذين يتحدثون بلغات مختلفة أيضا .

هذا المنهج من التفكير هو الذى بادر « لينين » بطرحه في حينه واعتباره توجيها سياسيا يجب الالتزام به ، واتبعه بحيثيات منطقية وعملية مجربة في نفس الوقت :

أن هذا التراث المتخلف عن عهود القيصرية لا يمكن أن يتبدد من تلقاء نفسه ، حتى مع توفر الرغبة الشديدة ، فإنه لا يمكن القضاء على هذا التراث في لحظة وبجرة قلم . بل يلزم بذل الكثير من الوقت والصبر والسير على سياسة صحيحة في المسألة القومية .

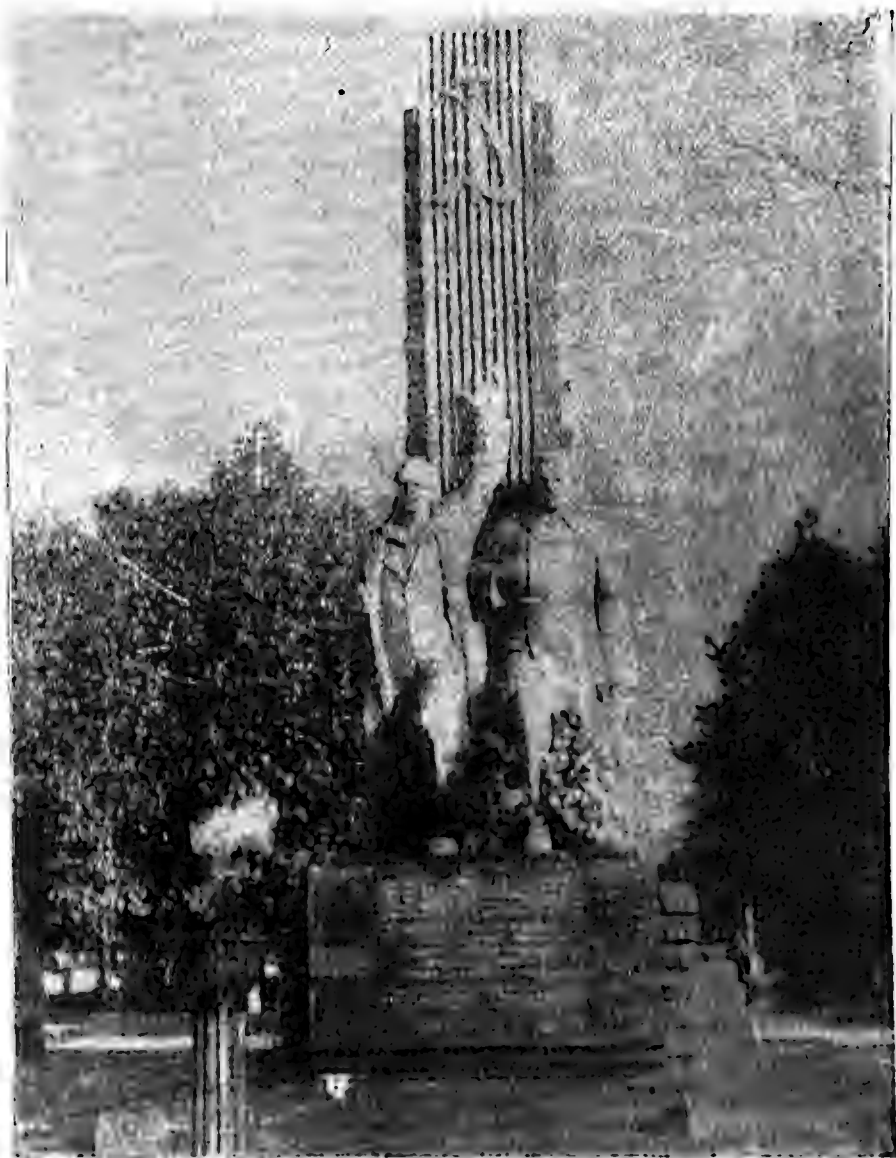
وتبعاً لهذا ، كانت من المهام الأساسية إعادة تربية الجماهير بروح الأممية بدلا من روح التعصب الأعمى للقوميات الصغيرة والعديدة ، مع التوصل الى المساواة الفعلية بين شعوب البلاد والعمل على استئصال الخلافات القومية وإزالة النزاعات وانعدام الثقة . وقد اعتبرت هذه القضية امتحانا لقدرة النظام السوفييتى على الانتقال بشعوب المنطقة من حالة التخلف إلى القطع الأعمى الى عصر الاشتراكية دون المرور في المرحلة الرأسمالية ، وهذا لا يتم الا باجتذاب الجماهير الواسعة من الشغيلة للمشاركة في ادارة شؤون الدولة .

ولكن ، هل وصلت الأوضاع الى هذا التطور بغير ثمن ؟

بالطبع لا . فالقوى المعادية للثورة موجودة ولم تترك عملا يمكن أن تؤديه لضرب هذه الثورة الا وقامت به . فقد وجدت هذه القوى المحلية انصارا لها من الخارج ، حيث كانت الامبريالية في إنجلترا وفرنسا وأمريكا تبحث عن نقط الضعف في هذا البنيان الثورى الوليد لتنفيذ مخططاتها وضرب الثورة في مركزها .

ومن أجل هذا دفعت القوى المحلية الرجعية لشق الحملات الحربية في أكثر من مكان في وقت واحد . ووصل الوضع الى أن هذه القوى اثارت حروبا حقيقية في الشمال وفي الشرق وفي الجنوب وفي الغرب أيضا ، وقد عرفت بحرب التدخل واستمرت طيلة ثلاث سنوات ، حدث ماحدث فيها من خراب وازهاق للأرواح العديدة ، ودمرت المصانع والمشروعات العمرانية

— النصب التذكاري لشهداء الحرب الأهلية في ميدان محطة موسكو.



التي كانت قائمة ، بل ووصل الامر الى القيام بتسميم الآبار والماشية . هذا على نطاق الاتحاد السوفييتي كله .

اما على الصعيد المحلي بآسيا الوسطى ، فقد تكونت العصابات الرجعية والتي اطلق عليها اسم « الباسماتش » وقامت هذه العصابات باغتيال القادة الشيوعيين وزعماء العمال وطلّاع الفلاحين . وقد اعدمت في

« طشقند » مجموعة من المفوضين الأوزبكيين بلغ عددهم خمسة عشر مفوضا تم حرقهم في الحال بدون أدنى شفقة أو رحمة .

لكن هذه الحرب الأهلية لم تنته كما كان يرسم الاستعمار والرجعية واندحر في النهاية « الباسماتش » .

وفي ١٩٢٤ كانت الظروف قد تهيأت تماما لتأسيس الجمهوريات القومية السوفييتية .

وفي ٢٧ أكتوبر تأسست جمهورية أوزبكستان الاشتراكية السوفييتية .

هذا الموجز التاريخي لم أعرف منه الكثير من قبل ، فقد وصلت الى موسكو أولا ومنهنا كان على أن أواصل الطيران حتى طشقند في نفس اليوم ، ولهذا لم تكن لدى فسحة كافية من الوقت لأتابع بعض القراءات عن البلاد التي سأراها بعد ساعات . ولعل هذا هو الذي أوجد في نفسي شعورا غير واضح شأن المقدم على مغامرة من نوع خاص ، ونحن في طريقنا داخل مبنى المطار ، وكان نفس الشعور هو الذي ثار في نفسي بعد أن اتخذت مكانا في الطائرة وتركت مقعدي يميل الى الورا زيادة في الاسترخاء واستعدادا للنوم . وفي تلك الأثناء أخذت أقرب من نافذة الطائرة طوابير المسافرين المتناثرة على أرض المطار وكأنها خيوط تتعرض في أشكال تجريدية بحثة وكل خط منها ينتهي عند سلم إحدى الطائرات .

ولكن هذا المنظر لم يغير كثيرا من الشعور القلق الذي لازمني منذ قليل . ورغم أني لا ادعى لنفسى الشجاعة - وبخاصة ازاء الموت - فاني كنت واثقا من أن السبب في حالة القلق لا ترتبط بالخوف من الطيران ، فقد سبق لي هذه التجربة عدة مرات ، واقتنعت بأن لا داعي للخوف من شيء قبل وقوعه ، حتى لا يموت المرء مرات عديدة قبل أن يموت حقا . وأخيرا - وبعد أن بدأت محركات الطائرة تصدر دويها - تبينت لي العلة وعرفت السبب ، وكم كان بسيطا .

يبدو أني حاولت بدون ارادة أن أستجمع ما قرأته عن أوزبكستان ، ولكني لم أوفق نظرا لحالة الإلحاح التي سيطرت على وأنا على وشك الانتقال الى أرض جديدة . وقد فتشت داخل ذاكرتي الواعية فلم أعثر الا على بضع أسماء لا تفيد كثيرا مما احتاج . . طشقند . . سمرقند . . بخارى . . خوارزم . . تيمورلنك ، ولا شيء آخر .

انها في شكلها لا تزيد عن كلمات مجردة ، ولكنها في نفس الوقت كانت معروضة في مخيلتي وكأنها مندفعة ومتلفعة بفلالات من الجو الأسطوري . وما ان وصلت الى هذه النتيجة حتى غلبني النوم .

وعندما فتحت عيني كانت أشعة الشمس تخترق نوافذ الطائرة ، فاخذني العجب . ترى هل مضى علينا في الجو أكثر من سبع ساعات ، فقد

« بوريس » مصاحبى القوقازى
فى الرحلة إلى آسيا الوسطى



غادرنا موسكو بعد منتصف الليل بكل تأكيد ، وهل نمت هذا الوقت الطويل
نوما متصلا ؟

وأدرت رأسى نحو « بوريس » - وهو مصاحبى القوقازى فى الرحلة -
لأسأله عن الوقت الذى نحن فيه ، فابتسم وهو صامت لا يجيب للحظات ،
وكانه قد أدرك ما يدور فى خلدى ، وقال بلفظة فصيحى ركيكة :

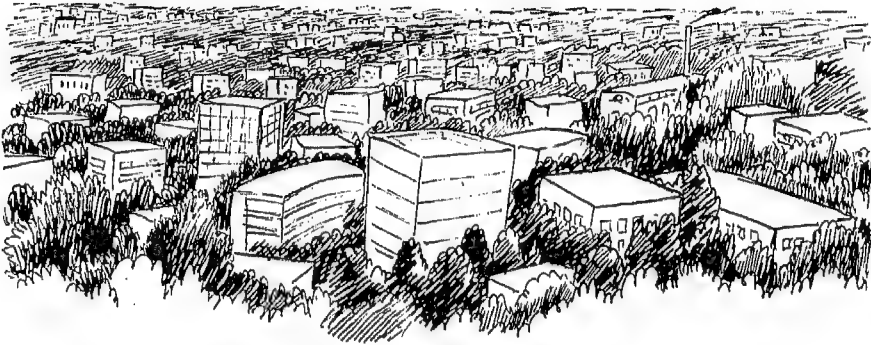
- اسمع ياستاذ . نحن نظير نحو الشرق . وهذا معناه أننا نظير فى
الاتجاه الذى تأتى منه الشمس ، أى أننا نستعجل الشروق كلما توغلنا
فى هذا الاتجاه . ونحن الآن داخل أجواء أوزبكستان ونقترب من عاصمتها
« طشقند » حيث يجب أن نرجع عقارب ساعاتنا الى الوراء ثلاث ساعات
كاملة ، هى فرق الوقت بينها وبين توقيت موسكو .

وراجعت هذه العملية الحسابية فى ذهنى ثم انتهيت الى نتيجة ، هى
أننا فى هذه الرحلة قد سرقنا من الزمن ثلاث ساعات . وابتسمت لشقاوة
هذا الخاطر ورحت اطل من النافذة لأرى الهضاب والصحارى والجبال
ومساحات غير منتظمة الأشكال من الخضرة تغطى مساحات كبيرة من
سطح الارض . ثم بدأت تظهر مساحات مزروعة لها أشكال هندسية أكثر
انتظاما . وانطلق المدياع ينقل لنا إعلان الضيفة باقتربنا من هدفنا وتطلب
منا ربط الأحزمة استعدادا للهبوط فى مطار « طشقند » ، لم تلبث الطائرة
بعد ذلك أن دلفت على أرض المطار ثم توقفت .

وبعد أن فتح باب الطائرة رأيت ثلاثة أنواع من الملابس القومية القديمة
الطراز بالعمائم والقفاطين والسراويل والأحزمة الجلدية والأحذية التى تغطى
الساق من الجلد الاسود الطرى . وما كاد المسافرون ينزلون على السلم حتى

تقدموا من أحدهم وأرتفعت تحياتهم « السلام عليكم » وتبادلوا الأحضان ، واستغرقت بضع لحظات في تأمل ، وكأن المنظر الذي أراه الآن بشعرتى وكأنى لازلت فى مصر لم أغادرها بعد .

وبعد الاجراءات الادارية المتبعة فى المطار ركبنا سيارة كانت أمام أبواب المطار وانطلقت بنا ، ثم لم تلبث أن صعدت طريقا علويا يتفرع الى ثلاثة طرق . وانتهزت هذه الفرصة لالقى نظرة اكثر قربا على الدنيا التى



نحن متجهون اليها ، فشاهدت أمواجا كثيفة من الخضرة كأنها بلا نهاية ، ومن بعيد كانت تطل من بينها أطراف مبان واسطح عمارات كأنها غرقى فى هذا البحر من الأشجار .

وعندما دخلت السيارة فى شوارع « طشقند » لاحظت أن المباني كلها تبدو كما لو كانت حديثة جدا ، ليس من ناحية الطراز فقط ، ولكنها كانت تبدو وكأن عمال البناء والبياض قد فرغوا لتوهم من تشطيب العمل بها . وأينما أدت بصرى التقي بالخضرة ، حول العمارات الكبيرة ، وفى أركان الحياة هناك تُولف الحداثق عنصرا أساسيا ، وحتى شرفات المساكن رأيت النباتات المتسلقة تنسج عليها كالستائر . فالشمس وحرارة الطقس فى هذه المنطقة تفرضان على الناس اللجوء الى الظل ما أمكن ذلك وطالما توجد مساحة للزرع .

ولقد قطعت السيارة بالفعل عددا كبيرا من الكيلو مترات داخل شوارع طشقند جعلتنى أعجز عن تحديد مساحتها ، وأينما سرت كانت المباني والعمارات السكنية ودور المؤسسات تبدو بنفس الهيئة الناصعة النظيفة الجملة بالزهور والخضرة . ولم أعر على مبان قديمة الا فى مكانين أو ثلاثة على ما أذكر ، وقد تبين لى أنها بعض مسا بقى قائما بعد أن شدم الزلزال طشقند سنة ١٩٦٦ .



أخيرا ، وصلنا الى فندق « طشقند » الذي نزلت فيه مدة اقامتى بالعاصمة ، وهو من المباني القديمة التى صمدت للكثرة .

وكانت اجراءات حجز الغرف قد استغرقت وقتا أطول من المعتاد ، لانه كان من المتعذر ايجاد غرفة واحدة لنا نحن الاثنين ، انا ومصاحبى « بوريس » . فالضغط السياحى على اشده نظرا لكثرة الوفود السياحية من مختلف انحاء العالم ، وكان نصيب الأمريكيين كبيرا بينها . لهذا فقد تركته يباشر مهمته بينما أخذت أتجول فى أرجاء الطابق الأرضى الذى كنا فيه ، لأرى مكاتب عدة للخدمات من بريد وتلغراف وتليفون ، كما وجدت ركنا أقيمت له حواجز يجلس فيها خبير فى اصلاح الساعات . وشد انتباهى القسم المخصص لبيع الهدايا من الانتاج الأوزبىكى . وكانت المعروضات به أنواعا جميلة ورائعة الذوق من المنسوجات الحريرية والطواقى المزركشة بكل الألوان الزاهية التى يتخصص فيها الانتاج القومى باعتبارها زيا شعبيا ، الى جانب أدوات الشداى المصنوعة بتصميمات بديعة من الصينى الملون والمزركش . وغير ذلك العديد من الأشياء التى يعتنى السياح بشرائها ، مثل معملات المفاتيح وحافظات النقود والايقونات والخواتم . الخ .

وبعد أن رتبنا ملابسنا وحاجياتنا فى دواليب الغرفة واخذنا حماما دافئا ، تجدد نشاطنا فجأة ، فجلسنا نستعرض البرنامج الذى سوف نبدأ تنفيذه من الغد . وقد كانت هناك - بالطبع - خطوط رئيسية لجدول الرحلة ، ولكن بقى أن نرقبها حسب الامكانيات والظروف ، فهذه الفترة فترة اجازات ، فضلا عن اهمية ترتيب مواعيدها بتوقيت ملائم .

وكانما تذكر « بوريس » فجأة شيئاً قد فاتته ، اذ أنه انتصب من غير تمهيد لذلك واتجه نحو التليفون وبعد كلمات قليلة عاد وهو يقول :
 - لابد وأن ننتظر المرافق الأوزبكي ، فأنا لا أعرف هذه اللغة .
 وقد عرفت فيما بعد ، أن أوزبكستان تضم أربع عشرة قومية لكل منها لغتها الخاصة وأن من بينها سبع لغات تتم الدراسة بها في آن واحد بالمدارس والمعاهد العليا وبالجامعتين .



• ناريمان حسنوف

كنت في الغرفة وحيدا عندما سمعت طرقا على الباب وعندما فتح الباب رأيت شابا قصير القامة صغير الجسم يدخل وتسبقه ابتسامة مشرقة وهو يمد يده نحوي ويقول :
 - السلام عليكم .

وسمعت لغة عربية أقرب الى تلك التي نتعامل بها في مصر . لقد كانت لهجته - وقد تأكد لي بعدئذ - تكاد تكون عامية مصرية . وكان « بوريس » يتبعه وهو يميل برأسه الى الأمام كأنه يستعد للمقاطعة مع ابتسامة تحمل معنى المكر الطيب ، فقدمه الى ونفس الابتسامة عالقة على شفتيه كأنه نسيها :
 - ناريمان حسنوف .

وحاولت أن أخفي ابتسامة مفاجئة عندما سمعت اسم « ناريمان » يطلق على مذكر . الا أنه - أي ناريمان - لم يترك لي فرصة ، لأنه قال وقد أخذت ابتسامته تزداد اتساعا لتشرق من ورائها أسنان ناصعة البياض :

— هذا الاسم كثيرا ما عرضني للداعبة زملائي عندما كنا نقوم بزيارتنا العدد من البلاد العربية . ولكن أكثر هذه المداعبات تأثيرا ، كانت عندما خرجنا من جناح الملك السابق « فاروق » بسرأي المنتزه بالاسكندرية ، ثم دخلنا جناح الملكة السابقة ، صاح الدليل بأن هذا جناح « ناريمان » . وبدلا من أن ينصرف الجميع الى مشاهدة الجناح ومحتوياته ، تركزت أنظارهم نحوي ، ثم انفجروا في الضحك . وعندما رجعت الى بيتي — هنا في طشقند — وسمعت زوجتي بما حدث ، أخذت هي الأخرى تضحك ، واتضح أنها تضحك لسبب آخر ، هو أن هناك من الشعوب ما يقصر هذه التسمية على الجنس اللطيف . ذلك أن مصدر هذه التسمية من ايران حيث تطلق على الجنسين بدون تخصيص لأحدهما .

وعندما واصل « ناريمان » حديثه عن العادات والتقاليد المشتركة بين اوزبكستان وايران من جانب ، وبين تركيا من جانب آخر بما في ذلك اللغة ، أدركت أن ناريمان ليس مجرد مترجم ، وهذا ما اتضح بعد ذلك ، بل هو مستشرق — مع أنه لم يتجاوز العقد الثالث من عمره — وأنه مولع بالمعارف المختلفة عن الشعوب العربية ، كما عرفت أيضا أن حركة الاستشراق متسعة في جميع بلدان آسيا الوسطى ، وأن السبب في ذلك يرجع الى أن الدراسة والتعليم في المنطقة كانا من قبل الثورة يتمان باللغتين العربية والفارسية وحدهما . وهذا يفسر وجود حرف (القاف) في الحروف الهجائية الاوزبكية .

كما عرفت عنه أنه أمضى ثلاث سنوات في اليمن وزار مصر عدة مرات وكذلك سوريا ، وأنه الآن مهتم باعداد دراسة علمية سيقدمها للمناقشة والحصول على اجازة علمية عليها وموضوعها عن مناهج التربية والتعليم في البلاد العربية .

والى جانب هذا فهو أب .

وقد تم الاتفاق في هذا اللقاء على المقابلات الممكنة — نظرا لموسم الاجازات — مع عدد من المسؤولين في الحكومة وفي الحزب والمعاهد والنقابات والهيئات الدينية والمزارع الجماعية ، وجميعها تغطي كافة الجوانب المهمة في اعطاء صورة عن مدى التطور الذي تم انجازه وتحقيقه . وسوف استعرض هذه اللقاءات ، لا بالترتيب الزمني الذي تمت فيه ، ولكن تبعا لترتيب آخر يبدأ بالموضوع الأكثر تأثيرا عن باقي الموضوعات ، وهو الموضوع السياسي ونظام الحكم ومميزاته وخصائصه .

مع الرفيق تيشابايف



تقوم في الميدان الجديد المسمى ميدان « لينين » ثلاثة مباني . أحد هذه المباني - وهو أقدمها عمرا - دخل التاريخ الحديث ، بعد أن عقد فيه مؤتمر السلام بين الهند وباكستان اثر الصدام العسكري الذي وقع بين الدولتين والذي انتهى الى توقيع معاهدة الصلح بينهما . وهو المؤتمر الذي ما كاد الرئيس الهندي الراحل « شاستري » ينتهي من توقيعه ، حتى توفى بأزمة قلبية مفاجئة .

والمبنى الثانى ، وهو شاهق الارتفاع ويصل الى ٢٢ طابقا ، فهو المقر الجديد لمجلس الوزراء الأوزبكي وهو من الطراز المعماري الحديث جدا .

والمبنى الثالث - وهو أول بند في برنامج اللقاءات مع المسؤولين - وهو أيضا من الطراز المعماري الحديث ، هو مقر المجلس الأعلى للجمهورية .

وعلى المدخل الزجاجي استقبلنا الضابط المكلف بالحراسة ، وأشار لنا الى المصعد المؤدى الى حيث موعدنا وكذلك رقم باب الغرفة .

وبعد أن تم التعارف بيننا وبين المسئول وزميله ، جلسنا أمام مائدة اجتماع صفت عليها أواني الفاكهة والحلوى وبعض زجاجات المياه المعدنية وعلب السجائر . وتأملت مضيفي الطويل القامة بغير اسراف بوجهه المفرد الأسمر الذي تغلب عليه الملامح الآسيوية وأنفه العربى وفكيه البارزين .

وتكفى بضع نظرات نحوه لكى يدرك المرء ثقل المسؤولية التى يحملها على كاهله هذا المسئول - بل - ويستطيع المرء أن يقرأ على ملامحه بكل

الوضوح ، كم كانت طويلة تلك المسيرة التي قطعتها « أوزبكستان » لكي تنتقل من حالة التخلف الى الوضع المنتعش المزدهر الآن .

وقد وجهت أسئلتى اليه قصيرة ومحددة حول شكل النظام القائم ومشكلاته .

وقد أفاض في اجابته بما يغطى المساحة المطلوبة داعما أقواله بعدد من الاصطلاحات والبيانات مرتبة وفق المراحل المتتالية مع عرض مشكلات كل مرحلة في حينها . وقد رأيت أن أعيد عرض حديثه بترتيب يناسب إضافة المعلومات المكملة لأجزاء الموضوع والتي أستقيتها من مصادر وإطلاعات أخرى حصلت عليها في نفس الرحلة ، وبخاصة ما يتصل منها بالحقائق عن الوضع ابان الحكم القيصري الاستعماري .



• مستعمرة قصيرة

ان الحالية مستعمرة خلال الحكم القيصري بكل ما متعمره (من بشاعة وقسوة ، الى الحد الذي كادت تعتبر أثناءه - منزويا في جانب الدنيا بعيدا عن اشعاعات النهضة الصناعية والعلمية التي بدأت تفيض بالنور والتقدم على رقعة أوروبا الغربية كلها . ولم يكن اهتمام القيصر ومن يمثل السلطة في آسيا الوسطى - وهم أغنياء المنطقة وموظفو الحكومة الكبار - سوى وضع اليد على خيرات البلاد بصورة منتظمة وبجشع متزايد دون أن يتركوا للجماهير المرهقة الا ما يكفي لسد الحاجة ، دون أدنى تفكير في تطوير الأوضاع لتحسين الانتاج ذاته . لقد كان هذا النظام قائما على أساس أن يأخذ ولا يعطي . ولم يتركز اهتمام القيصرية الا بدعم أجهزة القمع من بوليس وجيش ، كما لم يكن لها من سياسة غير البطش بحريات الناس فليس للشعب أى حقوق على الإطلاق . هكذا كان الوضع في أوزبكستان أيام كانت جزءا من تركستان تحت السيطرة القيصرية المستبدة .

اما اليوم ، فهي شئ آخر تماما .

فاليوم وبقوة حكم الدستور تغيرت السلطة تغيرا جذريا . ولكي ندرك في يد من تكون السلطة الحاكمة بالفعل ، فلنستعرض كيفية بنائها من القاعدة الى القمة .

ونبدأ بأدنى المستويات ، وهى اللجان المحلية ، وتقوم فى المزارع الجماعية (الكولخوزات والسوفخوزات) وفى المصانع والمعامل والنقابات والمؤسسات العلمية والثقافية والتجارية .. الى آخر ذلك . هذه اللجان تنتخب بطريقة الاقتراع السرى لكل مواطن وصل سنه الى الثامنة عشرة ، كما ان له حق الترشيح لها . ولا يمنع من هذا الحق - الانتخاب والترشيح - اى اختلاف فى الجنس أو القومية أو العقيدة الدينية أو المستوى الاجتماعى والثقافى . وانما يحرم منه فقط المجانين والمجرمون .

ويطبق فى أوزبكستان قانون يعطى حق الانتخاب لأى مواطن سوفييتى من الجمهوريات الأربع عشرة الأخرى فى الاتحاد السوفيتى بشرط تواجده داخل أوزبكستان يوم الانتخاب ولو كان هذا التواجد بحكم الصدفة أو كان عابرا غير مقيم . ويدل هذا النص القانونى على مدى الترابط القائم بين جمهورية أوزبكستان وبين الاتحاد السوفيتى الأم ، كما يعبر عن الشعور بالوفاء وعرفان الجميل للمساعدات الأخوية التى قدمت إليها من سائر الجمهوريات الأخرى منذ قيام الثورة الاشتراكية عام ١٩١٧ حتى أمكنها أن تقف على قدميها . لهذا ، فان عملية الانتخاب تعبر بأقصى درجات الصدق عن ارادة الجماهير الواسعة ، وباعتبار هذا الانتخاب تكليفا أكثر منه تكريما . فالصفة النيابية ليست وظيفة فى حد ذاتها أو احترافا ولا تبيع للنائب ان يترك عمله الأساسى الذى تخصص فيه ضمن واجبات فروع الانتاج الاقتصادى أو الصناعى أو الزراعى أو غيرها . بل ان هذا الانتخاب يفرض على النائب مزيدا من الحرص على مواصلة الاجتهاد للتفوق فى تخصصه كشرط للاحتفاظ بصفته النيابية .

ونتيجة مباشرة لهذه الوضع فان كل نائب - من خلال وضعه العلمى - يستمد القدرة على اصدار الأحكام الواقعية من القرارات المطروحة للنقاش ، لأنه كجزء من قوى الانتاج أقدر على ادراك المطالب الحيوية التى يحتاجها الوسط المنتج الذى يعمل فيه .

ثم ان كل نائب ملزم بتقديم كشف حساب الى ناخبيه عن تقدم عمله فى اللجنة المحلية بواقع مرتين كل سنة على الأقل ليطمئن الناخبون على سير الحياة . وفى هذا دليل على مشاركة الناخبين الفعلية التى من خلالها يتابعون حركة النظام .

ومن حق جماهير الناخبين أن يسحبوا التفويض من نائبهم ، ولكن بضوابط تكفل عدم استخدام هذا الحق بطريقة ظالمة أو مخربة أو معولة لسير العمل وتطوره . وتبدأ هذه الاجراءات بعقد مؤتمر خاص يضم الناخبين ثم يطرح موضوع وسبب المطالبة بسحب التفويض . واذا كان النائب المطلوب سحب التفويض منه فى مستوى أعلى كان يمثل دائرة كبيرة - منطقة مثلا - فانه تتم عقد عدة اجتماعات فى أماكن متفرقة ومتعددة بحسب حجم ومستوى

العضوية ، وذلك في زمن واحد . وهذا المؤتمر تتم الدعوة له حسب جدول كل مستوى في الكولخوز أو المصنع أو الحى ، ولكل مواعيد ثابتة ومنظمة للاجتماعات . ثم ترسل نسخة من القرار الى النائب المعنى ونسخة أخرى الى مجلس السوفييت الذى يحول القرار الى لجنة شؤون الأعضاء بالمستوى واللجنة الشايعين لهما النائب المقصود . وهذه اللجنة تجتمع لتراجع الخطوات التى اتبعت فى صدور القرار من ناحية مطابقته للقواعد القانونية الثابتة والسائدة . وبعد ذلك تقرر موعد تنفيذه وتؤلف لهذا لجنة من نفس المنطقة .

ومع هذا فللنائب المقصود ، الحق فى الدفاع عن نفسه امام لجنة شؤون الأعضاء ، وعلى صفحات الجرائد والمجلات ، ثم بعد ذلك ، يتم بطريقة علنية اصدار القرار الأخير ، باتباع رأى الأغلبية المطلقة (نصف الأعضاء زائد عضو واحد على الأقل) .

ثم يحدد المجلس المحلى موعد انتخاب البديل . هذا هو المستوى القاعدى . ثم تتدرج المستويات الى المستوى الأعلى ، وهو اللجنة العليا لعموم الجمهورية ، مروراً بلجان الأحياء والقرى والمدن ، ثم المناطق ثم المحافظات .

والمجلس الأعلى يتم انتخابه بالطريق المباشر ، بواقع نائب لكل ٢٥ ألفاً من السكان . وقد انتخب آخر مجلس أعلى - وهو الحالى - فى يونيه ١٩٧١ وتستمر مدته أربع سنوات . ويتألف من ٤٥٠ نائباً من بينهم ٥١ امرأة . كما أن من بين كل ثلاث نواب شاباً (يقل عمره عن ٣٠ سنة) وحق الانتخاب لهذا المجلس لكل من وصل الثامنة عشرة من العمر . أماحق الترشيح فيلزم أن يكون سن المرشح لا يقل عن الواحد وعشرين عاماً ، نظراً لضرورة توافر الحد الأدنى من التجربة والخبرة فى وضع القوانين ومتطلبات التخطيط . وهذا المجلس يقدم تقريره مرة واحدة فى السنة متضمناً المنجزات والبرامج الفعلية . ويعقد دورتين كل سنة ، حيث يتم عرض كافة الموضوعات واتخاذ القرارات بشأنها . أما الأمور التى تظهر بين هذه الدورات ، فيتولى البت فيها رئاسة المجلس الأعلى التى تقدم فى أول دورة انعقاد للمجلس ما اتخذ بشأنها لبدء رأى وتأكيد القرار أو تعديله . وكل دورة للمجلس يكون لها رئيس ونائبان وسكرتيران للرئاسة وثلاثة عشر عضواً برئاسة ، وهو ما يعرف باسم « مجلس الرئاسة » ويجتمع مرة كل شهر على الأقل .

وفى دورات الرئاسة ، يبدأ بانتخاب اللجان الدائمة النوعية كالصناعة والزراعية . وهى ١٦ لجنة تضم ٣٠٤ من النواب ، وهى تراقب وتتابع تنفيذ قرارات المجلس الأعلى وتطلع على تقارير الوزراء وإدارات المؤسسات حول سير العمل بها . كما تقدم التوصيات التى تراها ، وتتولى تقرير حصر المواضيع المقترحة للمناقشة فى جدول أعمال الدورات القادمة للمجلس .

وفي أول دورة للمجلس الأعلى ، يتم تكوين الحكومة الجديدة ، بانتخاب رئيس للوزراء الذى يتقدم باقتراح أسماء الوزراء الذين يرشحهم ، وبعد مناقشة المجلس لاقتراحه يتم اتخاذ القرار بالموافقة أو بالتعديل أو بالرفض ، ورئيس الوزراء هو المسئول التنفيذى والمسئول أيضا عن توزيع القرارات أثناء سير عمليات التنفيذ ، وله الحق فى تصويب وتحسين أى قرار فى اتجاه القانون . والمجلس الأعلى هو صاحب الحق فى تكوين المحكمة العليا .

وإذا تأملنا التكوين الإجمالى للجان المحلية نجد أنها تضم ٨٦٤٤١ نائبا نصفهم من النساء ، وأن نسبة النواب غير الأعضاء بالحزب الشيوعى ٥٤ ٪ وأن نسبة العمال الصناعيين والكولخوزيين ٦٨ ٪ ويسود بينهم الاحترام والتقدير الكاملان للعمال البارزين والقادة المعروفين والموظفين المجتهدين .

وتكتمل الصورة بالتعرف على حقوق النائب .

فبالإضافة الى حقه فى استخدام كافة المواصلات فى منطقته بالمجان ، فإن له الحق فى الدخول الى أى مؤسسة رسمية بدون اعتراض من أى أحد ، وله أن يطرح أمام الادارات المرتبطة بالعمل فى منطقته كافة الموضوعات التى يرى مناقشتها لتحقيق مصالح جماهيرية أو عامة . وعلى أى موظف، كبير أن يستقبله فى أى وقت يحضر ، كما يتحتم على المسئولين الاداريين العمل على حل المسائل المطروحة فى أقرب وقت ممكن . كما أن فى حدود اختصاص النائب أن يشترك فى حل المسائل التى طرحها ، كما أن له الحق فى أخذ أى معلومات ترتبط بدائرة اختصاص المجلس المحلى من وثائق وبيانات ، ولذلك ، فإن هؤلاء النواب ينشطون فى حل مشكلات تظهر فور ظهورها .

من هنا يحق للمرء أن يقتنع بأن السلطة صادرة من الشعب وأن الشعب لديه كل الفرص للمشاركة فى تقرير مصيره ، وذلك فى زمن قصير لا يتجاوز نصف القرن بعد أن كان فى هاوية التخلف . هذه هي صورة من ملامح المعجزة .

وما كاد الحديث ينتهى ، حتى بدأت روح الضيافة تفرض علينا بعضا من التقاليد السائدة ، وبدأ الحديث يتشعب الى جوانب متعددة ، حتى خطر ببالي أن اتعرف على رأى مرافقى فى الظاهرة التى تلازم وسائل الدعاية الامبريالية بتناولها لوضع الدين فى الاتحاد السوفيتى بين حين وآخر . وقد أثار هذا الخاطر عندى ما قرأته فى إحدى الصحف العربية أثناء انتظارى فى مطار بيروت وأنا فى طريقى الى موسكو - فى صيغة الخبر عن تعرض بعض المسئولين فى إحدى الجمهوريات السوفيتية للمؤاخاة بدعوى تهاونهم وسماحهم بزيادة عدد المواطنين السوفيت الذين اعتنقوا الاسلام أخيرا . وبمجرد أن عبرت عما يجول فى خاطرى ، وبدأ « ناريمان » فى الترجمة حتى غمرنى احساس بأنى قد تسرعت بعض الشيء ، وتوهمت أن

سؤالى هذا قد يسبب بعضا من الاحراج ، الا انه لم يكن هناك سبيل لتدارك الامر . فالكلمة مثل طلقة المدفع أحيانا ، ما تكاد تفادى الفوهة حتى يصبح من المستحيل إيقافها واعادتها وما كان أمامى سوى الانتظار . فانتظرت .

وكان الرفيق قد انتهى من ارتشاف القطرات الباقية فى كوب المياه المعدنية ، فوضعه أمامه برفق ثم التفت نحوى وهو ينشر على كل ملامح وجهه ابتسامة مطمئنة ، ونطق عددا من الجمل القصيرة ، وكان يتوقف بعد كل جملة ليتمكن « ناريمان » من الترجمة على مهل ، بعد أن بدا عليه بعض الاجهاد للسرعة التى كان الحديث يدور بها من قبل . ونظرا الى أن هذا الموضوع ذاته قد جرى طرقة فى أكثر من مناسبة بالإضافة الى ما حصلت عليه من اطلاعات أخرى ، فأنى أجمل مضمون الراى بالجمع بين كل ما يأتى :

أن السلطة السوفيتية لا شأن لها على الإطلاق بالاعتقاد الدينى . . أى اعتقاد دينى ، ولاى شخص الحق فى اعتناق ما يشاء من المعتقدات ، كما أنه الحق فى الايعتق . ولكن هكذا دابت (العبقریات) التى تخطط للدعاية الامبريالية - ليس الآن فحسب - بل ومنذ الثورة الاشتراكية ، أى منذ عام ١٩١٧ ، وكأنها لم يعد أمامها ما يمكن الحديث عنه فى حملاتها ضد النظام الاشتراكى السوفيتى سوى هذا النوع الرخيص من التضييل للراى العام العالمى . ولكن هذه (العبقریات) قد أظهرت قدرا من الغباء لا يمكن لاحد اخفاؤه . فلأيام تمر ، ومع الزمن كان لا بد وأن تفتضح هذه الدعايات المسمومة ، وينكشف أن الهدف من ورائها لا يتجاوز العمل على تشكيك جماهير الشعوب ذات العقائد المختلفة فى موقف النظام الاشتراكى السوفيتى من حرية العقيدة . وفى نفس الوقت تؤدى هذه الحملات دور قنابل الدخان التى تخفى بها الجيوش تحركاتها . ودليل الغباء الذى تتمتع به هذه (العبقریات) يثبت يوما بعد يوم ، سواء من المواقف الفعلية التى يتخذها الاتحاد السوفيتى على نطاق العالم كله ، أو بما يلزمه كل من اتبعت له فرصة زيارة المجتمع السوفيتى والمعاينة الذاتية والتأكد من أن الدولة السوفيتية لا تتدخل فى حرية العقيدة أيا كانت . والعجيب حقا أن النظم الامبريالية تتورط يوما بعد يوم بالأفعال - لا بالأقوال - وينكشف أنها لا تقيم اعتبارا لاي عقيدة أو جنس أو قومية بقدر ما تقيم اعتبارها واهتمامها بكل حرص على مصالحها الاستغلالية على حساب كافة الشعوب بما فيها شعوبها هى . وهذا كله لم يعد سرا اليوم . فليس فى الدنيا من لم يسمع عن دورها فى الإبقاء على سياسة التفرقة والتمييز العنصرى ، وشواهد ذلك فى افريقيا بل وفى أمريكا ذاتها . ويكفى أن نأمل دور الامبريالية فى خلق وتآزيم مشكلة الشرق الأوسط هنا تتعزى هذه السياسة تماما حتى ورقة الشين

التي قد تخفى عورتها . إنها قضية خاسرة حتما ؛ اذا ما قارنا بين الأقوال والأفعال .

ومما يؤكد سوء نية هذه الدعاية ، أنها تتجاهل تجاهلا تاما كل الانجازات الضخمة التي أمكن للسلطة الاشتراكية السوفيتية أن تحققها على أرض أوزبكستان . ويكفى أن نضرب مثلا واحدا من الامثلة التي سمعتها .

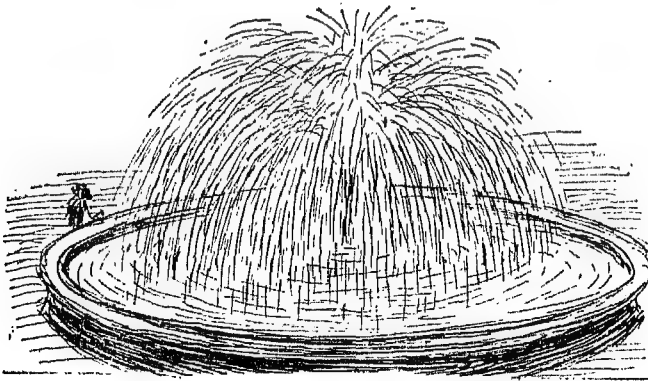
في بداية القرن الحالي ، قال الخبراء الغربيون أن محو الأمية يحتاج الى أربع وستمائة سنة كاملة . وجاءت الايام بالثورة وبعلان الجمهورية الاشتراكية الأوزبكية في ١٩٢٤ ، ولم تات سنة ١٩٤٠ حتى كانت الأمية قد امحيت من كل الجمهورية نهائيا .

وعندما وقفنا نتصافح مودعين قال الرفيق :

أن ترى مرة خير من أن تسمع مائة مرة .

وغادرت المبنى وأنا مشدود لما سمعته عن مكافحة الأمية هنا ، وحتى أجد راحة البال طلبت من « بوريس وناريمان » أن يدخلوا تعديلا على البرنامج بقاء مسئول التربية والتعليم في أقرب فرصة . وما رجعنا الى الفندق حتى جلس الاثنان وكانهما في مباراة شطرنج حامية ودارت مناقشات وتعددت بينهما الاشارات وهما في نفس الوقت يطالعان بعض الأوراق التي فيها البرنامج ، وسواء كان الوقت الذي بدلاه في ذلك طويلا أو قصيرا ، فاني كنت قد تركتهما وخرجت لبعض الوقت ، وعندما رجعت وجدت « ناريمان » يتحدث بالتليفون . وبعد أن انتهى من حديثه قال وكأنه القائد الفاتح الظافر :

— باكر . . في الثانية عشرة ونصف ظهرا ، في مبنى الوزارة .



مع الرفيق مؤثوف إبراهيم



بعد أن وصلنا الى ميدان لينين وكنا مبكرين عن موعدنا ثلاثين دقيقة ، كان علينا أن ننقها في التنزه فاقتربنا من النافورة العجيبة المقامة حديثا على امتداد يزيد عن المائة متر . وهى مصممة على خط مستقيم تنتظم عليه عشرات من فوهات المياه التى تندفع الى أعلى بقوة تدفعها لحوالى عشرة أمتار وهى فى مجموعها تنسج من الماء حصيرة رائعة المنظر ، وتتساقط مياهها فى حوض كبير أمامها . وهذه النافورة التى تستحق لقب « جدار الماء » على حافة مصطبة من الأرض بالمنسوب الذى انشئ عليه الميدان بمبانيه الثلاثة .

وإذا اراد أحد من الناس أن يحصل على صورة فوتوغرافية تذكارية له أمام هذا المنظر ، فإنه يجد واحدا من المصورين يتخذ مكانه تحت ظل شجرة فى مكان قريب من النافورة . ويظهر أن هذا المصور يمتلك نسناسا صغيرا ، لأنه ظل يحاول انزال النسناس من فوق الأغصان ، ولكنه لم يستمع لنداءات صاحبه ، بينما تجمع عدد من الناس - يرقبون ما يدور بفرح واستمتاع ، وبخاصة عندما تحول الموقف الى مطاردة وجرى على المسافة من النافورة الى آخرها . وفيها حدثت مراوغات مثيرة للضحك

كان النسناس يجيد تنفيذها ، حتى تعاون الناس على محاصرته ، فاستسلم أخيرا في حوض المصور الذي عاد به الى مكانه . وقد استغرقت هذه العملية وقتا كافيا وبعدها اتجهنا على الفور الى مدخل بناية الوزارة ، فوجدنا عشرات الموظفين والموظفين يخرجون جماعات من باب المبنى ، وهم يتحدثون عن زلزال وقع من لحظات واستمر خمس دقائق وانه كان مؤثرا في الأدوار العليا حيث كانت الحجرات تتأرجح بشدة مما أصاب الناس بالذعر فنزلوا مهرولين . ورأيت ناريما يتحمس في الادلاء باستنتاج يستحق الاعتبار ، اذ قال :

— لا بد أن النسناس شعر بالزلزال — كما هو معروف عن بعض الحيوانات — لهذا كان يهرب من صاحبه .

وتقدم منا شاب ، عرفنا أنه موفد لاستقبالنا ، حيث صعدنا معه الدرج الى الدور الثالث ، حيث موعدنا المقرر مع نائب وزير المعارف . وكان الرفيق « مؤمنوف ابراهيم » أراد أن ننقل من تأثير حادث الزلزال بأسرع ما يمكن ، فذكر لنا أن هذا المبنى تم تشييده على أسس وتصميمات مدروسة ومجربة بنجاح بحيث تقاوم الزلازل . فهو عبارة عن هيكل واحد من الحديد المترابط هندسيا بما يكسبه قدرا كافيا من المرونة والتماسك يمنعانه من الانهيار والسقوط .



على حافة النافذة الضخمة في ميدان لينين قبل الزلزال إلى لقاء نائب وزير المعارف

وطرحت السؤال الذي كنت في شوق الى معرفة الاجابة عليه حول

كيفية القضاء على الامية ؟

لقد استفدنا من التجربة السابقة ، بتنظيم سرعة الحديث والترجمة بما يسمح لى بتدوين الأرقام والأحصاءات فى الوقت الذى يكون فيه ناريمان يستمع الى الفقرة التالية من الحديث . ورغم أن هذه العملية تمت بقدر كاف من التمهّل ، الا انى وجدت المحصلة الأخيرة تحتوى على سديد من البيانات والأرقام والتواريخ الى الحد الذى اخشى معه أن تصبح مربكة عسيرة الهضم . لهذا ، رأيت أن أعيد ترتيب صياغتها من جديد ، بما يسمح لى باضافة المعلومات الأخرى التى عرفتھا من مصادر مختلفة حتى يكون العرض وافيا ، وبخاصة أن هذه التجربة الناجحة فى القضاء على الأمية بجمهورية أوزبكستان تعتبر مثالا رائعا ورائدا فى هذا المجال وهو ما يمكن أن يصبح معينا تستفيد منه شعوب أخرى فى القضاء على الأمية عندها .

• وايضا لنبدأ من الماضى •

• سرقة الأعمى

على الرغم من أن تاريخ الشعب الأوزبكي كغيره من شعوب آسيا الوسطى يحمل عراقا ثبتت فى التاريخ ، فقد شاءت الظروف أن يتوقف تطوره ويتعطل اجيالاً طويلة متوالية . ويكفى أن نستعرض بعض أسماء الذين ظهرت عبقرياتهم العلمية والفكرية وساهموا فى التقدم الانسانى ، وما زالوا يحفظون حتى الآن بتقدير العلم فى أرجاء العالم .

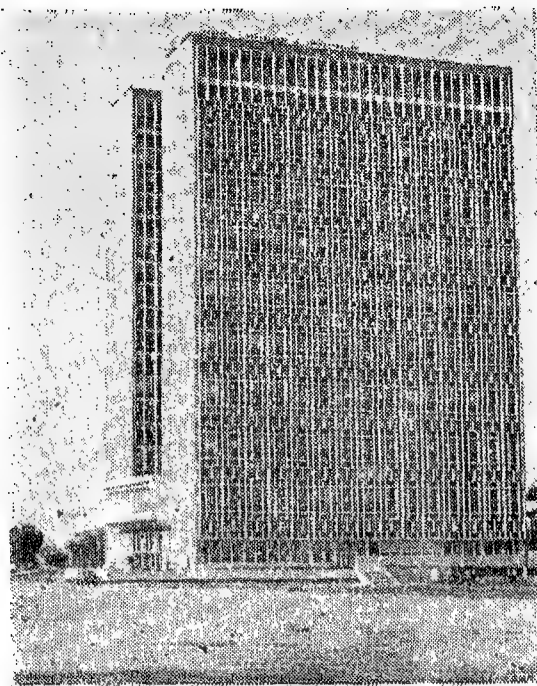
فى القرن التاسع الميلادى ظهر واحد من اعلام الفلك والرياضة العظام ، هو « الفرغانى » .

وفى القرن العاشر ظهر (محمد الفارابى) العالم الموسوعى الذى اضاف الكثير والغزير الى المعرفة والثقافة والحضارة الانسانية .

وفى القرن الحادى عشر ظهر العالم الكبير « محمد أحمد الخوارزمى » الذى يعرف باسم « ابوريحان البيرونى » الذى اضاف الى تراث الانسانية اكثر من مائة مؤلف فى نواح المعرفة من الفلك والرياضيات وعلم المعادن والجغرافيا والتاريخ والأدب .

وفى نفس القرن ظهر « ابن سينا » المولود فى بخارى ، والذى بدت عليه سعة الاطلاع والمعرفة وهو لم يتجاوز السادسة عشرة من عمره - وبخاصة فى ميدان الطب الذى شارك فى التراث الانسانى بما ينيف عن مائتى مؤلف .

وفى القرن الخامس عشر ظهر « اوليفيك » الذى تخصص فى الفلك واقام مرصدا نادر المثال فى ذلك الوقت . كما انشا مدرسة لدراسة الفلك فى « سمرقند » ووضع من المؤلفات الفلكية حصيلة ضخمة من الدراسات المجربة علميا كان لها اثر مباشر فى دفع المعرفة الفلكية نحو مزيد من التقدم . ويكفى انه فى هذا العدم المتقدم توصل الى تحديد طول السنة بالايام المضبوطة



— المبنى العجيب (٢٣ طابق) مقر
رئاسة الوزراء فى ميدان لينين
دليل على الخبرة الهندسية فى
مقاومة الزلازل

تماما ولم يختلف الا فيما يقرب من دقيقتين وبضع ثوان وانه فى هذا التحديد
كان اسبق من النتيجة الأكثر دقة والتي جاءت بعده بعدة قرون .

وفى نفس القرن ظهر الشاعر الكبير والمفكر الرائد « على شيرنواى » الذى
يعتبر مؤسس الثقافة الأوزبكية الحديثة .

وقد جاء توقف نمو وتطور الشعب الأوزبكي منذ فقد استقلاله الوطنى
وخضع للسيطرة الأجنبية مرغما ، وكان آخر حظه مع الاسنعمار
القيصرى الذى سعى لتثبيت سيطرته عن طريق الاخذ بمبدأ : (ان سرقة
الاعمى أسهل .)

لهذا ، ولكى يجعل شعوب المنطقة عميانا ، ولكى يبقيها هكذا عمياء
قامت سياسته على حرمان الناس من نور الثقافة والتعليم ، ويكفى ان
نلقى نظرة على الميزانية التى وضعتها الحكومة القيصرية فى مستهل هذا
القرن لتبرز هذه الحقيقة . فقد كانت حصة التعليم الشعبى ٢ ٪ من
الميزانية ، وهو ما يعنى أن الفرد الواحد يخصه ٢٢ كوبيك فى السنة - أى
عشرة قروش وبضع مليمات مصرية . بينما كانت حصة الجهاز العسكرى
والسياسى تمثل أربعة أخماس الميزانية أى ٨٠ ٪ . وحتى عندما وجدت
الحكومة القيصرية أنها فى حاجة الى اعداد كوادر للعمل فى جهاز البوليس

وإدارات الحكم ، أنشأت مدارس لتعليم القراءة والكتابة والحساب ، ليس إلا ، وهذا يعادل مستوى أقل من مستوى التعليم الابتدائي . ومنذ ١٨٨٥ الى ١٩٠٩ كان في تركستان ٩٨ مدرسة من هذا النوع يتعلم بها ٣٠٠ طفل . فضلا عن أن التعليم كان يتم باللغتين العربية والفارسية ، أما اللغة القومية فلا يعترف بها في برامج التعليم . وعندما بدىء بعد ذلك في ادخال التعليم باللغة القومية ، كان هذا النوع من التعليم قاصرا على أبناء الاعيان المحليين وحدهم دون أبناء الشعب .

وقد نشرت مجلة « فيستنيك » ومعناها (رسول التربية) في احد أعدادها عام ١٩٠٦ تقريرا وضعه مجموعة من العلماء والخبراء الغربيين عن الامية في تركستان والتي وصلت نسبة الامية فيها الى ٩٨ ٪ من تعداد السكان ، وأن التخلص من الامية يحتاج الى ٤٦ قرنا من الزمان . وحتى لا يخطر على ظن احد أن هذا الكلام نوع من التهكم ، فلننظر الى أوضاع أخرى من التعليم في تركستان وقتها ، وهى أوضاع المدارس الدينية وهى التى كانت تحصل على القسط الأوفر من الاهتمام في مجال التعليم .

كانت نفقات المدارس الدينية تأتى من الأموال التى يقدمها الأفراد ومن أموال الجمعيات الدينية والهيئات الى جانب الأموال التى يدفعها أهالى المتعلمين . وقد بلغ عدد هذه المدارس فى سنة ١٩١٣ (٧٢٩٠ مدرسة) تضم ٧٣ ألف تلميذ . وإلى جانب هذا ، كانت هناك (مكاتب للتعليم) . ويعتبر المكتب مدرسة مهنية أولية يتعلم الأولاد فيها المبادئ الأولية ويتربون بروح التعاليم الاسلامية . وتعتبر المدرسة بالنسبة للمكتب ، مدرسة ثانوية أو عليا ، ويتركز برنامجها على دراسة علوم الكلام والشرعية الاسلامية . ولم يكن التعليم فى هذه المدارس والمكاتب يجرى باللغة الأم (القومية) ولكن بالعربية والفارسية . لهذا كان الأولاد يحفظون غيبا وعن ظهر قلب بصورة آلية نصوصا دينية ودعوات ومؤلفات بعض الشعراء المتصوفين . أما علوم الحياة والطبيعة وغيرها من سائر المعارف فلم يكن لها وجود فى مناهج التعليم بهذه المدارس والمكاتب . كما كان المتعلمون - عادة - من أبناء ميسورى الحال .

واكتفى بهذا القدر عن الوضع الذى كان عليه التعليم فى تركستان حتى جاءت الثورة الاشتراكية وأعلن قائدها العظيم « لينين » :

(فى الماضى كان عقل الانسان كله ، كل عبقريته . لا يبدع الا لى تسمع طائفة بكل نعم التنيك والثقافة ، ويحرم الآخرين من الاشياء الضرورية - من التنوير والتطور . والآن تصبح جميع منجزات التنيك . ومكاسب الثقافة ملكا لعامة الشعب ، ومنذ الآن لن يوضع عقل الانسان وعبقريته فى خدمة العنف ، فى خدمة الاستثمار .)



هكذا بدأ عهد جديد في حياة الناس هناك ، فلنستعرض — بانتباه — كيف تمت المعجزة .

في ١٩١٨ وبمبادرة مباشرة من ممثلى المثقفين الروس ، أنشئت دار للمعلمين في « طشقند » .

وفي ١٩١٩ وقع « لينين » مرسوماً بمحو الأمية جاء فيه :
(أن جميع السكان منا بين سن الثامنة الى سن الخمسين ، ملزمون بأن يتخلصوا من أميتهم .)

وعلى الفور أعلنت « الحملة الثقافية » في جميع أرجاء جمهوريات الاتحاد السوفييتى الخمس عشرة . وما كادت سنة ١٩٢٠ تنتهى حتى أنشئت في الاتحاد « السوفييتى » اللجنة الاستثنائية لعموم روسيا لمكافحة الأمية وفي نفس الوقت أنشئت لجان مماثلة في كل الجمهوريات الخمس عشرة ومنها تركستان . و تفرعت هذه اللجنة على مستويات متدرجة حتى عمت شرايين البلاد في المدن والقرى والمصانع والمعامل والورش وكافة المؤسسات الثقافية والنقابات ، واطلق عليها اسم « اللجان الثلاثية » ووضعت أمامها أربع مهام محددة :

١ — تزويد مدارس مكافحة الأمية بالمبنى والاضاءة والدفاتر والاقلام والكتب .

٢ - اكتشاف وحصر الاميين .

٣ - ايجاد المعلمين .

٤ - تعريض المتنوعين والمحرضين عن التعليم للعقوبات الادارية .

وقد وضعت في يد هذه « اللجان الثلاثية » حقوق وصلاحيات واسعة بما يجعلها ذات قدرة وفعالية . وكانت المسألة الأكثر الحاجات بين هذه المهام الأربع هي مهمة ايجاد المعلمين . لهذا أنشئت في « طشقند » سنة ١٩٢٠ أول جامعة في تركستان . وقد بادرت جمهوريات سوفيتية أخرى بمساعدتها الفورية ، فأوفدت عددا كبيرا من الأساتذة والمدرسين من ليننجراد وموسكو وجمعهم قطار خاص الى طشقند . كما جند المدرسين والطلاب بالمؤسسات التعليمية المتخصصة والثانوية والعالية لمكافحة الأمية .

وكان لأعضاء ومنظمات الشبيبة والطلاب دور مع العناصر النشطة بالمنظمات النقابية ، مع مستخدمي المؤسسات المتنوعة ومتطوعي اللجنة



الثقافية - وقد أطلق على هؤلاء اسم « جنود الثقافة » . كان لهم دور كبير في الحملة ، وقد وصل حجم جنود الثقافة ما يؤلف نصف معلمي مدارس حملة محو الأمية .

ومن أجل حماية هذه الحملة من التخبط في متاهات العمل التلقائي ، استخدم التفكير العلمي في وضع خطوطها وتوجيهها ، وأنشئ لهذا الغرض « المجلس المركزي العلمي المنهجي » من داخل اللجنة الاستثنائية ، لتقديم المساعدة المنهجية الى مدارس مكافحة الأمية . وكانت لهذا المجلس فروع على كل المستويات في مسار الحملة الثقافية في القواعد وفي اللجان الثلاثية ، وتتحدد مهمة المجلس المنهجي في :

أ - اعداد الخطط والبرامج التعليمية والارشادات المنهجية وتوزيعها .

ب - الاشراف على وضع الكتب المدرسية .

ج - عقد مؤتمرات وندوات بكافة المستويات للمعلمين بغرض تبادل الخبرات .

وفي الأرياف افتتحت دورات خاصة متتالية مدة كل دورة من شهر الى ثلاثة شهور بغرض تعليم القراءة والكتابة فقط للأشخاص العاملين ، بحيث تجرى الدراسة بعد انتهاء ساعات العمل ، ذلك ثلاث أو أربع

مرات في الاسبوع ، وهى قد تستغرق أسبوعيا ٤ ساعات . واستخدمت في هذه الدورات عدة طرق :

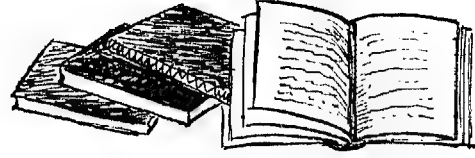
- ♦ دراسة فردية ، لشخص واحد ، ويتولى التعليم فيها شخص معلم .
- ♦ دراسة لمجموعة من خمسة أو ستة أشخاص ، ويتولى التعليم فيها معلم .
- ♦ ودراسة عممة لصف كامل ، ويتولى التعليم معلم عنده المام وتجربة بأحدث وسائل التعليم .

ويجب أن نعرف أن التعليم كله يتم بسبع لغات حسب قومية كل طالب وهى الاوزبكية والقراقليكية والروسية ، والكازاخية ، والتاجيكية والقرغيزية والتركمانية . كما أن لكل قومية مدارسها وفصولها وكتبها الخاصة .

وقد أنشئ أول معهد للمعلمين في « سمرقند » عام ١٩٢٧ .

والكى تضاعف الدولة من عدد المعلمين ، فانها فتحت في المدن والاحياء دورات خاصة لاعداد المعلمين مدة كل دورة بين شهر وثلاثة شهور وخمسة شهور وقبلت فيها المتعلمين الذى كانوا في نفس الوقت يوسعون معارفهم في اللغة والحساب والجغرافيا والعلوم الاجتماعية وطرق التعليم واساليبه الحديثة .

ونتيجة لحملات التعبئة والتوعية بأهمية التعجيل بالقضاء على الامية ، استجاب الشعب عن طريق تجمعاته المختلفة بتقديم العون الى ما تبذله الدولة في هذه الحملة . فاشتركت المشاريع التعاونية والصناعية ، والمنظمات التجارية ، ولجان فقراء الفلاحين واتحاد شفيلة الزراعة (كوشجى) في القرى ، وجميع المشاريع والمؤسسات الكبيرة في المدن ، كلها خصصت جانبا كبيرا من ميزانياتها لمكافحة الامية . كما نظمت في المعامل والمصانع ورديات عمل اضافية في ايام السبت - وهى ايام عطلة اسبوعية - ينتج فيها العامل والمستخدمون - متطوعين - انتاجا يزيد عن الخطة الموضوعية ويوجه العائد الى صندوق مكافحة الامية . وكذلك خصص الفلاحون المثل : قدم الفلاحون في مقاطعة طشقند سنة ١٩٢٩ الى صندوق الحملة (٧٠ ألف روبل) والى جانب هذا ، قدمت كافة النقابات والمنظمات الاجتماعية نسميا كبيرا . ففي العام الدراسى ١٩٢٩ - ١٩٣٠ خصص الاتحاد النقابى لشفيلة الزراعة والغابات (١٧٠ ألف روبل) وقدمت تعاونية زراع القطن (١٤٥ ألف روبل) والتعاونية الزراعية (٥٩ ألف روبل) وذلك كله الى صندوق الحملة . وفي مجال الثقافة ، نظمت حفلات بالمسارح ودور السينما لدعم الحملة بايراداتها .



♦ الكتاب

وكانت ثانی المشكلات أهمية عدم كفاية الكتب المدرسية . وعندما عرفت البساطة التي عولجت بها هذه المشكلة ، جاء الى ذاكرتي ما حدث « لكريستوفر كولبس » مكتشف أمريكا ، عندما اراد حاسدوه التقليل من شأن اكتشافه ، وذلك خلال الحفل المقام لتكريمه ، فقالوا انه لم يفعل شيئا معجرا ، لانه من الممكن لاي شخص ان يترك السفينة تحمله من شاطئ الى الشاطئ المقابل . فقد طلب « كولبس » ان يحاولوا وضع بيضة دجاجة بحيث تكون واقفة على احد طرفيها بالطول . فلما عجزوا عن ذلك ، تناول البيضة ونزع قشرتها ثم وضعها ببساطة على قاعدتها الأوسع فوقفت ، ثم قال - ما معناه - وهذه أيضا بسيطة ، لكن لم يفكر فيها احدكم .

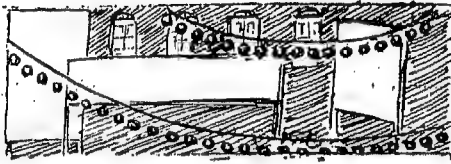
تذكرت هذه الحادثة الطريفة ، عندما عرفت انهم استعانوا بالصحافة ضمن حملتهم فكانت الصحافة تخصص أبوابا للأمين ولانصاف المعلمين مع مواد اخرى متنوعة ، وكل هذه المواد تطبع بالحروف الكبيرة حتى يمكن تمييزها عن باقى المواد الصحفية . وقد تخصصت في هذه الحملة خمس صحف هي :

ياش لينينتش وكامبال ديهقان ومدنى انقلاب ومعارف واوتوتوتشى . وكان المعلمون يجمعون هذه المنشورات بعد فصلها من الجرائد ويستخدمونها بديلا للكتب المدرسية أو تكميلا لها .

ولم يقف دور الصحافة عند هذا الحد فقط ، بل كانت الصحف تنشر تباعا وتحت عناوين « أخبار من الجبهة الثقافية » معلومات مشوقة ومثيرة عن سير الحملة بانجازاتها وبنواقصها في آن واحد ، مع مقالات وتحقيقات تقدم احسن الأمثلة عن مشاركة الناس بالعطاء في هذه الحملة ، كما تفضح وتكشف أيضا القوى التي تعادى الجبهة الثقافية من اتباع وانصار النظام القيصرى .

وكان الكتابان الرئيسيان في الحملة ، هما كتاب « الألفباء » وكتاب « القرية الجديدة » ولكل منهما أبجدية بحروف متفرقة .

وقد وضعت حوافر للدارسين . ففى مدارس القراءة والكتابة ، كان الطلبة يعفون من الساعتين الأخيرتين من يوم العمل دون مساس بأجورهم ، وكانت توزع عليهم الكتب المدرسية ووسائل التدريس بالمجان . أما النساء فكانت لهن الأولوية فى العيادات الخارجية ، وفى الاستشارات لدى الطبيب ، ولأطفالهن الأولوية فى القبول بدور الحضانة ورياض الأطفال . والذين لم يتمكنوا من انتهاء الدراسة لسبب ما ، نظمت لهم مدارس أنصاف المتعلمين نظاما للعودة الى استكمال الدروس ، وكانت تضم ١٩٢٠٠ شخص نصف متعلم .



♦ احتفالات التخرج الشعبية

كانت تقام بعد انتهاء الدراسة فى مدارس محو الأمية احتفالات تعقد بصورة علنية فى جو من الزينة على المباني كما يحدث فى الأعياد . وكانت شعارات الحملة الثقافية تملأ الشوارع فى المدن والقرى ومباني الأندية والمشروعات المختلفة . أما فى المسارح ودور السينما فكانت قبل رفع الستار وبدء العرض تذايع أخبار قصيرة عن سير الحملة . كما ساعد العاملون فى الفنون بما يلقونه على المسرح مما كان يؤدى الى دعاية واسعة فى سبيل القضاء على الأمية . كما نظمت عروض مسرحية بالمسرح الدرامى الأوزبكي التابع للدولة والمسمى باسم « حمزة » وبمسارح المقاطعات وفى فرق المنوعات ، وفيها تحريض للقضاء على الأمية والجهل . وفى المدن والمناطق - الى جانب هذا - جرت اجتماعات ومظاهرات وعقدت مؤتمرات من أجل الحملة الثقافية .

ولكى نضع أمام أعيننا صورة لنمو الحملة الثقافية وما حققته من نجاح ، فلنتأمل قليلا هذه الأرقام :

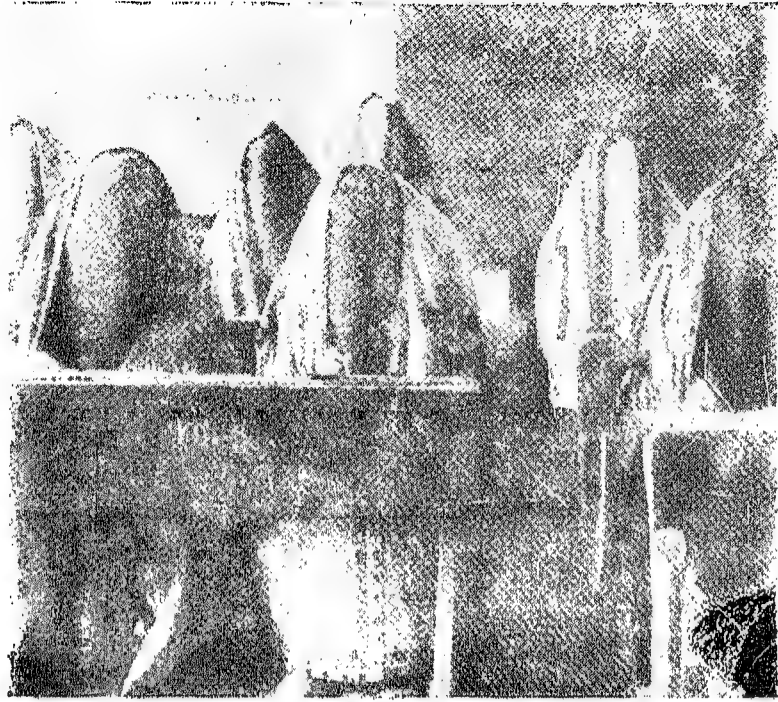
فى سنة ١٩٢٠ كانت احتياجات الحملة ١٢٠٠ معلم .

وفى سنة ١٩٢٩ كانت احتياجات الحملة ٩٠٠٠ معلم .

وفى سنة ١٩٣١ كانت احتياجات الحملة ١٤٠٠٠ معلم .

وفى نفس السنة ١٩٣١ كانت احتياجات الحملة مع احتياجات المدارس الابتدائية مجتمعة ٢٣٥٠٠ معلم ولا أظننا فى حاجة للتدليل على ما تشير اليه هذه الأرقام ، سوى انها تدل على نمو مطرد .

هكذا كان النصف الآخر ... زمان



وفي سنتي (١٩٢٨ - ١٩٢٩ ، ١٩٣٠ - ١٩٣١) تخرج من الدورات القصيرة ٢٣٠٠٠ معلم اشتغل ٤٠ ٪ منهم في حملة محو الأمية .
وفي تعداد المعلمين والمدارس كان يتعلم القراءة والكتابة (٢١٤٤)
شخصا في ٥٧٤ مدرسة سنة ١٩٢٤ - ١٩٢٥ .
وفي سنة ١٩٢٩ - ١٩٣٠ كان يتعلم القراءة والكتابة ٣٥٩٨٦٦ شخصا
في ١١٢١٧ مدرسة .

وفي سنة ١٩٣١ - ١٩٣٢ كان يتعلم القراءة والكتابة باللغة الأوزبكية
وحدها ٥٠٧٩٤١ شخصا ، وباللغة التاجيكية ٣٣٦٢٩ شخصا وباللغة
الكاخاخية ١٥٩٨١ شخصا وباللغة القرغيزية ١٥٥٤٣ شخصا وباللغة الأويغورية
٦٥٦١٤ شخصا وباللغة الروسية ١٤٧٢ شخصا وبلغات قومية أخرى
٣٨٦٠٠ شخص .

هكذا مضت عجلة التاريخ تسجل كل يوم انتصارا على التخلف الذي
كانت أخطر ظواهره الأمية . ومع الأيام أخذت تتطور السرعة والمعدل للذات
تقطعها هذه الحملة . ففي سنة ١٩٣٠ كان التعليم الإلزامي أربع سنوات
وفي العام الدراسي ١٩٣٤ - ١٩٣٥ أصبح سبع سنوات .

وفي سنة ١٩٢٦ كانت نسبة المعلمين ١٠ ٪ من التعداد وفي سنة



فصول محو الأمية

١٩٣٢ ارتفعت الى ٥٠ ٪ وما كادت سنة ١٩٤٠ تأتي حتى كانت الحملة قد وصلت الى منتهى غاياتها ومحيت الأمية تماما .
والآن يوجد في أوزبكستان ٩٢٩١ مدرسة يدرس بها ثلاثة ملايين ونصف مليون تلميذ . بالإضافة الى ٣٩ مؤسسة تعليمية عالية يدرس بها ٢٣٣ ألفا آخرين . كما يوجد ٤ معهدا عاليا متخصصا منها ١٦ للتربية والتعليم فقط . وتوجد جامعتان ، وكذلك ٢٨ مدرسة متوسطة متخصصة لتدريب كوادر للتعليم الثانوي والابتدائي ورياض الأطفال . ومجموع المدرسين بال سبع لفات يصل الى ١٨١ ألف مدرس . ويصل مجموع الطلبة في مختلف المدارس والمعاهد والدورات أربعة ملايين فتى وفتاة ، مع العلم بأن تعداد الجمهورية يصل الى ١٢ مليونا . وهذا يعنى انهم يمثلون ثلث سكان' التعداد .

ونظرا الى هذه التجربة الفريدة في محو الأمية ، فقد عقد المؤتمر الآسيوى الأفريقى في « طشقند » في نهاية أبريل وبداية مايو من عام ١٩٦٦ لدراسة هذه التجربة الرائدة والتي يمكن الاسترشاد بها في بلاد أخرى . وهكذا ، فان جمهورية أوزبكستان الاشتراكية السوفيتية لم تحقق لنفسها غاية نبيلة فقط ، بل انها أيضا ساهمت بهذه التجربة في خدمة الإنسانية جمعاء .

وليس مستغربا بعد ذلك ، أن هذا البلد الذى كان بالامس — وقبل خمسين سنة فقط — غارقا فى بحور الجهل ، أصبح له اليوم فى رصيد العلماء العالميين الذين تفخر البشرية كلها بهم نسبة مشرفة . تؤكد أن الامتداد الذى قطعته عهود الاستعمار القيصرى المستبد قد أعيد وصله من جديد ، وأن الأرض التى أخرجت الفرغانى والفارابى والبيرونى وابن سينا وأوليفيك وعلى شيرنوائى ، قادرة على الانجاب من جديد .

ففى مجال العلم الحديث قدمت العالم الكيميائى الاكاديمى « عبدصديقوف » والعالم البيوكيميائى البروفيسور « يالكين تواركولوف » وعالم الهيدرولوجيا الاكاديمى « هانى مافلانوف » ، كما أنتخب العالم « صابر يونسوف » عضوا بالاكاديمية الألمانية للعلوم الطبيعية ، والعالم « يتشازاهدوف » فى الجمعية الهندية لعلم الحيوان .

وبقيت فى الموضوع نقطتان هامتان .

الاولى ، أن نظام التعليم فى كل الاتحاد السوفييتى موحد فى مناهج المواد العامة والحساب والجبر والكيمياء والفيزياء ، أما التاريخ والجغرافيا وعلم الطبيعة فترتبط بكل جمهورية على حدة .

والثانية ، أن جميع مراحل التعليم فى الاتحاد السوفييتى كله — وبالتالى اوزبكستان — بالمجان فعلا .

هكذا تحولت هذه البلاد من حالة الجهل وظلامه لتخرج الى نور المعرفة الملايين من الشعب ، بعد أن جعلت هدفها الأخير هو أن تفرس فى نفوس الجماهير الرغبة الجادة فى التعليم .

وهذه هى صورة أخرى من جوانب المعجزة .



مع الرفيقة رحيمة نزاروه

نائبة وزير الثقافة



أول ما قالته السيدة الرفيقة ، بعد مقدمات اللقاء من استقبال وتعارف ، انها تشعر بسعادة كبيرة لانها سوف تتحدث عن تطور الثقافة في اوزبكستان . ولهذا دعت للاشتراك في اللقاء ثلاثة من مسؤولي الوزارة ، وهم السادة الرفاق : حبيب رحمانوف - مدير قسم المسرح بالوزارة ، وتافور جومايوف - نائب مدير ادارة المسرحيات بالوزارة ، واسكندر ياتشكاريوف - عضو مجلس البرامج المسرحية بالوزارة ، وكذلك الاستاذ الشاعر « تراب مترا » - مدير الادارة العامة للمؤسسة الموسيقية ، وقدمت لي اسطوانة مسجلة عليها أغنية شعبية وضع هو كلماتها . وكأنما أراد هو أن يزيد من حفاوته بي فكتب اهداء على غلاف الاسطوانة ، ولم يلبث الحوار أن بدأ بعد أن طرحت أسئلتى عن الثقافة ومشكلاتها وما تم بشأنها هناك . وقد تكررت معلومات عدة سبق تحصيلها في الحديث عن حملة محو الأمية ولهذا رأيت أن اتجاوزها ، وبخاصة ما يتعلق منها بالوضع السيء الذى كانت عليه أحوال جماهير الشعب قبل الثورة .

لقد نشأت الصعوبات عن الظروف السيئة الموروثة ، ولكن سنشير هنا الى الجوانب التى كان علينا أن نخطط ونركز عليها أولا .

فالجماهير كانت في حالة التخلف تقف خلف حاجز من العزلة النفسية عاشت عليه طويلا حتى اكتسبت قوة العادة شبة الثابتة ، من طول المعاناة والضغط ، بالإضافة الى انتشار كثير من الخرافات والغيبيات الضارة ، ووصل هبوط الفكر الى أدنى الدرجات .

وقد واجهت الثورة هذه الحالة بأن وضعت برامجها بحيث تؤدي الى تحرير النفس الانسانية أولا حتى تنهيا لاستقبال العلاقات الاجتماعية الجديدة استقبالا ايجابيا مناسباً . ويجب أن نذكر ، أن هذه الصعوبات كان مصدرها الانتقال المفاجيء الذي جاءت به الثورة . وقد كان للفن وقوة تأثيره دور مباشر في تربية الجماهير بفعالية كبيرة ، وذلك أكد ما قاله الكاتب الاشتراكي الأول في الاتحاد السوفييتي « مكسيم جوركي » :

(أن الكاتب لابد أن يكون له موقف - مع أو ضد - أي أن يكون ايجابيا .) لهذا قامت سياسة الحزب الشيوعي والحكومة في اوزبكستان ، على أساس توجيه الوعي الى كل فرد ، على أنه صاحب البلد . وقد انعكس هذا في الدرامات والروايات التي ظهرت بعد الثورة .

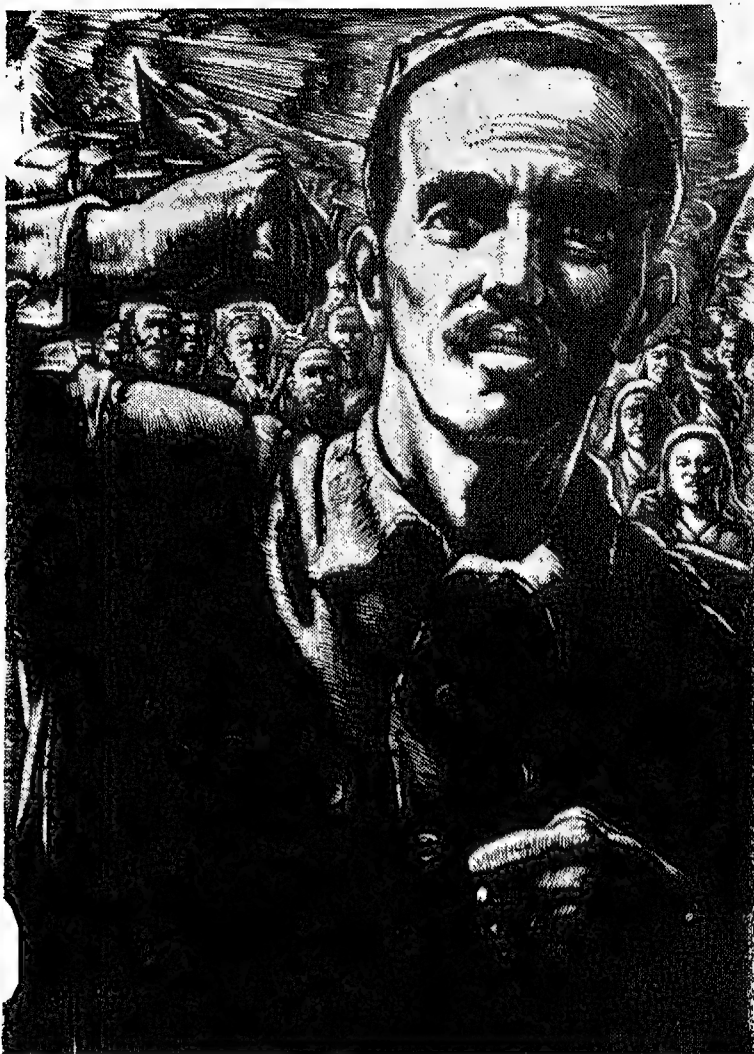
وفي الأدب ، فان تطويرة من الحكاية الى الرواية (الرومانسي) تم بطريقة مباشرة بدون المرور بمرحلة القصص القصيرة كما هو مألوف . وقد تم ذلك على يد « عبد الله قادري » من سنة ١٩٢٥ ، وله مؤلفات هامة عديدة منها « الأيام الماضية » و « أقرب من المحراب » .

وقد تم تأسيس أول معهد للثقافة بفرض اعداد المتخصصين للمؤسسات الثقافية والفنية ، ولتدريب ذوى المواهب من الهواة العاملين بالمصانع والكولخوزات وطلبة المعاهد الأخرى . وخصص قسم لتخرج راقصات الباليه الكلاسيكى ، وقسم آخر لتخرج راقصات الرقص الشعبي الأوزبكي .

وانشئت مدرسة للفنون التشكيلية ، كما يوجد اتحاد لجمعيات الفرق الموسيقية الكونسيريه ، وعدد من الفرق الموسيقية الشيموفونية ، وايضا فرقة كورال . ومنذ وقت قريب جدا تكونت فرقة موزيكيهول باسم « ياللة » وفرقة « سينس » للشباب الموسيقى .

ويقوم التعاون الأخرى بين جمهوريات الاتحاد السوفييتي منذ الثورة ، وهذا التعاون كان له دور في التأثير على الأدب الأوزبكي الى جانب تأثير الأدب العالمى عليه أيضا . والآن تنشيط المسارح هناك لآخراج العديد من المسرحيات العالمية السوفييتية .

وقد وصل المستوى الثقافى الى درجة رفيعة واكتسب صفة العالمية بفضل جهود الفنانين الأوزبكيين ، مثل « مختار أشرفى » الحائز على جائزة جواهر لال نهرو عن باليه « تعويذة الحب » وكذلك جائزة جمال عبد الناصر عن باليه « الصمود » كما أنه حضر الى مصر في عام ١٩٦٦ على رأس فرقة



« نيازى »
مؤسس ومدير
موسىقى

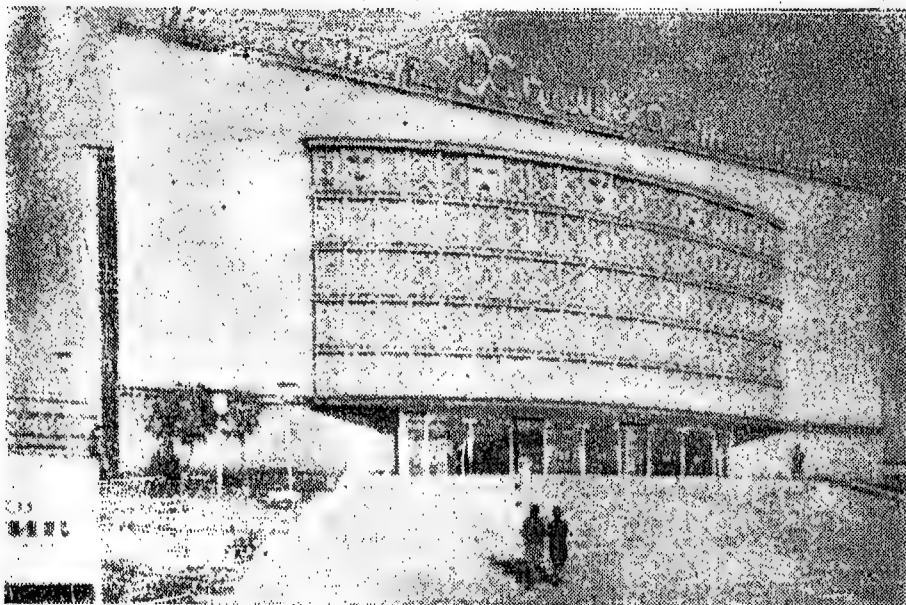
من فناني مسرح « على شيرنواي » وقاد اوركسترا القاهرة السيموفوني
اثناء عرض الباليه الذي وضعه لنا ، بالاضافة الى عدة مؤلفات موسيقية
أخرى .

وكان ظهور المسرح خلال الحرب الأهلية في « تركستان » التي سبق
الحديث عنها ، واسسه الشاعر والكاتب المسرحي « حمزة حكيم زادة
نيازي » .

وتتصل بالوزارة عدة معاهد ومدارس ومتاحف ومسارح
ومؤسسات موسيقية ، وهي ، معهد للكونسرفاتوار ومعهد آخر للمسرح

والفنون المسرحية ، و ١٢ مدرسة موسيقية تخصصية ، و ١٩٠ مدرسة ثانوية موسيقية ، و ٤ مؤسسات للفرق الموسيقية (الفيلهارمونيا) ، و ٢٥ دار عرض مسرحي للمحترفين منها ٢ للأوبرا والباليه ، و ٥٠ مسرحا شعبيا .
خاصا بالاضافة الى ٢٧ متحفا وفروعا فنية وتاريخية ، فضلا عن ان لكل مسرح متحفا خاصا به .

وتوجد ٢٧ فرقة مسرحية رسمية للمحترفين ، كما توجد فرق فنية يصل عددها الى ثلاثة آلاف فرقة يشترك فيها ٦٥٠٠٠ شخص كلهم في واقع عملهم الاساسي يعملون في المصانع والكولخوزات - أى أنهم العاملون



مسرح « على شيرنواي » بطشقند

بالصناعة والزراعة - وكذلك من طلبة المعاهد المختلفة . وهذه الفرق لا تتبع الدولة ، وانما هي مرتبطة بمجالات العمل او التعليم ، وتلقى من الدولة اهتماما كبيرا ، فتتظم بينها مهرجانات تليفزيونية لاختيار احسن الفرق تحت الشعار الذي أطلقه « لينين » - فن الشعب . ولا يقتصر نشاط هذه الفرق الفنية داخل اوزبكستان وحدها ، او في حدود الجمهوريات الخمس عشرة السوفييتية ، بل ويتعدى هذا النشاط حدود الاتحاد السوفييتي . فقد عملت في ايطاليا فرقة « كولخوزلينين » من منطقة شخيراباس . وفرقة منطقة « اخوم بيلبايف » في انديجان قدمت حفلات في تشيكوسلوفاكيا ، وفرقة « دار الثقافة » بمنطقة « تبراى » في ضواحي



تمثال اوليف بك في سترند النحات « م - موساييف »

طشقند عرضت حفلاتها في بلغاريا ، و فرقة فرقس ، للغناء والرقص بجمهورية « قره قالبق » وهى تتكون من اربعين فتاة قدمت عروضها في يوغوسلافيا و فرقة الهواة بمدينة « انديجان » عملت في هنغاريا . أما فرقة « لازجى » - وسياتى حديث مفصل عنها - فسوف تقوم بجولة في أفريقيا في نوفمبر - ديسمبر من هذا العام ١٩٧٤ وفى برنامجها زيارة مصر .

اما مسرح العرائس ، فقد أنشئ في طشقند قبل الحرب العالمية الثانية ، وقد اشترك هذه السنة في اعياد مايو بموسكو فقدم عروضاً للتمثيلات بعضها للكبار بلغ عددها ١٣ ولمدة شهر ، وجدير بالذكر ان نشير الى أن أول مطبعة أنشئت كانت في طشقند سنة ١٨٦٨ .

وفى ١٩١٣ كانت تصدر ١٥ نشرة دورية لكل تركستان ، منها جريدتان وثلاث مجلات باللغة الاوزبكية والجريدة تصدر مرتين اسبوعيا وتطبع كل مرة ٢٠٠٠ نسخة .

وفى نفس السنة (١٩١٣) صدر ٥٦ كتابا طبع منها ١١٨٠٠٠ نسخة من بينها ٣٣ كتابا باللغة الاوزبكية طبع منها اجماليا ٧٩ ألف نسخة (فى كل تركستان) .

والآن ، يصدر فى اوزبكستان ٢٠٠٠ كتاب سنويا واجمالى المطبوع ٣٠ مليون نسخة ، أما مجموع ما صدر فى اوزبكستان خلال حكم السلطة السوفيتية فيصل الى ٦٤ ألف كتاب طبع منها ٧٨٩ مليون

نسخة . اما الصحافة ، فتصدر ١٣٠ مجلة و ٢٢٧ جريدة . وتصدر بـسبع لغات ، ومجموع ما يطبع من هذه المجلات والجرائد في المرة الواحدة أربعة ملايين نسخة .

و اول محطة اذاعة تم تركيبها سنة ١٩٢١ ، وفي السنة التالية (١٩٢٢) تم تركيب محطة الاذاعات التجريبية ، وفي سنة ١٩٢٧ بدأ تشكيل أول محطة اذاعة واسعة على نطاق الجمهورية الأوزبكية . وهذه المحطات الثلاث تديع بست لغات هي الانجليزية والعربية والفارسية والهندية والاوردية والافغورية .

وتوجد في الجمهورية ٤٠٠٠ دار عرض سينمائي و ٣٥٠٠ ناد و ٣٤٠٠٠ مكتبة شعبية .

وتقدم الوزارة مساعداتها الى الاجتهادات الشعبية في مجال السينما . ذلك انه توجد في اوزبكستان ستديوهات للسينما الشعبية . ويمكن أن تكون في المصانع أو المشروعات الكبرى الانشائية أو في كولخوز كبير . فمثلا ، في سوفخوز لتربية العجول ولزراعة القطن اسمه « ماليك » ومخصص لتجربة الاساليب والآلات الحديثة ، تم تقديم نتائج هذه التجارب الى سائر الانحاء التي قد تستفيد منها ، فأنتج فيلم سينمائي لبعض هذه التجارب منذ بدايتها حتى تمت ، وهذا الانتاج قام به منتجو الأفلام الخاصة هناك .

وتقوم النقابات بتنظيم مسابقات لاختيار احسن الأفلام . لترشحها للدخول في مسابقة - على نطاق الاتحاد السوفيتي - بموسكو حيث بها دار لتوزيع وطباعة هذه الافلام .





فرقة الأغاني والرقص الشعبية الكلاسيكية الخوارزمية

مع فرقة لازجى

كان برنامجنا يتضمن زيارة لفرقة الباليه والأوبرا ، ولكن هذه الفرق كانت في فترة العطلة السنوية ، ورغم أن « ناريمان » تحدث طويلا عن المدهشات والروائع التي سوف اتمتع بها في الباليه والأوبرا ، فقد كان وهو يقدم المآذير بسبب العطلة يبدو كمن تورط في خطأ ، أو لعله الأسف على عدم تحقيق ما سبق أن دعاني الى التمتع به . وقال في ختام اعتذاره - كنوع من الترضية والتعويض الجزئي :

(أرجو أن تجد بعض التعويض في مشاهدة فرقة لازجي) .

وفي العاشرة صباحا ، كنت اسير بجانب « بوريس » في الشارع الذي يواجه الفندق ، ولم نبعد كثيرا حتى دخل من باب صغير وهو يقول لي :
- من هنا .

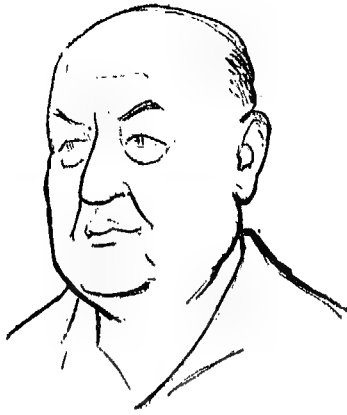
وتبعته الى فناء داخلي ثم دخلنا من باب يصل الى صالة كبيرة وعالية وارضيتها من الخشب . وهناك كان ما يشبه مجموعة من خلايا



« جواهر خانوم » مديرة الفرقة

النحل ، دائبة الحركة ، وما لبث أن توقف كل شيء لدى دخولنا . وتقدم منا سيدة متوسطة القامة قدمها لي « بوريس » باسم « جواهر خانوم » . واتخذنا مجلسنا داخل الصالة حيث وقفت على جانب منها مجموعة من الراقصات لا يتحركن كأنهن في انتظار إشارة من أحد . وقالت السيدة « جواهر » لبوريس أنها تقترح أن نشاهد عرضا كانوا على وشك تقديمه عند دخولنا .

وأشارت بيدها الى جانب في الصالة تتراكم فيه أجهزة التسجيل والاذاعة فبدأت أصوات موسيقية راقصة تتردد . وبعدها بلحظات -



«محمد چان ميرزا ييڻ» واضع الألحان



«طورسون غياثوف» مصمم الرقصات

ويبدو أن ذلك محسوب من قبل - إذا الراقصات الساكنات يتحركن في توافق يكاد يكون تاما الى درجة التطابق . واخذت استعرض الجهد الذي يبذلنه واحدة واحدة ، فوجدت انه مع اتفاق الحركات والتوقيتات من ناحية الزمن والخطوات فان لكل راقصة لازمة خاصة بها في التعبير فلم يكن جميعهن ضاحكات او حالمات التعبير ، بل اتخذت كل واحدة حالة التزمت بها . ووجدت نفسى مأخوذا من جانبيين من أذنى بموسيقى عذبة اشعرتنى بالآلفة التى لنفعل بها كلما سمعنا لحنا شرقيا ، وتكاد من سحرها وتتداخل مع الاجسام المرنة الشابة من الراقصات حتى يكاد أن يصحح تدفعنى الى التهور والرقص ، لولا بقية من حياء مع عجز أصيل عن هذه الخبرة . ومن الجانب الآخر كانت انظارى مشدودة وتكاد جفونى تعجز من أن تطرف حتى لا يفوتها أى جانب ولو ضئيلا من هذا الانسجام الحركى والذى يكاد مع الموسيقى أن يؤلفا جسما واحدا تمتزج فيه النغمات وتتداخل مع الاجسام المرنة الشابة من الراقصات حتى يكاد أن يصبحا شيئا واحدا لا هو نغم وحده ولا هو أجسام انسانية ، بل كائنا ثالثا فيه ارتقاء بالصوت بالمادة الانسانية الى مستوى اسمى ووسط هذا الانسجام الذى عشت فيه ما يقرب من ست دقائق ، انطلقت السيدة « جوهر » صارخة وهى تهب واقفة وترفع يدها ، وفورا توقفت الموسيقى وسكنت الاجسام الشابة عن الرقص وقد تحولت الانظار نحوها . بينما أخذت تلقى بكلمات لم أفهم معناها بلا شك ولكن أدركت أنها كانت تقول رأيها فيما دار



— «سان يال دييف» أحدث راقص (١٧ سنة)
هذه السنة أنهى دراسة الرقص — ٤
سنوات — وبدأ العمل فوراً في لازجي



— «جولسادا يعةوبوا»
مغنية مشهورة
وراقصة شعبية

بين الموسيقى والرقص مما يخالف التصميم الموضوع والالتزام بالأصول .
وابتسم « بوريس » في شماته لأنى كنت مستغرقاً في متابعة العرض وكأني
نسيت الغرض الذى جئنا من أجله ، وقال وهو يكاد يطير مرحاً :

— لا بد من بعض الوقت لا عادة أجهزة التسجيل بحيث تبدأ من الأول ،
وأظن من المناسب أن ندخل في حديثنا مع المسؤولين عن الفرقة .

وأخيراً استقرت السيدة « جوهر » في مكانها بعد أن فرغت من التماء
توجيهاتها . وقد عرفت من « بوريس » أنها منسقة هذه الفرقة ومديرتها
حتى اليوم . ونادت السيدة « جوهر » على بعض من الحاضرين فجاء
انثان . أحدهما طويل ممتلئ الجسم ويظهر عليه التقدم في السن بعد
مرحلة الرجولة ، وفي ملامحه ما يدل على الاهتمام الشديد بشيء ما إلى
درجة التركيز . ويكثر من المرور براحة يده على رأسه ليمسحها مما قد
يكون تراكم فيها من حبات العرق . إذ أن الشعيرات القليلة والقصيرة لا
تكفى لهذه المهمة . أو لعلها حركة اعتادها حتى أصبحت لازمة تلقائية .
وعرفت أن اسمه « محمد جان ميرزايف » وهو الذى يضع الحان الفرفة
التي ترقص عليها . وأنه يستلهم التراث الموسيقى الغنائى الأوزبكي



« أويديك أويديك الله » و « توييوني ميلياورا »
راقصتان متخصصتان في الرقص الشعبي

محافظا على خصائصه القومية بكل حرص . وقد أجبني على ملحوظة عن وجود تشابه كبير بين روح هذه الأنغام والألحان وبين ما هو معروف بفن الطرب الموسيقي ، فقال أن الذوق الأوزبكي في الغناء والحنان الرقص منذ الأجيال العديدة يميل إلى اللون التركي القديم والإيراني والأفغاني ، فهذا الاشتراك متوارث من العصور التي كانت مصائر حياة هذه البلاد مشدودة ومتجاذبة فيما بينها . فالذوق العربي في الغناء والموسيقى كان هو الذوق السائد منذ ظهور الدين الإسلامي وغزو هذه البلاد . فضلا عن أن هذا الأسلوب الفني قد لاقى استجابة وارتياحا في نفوس الشعب لما فيه من تطريب حنون مهدىء للأعصاب ويدفع إلى السكينة . ويبلغ هذا الملحن من العمر ٦٠ عاما ، وله أكثر من ٣٥٠ لحنا شعبيا معروفا ، وسوف تحتفل الحكومة به رسميا في ٩ سبتمبر القادم .

وتعرفت على « طورسون غياسون » وهو مصمم الرقصات ، الذي أخذ يشرح لي الوحدات الحركية التي تقوم عليها كل رقصة ، وكيف أنها تختلف عن بعضها في نوع الحركات وترتيبها ، وكذلك كيف تختلف الحركات بين راقصة وأخرى دون أن يخل هذا الاختلاف بالإيقاع المنتظم وبتتابع العرض . وهو شاب يكاد أن يكون قد تجاوز العقد الثالث بسنتين أو ثلاث



- « فلورا بابايشا » أنهت دراستها
الفنية من مدرسة طشقند ١٩٦٧
ثم اشتغلت في مسرح الأوبرا في
« أشقبا » - تركانيا - وفي يناير من
هذه السنة (١٩٧٤) اشتغلت في فرقة
[لازجي ، لأن موطنها الإصلي طشقند

على أقصى تقدير . وهو لهذا يعد نموذجا من مئات النماذج التي أتاحت
لها الثورة فرصة الدراسة الفنية حتى أمكن اعدادها لهذه المهام الفنية .

وبقى الدور على مديرة الفرقة ، التي صممت قبل الحديث عن
نفسها أن تقدم لنا الراقصة الشعبية « زهرة جزييفا » والمتخصصة في
رقص الباليه بالفرقة ، وكذلك المغنية الشابة « مولودة » وهي فتاة تسمى
الملامح صغيرة الحجم حتى لتكاد تتصورها تلميذة في الصف الاول الثانوى
على أقصى تقدير ، وهى من الأسماء اللامعة في الغناء القومى .
وأخيرا بدأت السيدة « جوه » تحكى قصتها .

في ١٩٠٥ كانت مازالت طفلة عندما وجدت نفسها مع أربع أخوات
لها يتعرضن لنقمة القيصر نيقولاى الثانى الذى قرر نفى هذه العائلة لأن
عائلها كان ثائرا ضد القيصرية . وكان قرار النفى قد حدد الجهة التى تقرر



- « آى دين ايجا مبرديف — »
 أمهت دراسة الرقص فى طشقند ١٩٦٥
 اشتهرت أولا فى فرقة
 « شودلى » والآن فى لازجى
 متخصصة فى الرقص الخوارزمى والأفغانى

نفيه اليها ، وهى منطقة « مرغلان » فى وادى « فرغانة » وهى جزء من
 اوزبكستان اليوم . ولم يكن اختيار هذه المنطقة بالذات مسألة صدفة ،
 بل كان اختيارا مخططا بدقة وبتأمل . فهذا الوادى كان يسمى باسماء
 أخرى مثل « وادى الهلاك » و « وادى المجاعة » لصعوبة ظروف المعيشة
 فيه ، نظرا لقلة المياه الجارية فيه ولا نعاله عن طريق العمران ، فكانه
 منفى آخر الدنيا . وهناك سبب آخر أكثر خبثا وراء هذا الاختيار . فقد
 كان الأب من أصل أرمنى ، وهذا يعنى أنه من طائفة دينية تؤمن بالنصرانية .
 وهذه المنطقة كلها مسلمون ، من أولها لآخرها . فكان القيصر اراد بهذا
 أن يضعه فى بيئة غريبة عنه تماما فلا يستطيع أن يتحرك ويمارس عمله
 الثورى أولا ، ثم أن ظروف المعيشة تفرض عليه الاتجاه الى مشكلات
 يومية صعبة الحل تستهلك جهده وتستنفد طاقته المعادية لنظام الحكم
 القيصرى . وهكذا وجدت هذه العائلة نفسها فى هذا الوسط الغريب ، بلا

- « مولدودة »
نجم مساعد جديد في
عالم الرقص الشهير



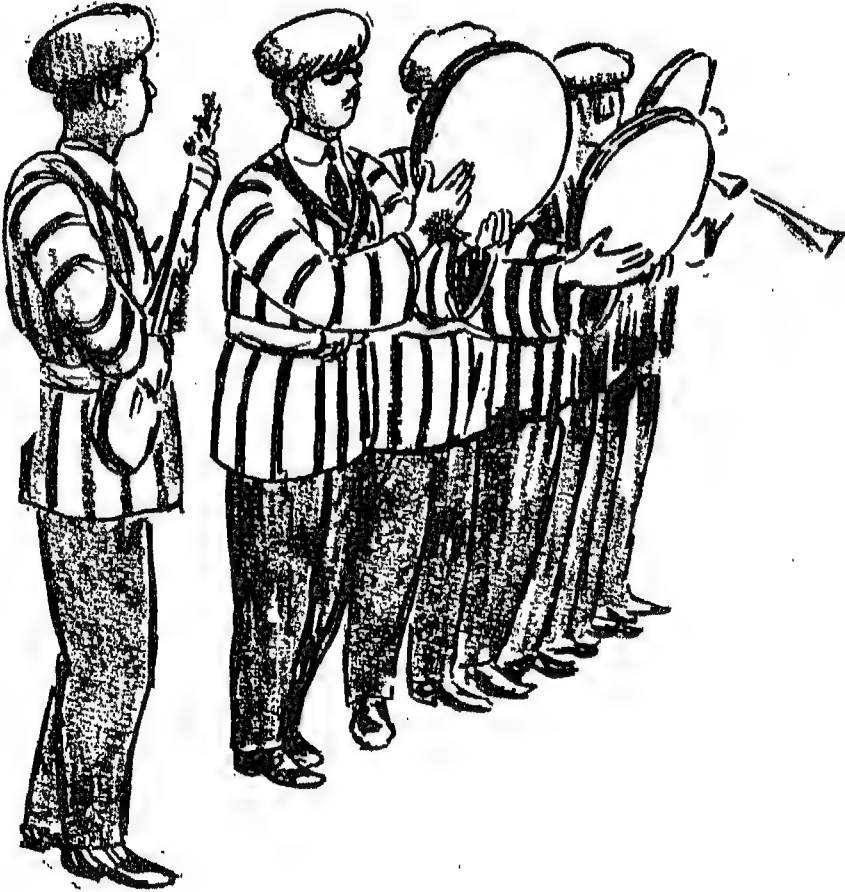
بيت يؤويها أو ذوى قربي أو حتى معارف تلجأ اليهم ، فكانت أول عائلة نصرانية تقيم هناك . فماذا وجدت ؟

لقد صدق القول بأن أكثر الناس استعدادا للعطف هم أحوجهم الى العطف . فقد كانت ظروف الشعب الأوزبكي في ذلك الوقت - كما سبق أن شرحت - في أدنى درجات التخلف من فقر وجهل ، وكان الحال السييء يشمل الغالبية العظمى ، بل ويتضاعف سوءا في هذا الوادي الكئيب . والذي حدث كان غاية في البساطة . فقد مد الأوزبيكيون الفقراء لهذه العائلة يد العون والمساعدة ، وكان أول هذا العون منحها بيتا تقيم فيه ، وبدلت تدخل في عجلة الحياة الرتيبة في هذا المنفى حتى قامت الثورة في سنة ١٩١٧ ونجحت في الاستيلاء على السلطة بعد الاطاحة بالنظام القيصرى . ولم يمض وقت طويل حتى هبت في المنطقة موجة عنيفة من أعمال القتل والتخريب قامت بها عصابات الرجعية « الباسماتش » التي كانت تقتل القادة الشيوعيين والنقابيين وتخطف الفتيات من بنات الشعب الفقيرات . وكان نصيب « جوهر خانوم » وكذلك أختها « ليزاخانوم » هو العطف . وكان من نتيجة هذه الحرب الأهلية أن وصلت حالة هذه العائلة الى الفقر المدقع . وعندما انتخب أول رئيس للجمهورية « جولداش أخوم بابايوف » وكان يعمل من قبل في خدمة الأغنياء ، ولهذا كان يعرف حالة هذه الأسرة ، فشمل هذه العائلة بعطفه وأرسل الأختين « جوهر وليزا » الى بيت مخصص

لرعاية الاطفال حيث وجدنا عناية مناسبة من التعليم وتنمية المواهب
الذاتية . وكانت النتيجة أن حققت هذه العائلة نجاحا لكل افرادها على
هذا النحو :

« تماراخانوم » وعمرها الآن ٦٨ عاما أصبحت في وقتها مغنية مشهورة
جدا في جميع أنحاء الاتحاد السوفيتي ، وكانت موهوبة في الغناء بكل
اللغات .

و « أماليا خانوم » وكانت تجيد اللغات الفارسية والأرمنية والروسية
الى جانب اللغة الأوزبكية الفصحى ، واشتغلت بتدريس هذه اللغات ،
وتوفيت سنة ١٩٧١ .



— الفرقة الموسيقية المصاحبة للراقصات والراقصين

و « ليزاخانوم » وقد وصلت الى الشهرة كممثلة شعبية محبوبة .
و « فيكتوريا رومي » التي اصبحت استاذة في العلوم الطبيعية
النباتية وتخصصت في القطن الذي يعتبر المحصول الرئيسى في
أوزبكستان .

هكذا اصبحت حال هذه الأسرة بعد الثورة . وتزوجت « تمارا » مغنيا
مشهورا ، فطلبت منه الحكومة تأسيس المسرح الشعبى في مدينة « قوقند »
وكان المسرح وقتها يشمل جميع الفنون المسرحية من تمثيل ورقص وغناء
وبدون تخصص . ومن هذه البداية هناك ظهرت أول معلمة للمسرح « ماريا
كوزينتسوف » وكانت ابنة لعامل بالسكة الحديد ومن أصل روسى وتجيد
اللغة الأوزبكية ولها المام ودراية بالتقاليد المتوارثة في المنطقة ، وكانت أول
ممثلة أوزبكية زاملت « حمزة » الشاعر والملحن الأشهر الذى وضع أول
الحن وأغان سوفيتية تعرف باسم « شورى » .



— « زهرة جديفا » راقصة الباليه
الأولى بالفرقة درست بالمدرسة
٦ سنوات ، ثم اشتغلت في
مسرح موسيقى ثابت ، ثم في
فرقة لازجى من سنة ١٩٦٥

وتروى « جوهى » بعض ما تبقى من ذكريات عن فترة بيت الرعاية
الذى بدأت فيه التعليم ، ففي سنتى ١٩٢٣ - ١٩٢٤ كان التعليم باللغة
العربية . وجاء مدرسون أتراك لتعليم الغناء التركى ، وفى نفس الوقت
كانوا يلقبون الطالبات دعاية عن النظام الجديد فى تركيا وهو الذى تم بقيادة
مصطفى كمال (أتاتورك) . ونظرا لوجود تقارب كبير بين شعوب آسيا
الوسطى والشعب التركى فى العادات واللغة والتقاليد وجانب من المزاج
المشترك ، فقد عمد هؤلاء المدرسون الأتراك الى فرض الأغاني التى تحمل
مفاهيم وافكارا تدعو الى تمجيد الفرد والذات على حساب المجموع وتنتشر
افكارا تضعف من ثقة الجماهير فى الثورة الاشتراكية السوفيتية ، وقد
اتضح بعد قليل أن هذا النشاط لم يكن بعيدا عن قوى الثورة المضادة



- صانع العود . . يختبر رنينه

التي حطمها الشعب والحزب الشيوعي خلال الحرب الأهلية ، بل كان هؤلاء المدرسون الأتراك كمن طرد من الباب ليحاول الدخول ثانية من الشباك ، وكانت لهم ميول انجليزية واضحة . ولم تأت سنة ١٩٢٦ حتى تم التخلص منهم وطردهم نهائيا من آسيا الوسطى كلها الى غير رجعة ، وكان ذلك بعد ان وضع الحجر الاساسي في الفنون والمسرحية .

وبدأت « جوهري » كلامها بابتسامة منتصرة وهي تتساءل ، عن :

- ماذا كانت نتيجة النفي الى « وادي الهلاك » ؟

وعندما سألتها عن اسم « لازجي » وماذا يعني ، قالت انه اسم عام ، ولكن الفرقة لها اسم آخر :

(فرقة الاغاني والرقص الشعبية الكلاسيكية الخوارزمية .)

وان افراد الفرق ٩٠ شخصا ، منهم ٩٥ ٪ من معهد الرقص و ٥ ٪ من الهواة ، ومن بين الراقصات ثلاث روسيات ، وان تخصص الفرقة الاساسي في الرقص الخوارزمي ، وقد وضعت الفرقة اغنية خصيصا لمناسبة الاحتفال بمرور نصف قرن على تأسيس الجمهورية ، واسم الاغنية « الذكرى الذهبية » ، وان الملحن الكبير « محمد جاف ميرزايف » تنشر موسيقاه ايضا خارج اوزبكستان في جميع أرجاء الاتحاد السوفييتي ،

ومنها ما عرف خارج الاتحاد السوفييتى ، كما أنه الذى لحن « سماء
انديجان » .

وأخر مرة رأيت فيها فرقة لازجى كانت قبل سفرى للعودة ، وذلك أثناء
التقاط صور للفرقة بملابسها الزاهية المزركشة أمام مناظر النافورة الهائلة
في ميدان لينين حيث كانت السيدة « جوهر » تحمل مظلتها ذات الألوان الزاهية
وهي تنظم حركات المجموعات الراقصة أمام حوض السباحة بينما كان
المصور المتخصص لهذه العملية يتحرك بعصبية زائدة . وهذه الصور تلتقط
للفرقة استعدادا لعمل المطبوعات والدعاية المطلوبة اعلاميا ، لأن الفرقة
سوف تقوم بجولة تقدم فيها عروضها في مناطق من افريقيا في حوالى
نوفمبر وديسمبر من هذا العام ، وإن مصر تدخل في برنامجها .

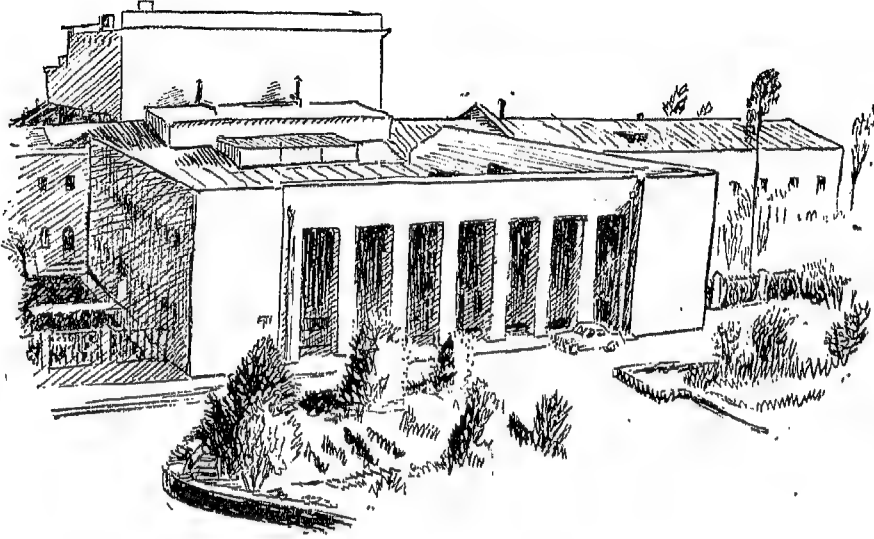
وودعتنى الفرقة بالتحية وشخصية الدفوف بينما كانت السيدة
« جوهر خانوم » تلوح بيدها وهى تقول :

الى اللقاء في القاهرة هذا الشتاء .



— ديرة الفرقة توجه تعليقاتها
أثناء التقاط صور للراقصات
أمام نافورة الميــــــــاه الضخمة

فى إستوديو أوزبىك فيلم

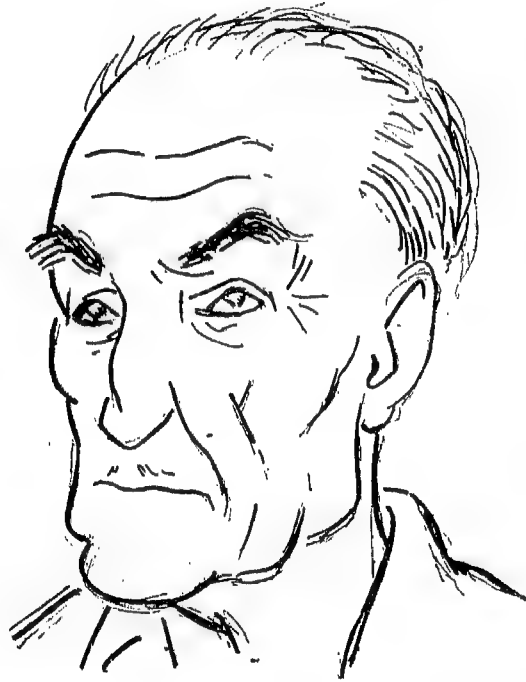


فى استديو « أوزبىك فيلم » التقيت بمديره « أولماس عمر بيكوف »
الذى دعا الى هذا اللقاء وهو واحد من مؤسسى السينما الاوزبىكية وهو الممثل
الشعبى للاتحاد السوفيتى و « بكامل يار محمد ياتوف » بطل العمل
الاشتراكى والحائز على الجائزة الدولية السوفيتية ، و « قيوم عبد
الرحمنوف » الكاتب الأول لمدير الاستديو ، و « جورا تيسابا ييف » المسئول
الأول عن الاستديو .

ومنذ بدء الحديث ، كانت نظراتى منجذبة الى الممثل الشعبى الكبير
« كامل » ولا أكاد أرفعها لأكتب ملحوظة أو لأوجه سؤالاً الى مدير الاستديو ،
حتى تعود ثانية لتستقر على ملامحه العجوزة الطيبة التعبير . وفى الغالب
ترتسم ابتسامة المجرب الخبير على صفحة وجهه كلها وتفصح عن حالة
من الاطمئنان والسكينة لعلها هى التى جعلتنى أطيل النظر اليه ، وهو يحكى
عن الكيفية التى قامت بها السينما الأوزبىكية .

قبل الثورة لم تكن هناك سينما ولا حتى مسرح . وما أن انتهت الحرب الأهلية سنة ١٩٢٤ حتى أتيح للسلطة السوفيتية أن توجه عنايتها الى أهم الواجبات بعد ذلك وأكثرها خطورة في تطور الشعوب ، وهي الثقافة .

ومن إحدى المدارس الدينية الصغيرة والقديمة قامت مظاهرة شعبية بمناسبة افتتاح أول ستديو سينما في كل آسيا الوسطى . وكان المشتركون في المظاهرة هم أنفسهم الذين كانوا بالأمس يقاتلون دفاعا عن الثورة وإقامة السلطة الاشتراكية هناك ، وكان « كامل » من بينهم الذي



— « كامل ياد محمد ياتوف »
 الممثل الشعبي لاتحاد السوفيتي
 بطل العمل الاشتراكي
 الحائز على الجائزة الدولية السوفيتية
 بطل فيلم « عاصفة على آسيا »
 وفيلم « الفرسان والثورة »
 وفيلم « أمير بخارى »

ما كادت كلمة لينين « أن السينما هي أهم الفنون » حتى اتخذها شعاره لخدمة الشعب ، ومن وقتها أصبحت الأفلام بدل البنادق لتبدأ رحلة التقدم مسيرتها من حالة التخلف الى مرحلة تثقيف الشعب .

كان جيل « كامل » شبابا بغير خبرة ولكن كان لديهم ما يقولونه، مما عاشوه بأنفسهم أو مما تلقوه عن آبائهم وأجدادهم من مظالم حكم الطفلة ، وما عانته الشعوب من قسوتها . وكان لابد لهم من يد تمتد بهذه الخبرة المنسودة ، فوجدوا في الخبراء الروس ما يسد هذه الحاجة . ولم يكن هذا شيء بل كانت هناك عوائق تحتاج الى الإزالة .

فالمرأة كانت مججبة ، وسينما بغير امرأة كالرقص بقدم واحدة ، وجاء
الحل أيضا على يد المرأة الروسية . وكان المسرح وقتذاك يعتمد الى اسناد
الادوار النسائية للرجال .

والعقبة الثانية كانت في قلة عدد المشتغلين بالسينما الى درجة
الندرة .

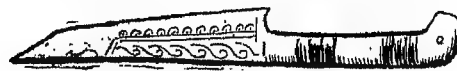
وكان اهم الموضوعات وقتئذ ، هو تحرير المرأة ، والنضال من اجل
تشكيل الكولخوزات والنظام السوفييتي ، ومقاومة العدو ومضاعفة
اليقظة المناورات ومؤامراته . وهي موضوعات تتجه نحو دعم النظام
الجديد . لذلك . فنحن لم نكتف بالدور الذي قمنا به لاقامة النظام
السوفييتي ، بل مازلنا ملتزمين بمتابعة الحكاية التاريخية ليظل منسوب
المعرفة والوعي بالايام الشاقة التي عانى منها اباؤنا واجدادنا بالمستوى
الكافي ليكون في مفهوم الشعب دائما من هم الأعداء ومن هم الاصدقاء
ولدعم روح الصداقة مع الشعوب السوفييتية من اجل التقدم والسلام .
وعند بداية السينما في اوزبيكستان لم يكن هناك غير سوق العرض
المحلي ، اما الآن فان الفيلم الاوزبيكي يعرض في جميع جمهوريات الاتحاد
السوفييتي وايضا خارجه .

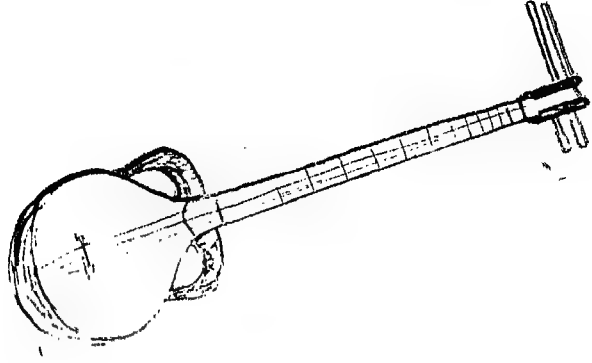
وعند بداية السينما في اوزبيكستان لم يكن هناك غير سوق العرض
يحظى باحترام زملائه من الجيل السينمائي الجديد وتقديرهم له ، لا
يوصفه المسئول الفني للاستديو فقط ، ولكن باعتباره فنانا كبيرا وجزءا
من حياة السينما الاوزبيكية . وجدير بالذكر أنه قام ببطولة ثلاثة من
اشهر الافلام السوفييتية وهي عاصفة فوق آسيا والفرسان والثورة وأمير
بخارى .

وجاء الدور على المسئول الاول عن السيناريو « جوراتيشاباييف »
ليعرض لنا الوضع السينمائي الراهن ، بادئا بمشكلات اعداد القصص
للسينما .

حقيقة ان اختيار الموضوع المؤلف من اهم المشكلات ، حتى في ايامنا
هذه . ولكن مع تطور الادب والفن والخبرة التطبيقية ، لم يعد ذلك مشكلة
حادة .

فالتعامل مع اهل الادب والفن كما هو معروف في كل انحاء العالم -
عمل صعب ويصل احيانا الى حد ان يصبح شاقا للغاية . ولكننا . بعد
تجارب كثيرة - توصلنا الى طرق متعددة لاجتذاب المؤلفين للسينما ،
كما ان لدينا الآن معددين متخصصين للسيناريو في الاستديو ، كما أننا





منذ سنتين أنشأنا إدارة خاصة بالسيناريو ، ويتألف أعضاؤها من المؤلفين الشبان وذوى الاستعداد والمهتمين بالسينما .

والطريق الثالث هو جذب دائرة كبير من الكتاب الى الحقل السينمائى .
ولدينا أساليب مختلفة لهذا الجذب :

أولا نطلب منهم أعداد السيناريو كاملا ، ثم نحاول شراء مؤلفانهم لأعدادها سينمائيا . ويتولى قسم السيناريو الذى يرأسه دراسة المؤلفات الروائية لاختيار المواضيع المناسبة ، والاجتهاد لتخزين ما يكفى منها لثلاث أو أربع سنوات قادمة باستمرار . ولكن - مع كل هذا - لا يلتزم الاستديو بتحديد مؤلفين له داخل الجمهورية ، بل لديه علاقات بمؤلفى السيناريو فى كل جمهوريات الاتحاد . ففى هذه الأيام يتعاون من المشاهير « ميخالكو ف كافشالوفسكى » و « اندريه تاركوفسكى » و « نيكولاى فيجوروفسكى » و « سيرجى فيليبوف » وآخرون . أما الكتاب الأوزبكيون فمنهم المشاهير مثل « كامل ياشين » و « اسقط مختار » و « رحمت فايزى » و « عادل يعقوبوف » وكذلك « جورا نيشاباييف » نفسه الذى ينفذ الآن فيلما من إنتاجه .

ومع كل هذا ، فانهم يعتبرون هذا قليلا بالنسبة - لا لما يحلمون به - ولكن بما فى وسعهم تحقيقه . فالاستديو ينتج عشرة أفلام روائية كبيرة - خمسة منها للتلفزيون .

والحقيقة الواضحة ان المؤلفين اليوم قليلون بالنسبة لحجم العمل ، والامل أن يزداد عدد الكتاب ومؤلفاتهم الخاصة للسينما ، وأن يكون لديهم مؤلفون متفرغون لوضع السيناريوهات خصيصا لهم ، والذى لديهم ثمانية منهم الآن .

وبعد ان انتهت كلمة المسئول الأول عن السيناريو فى ستديو اوزبيك

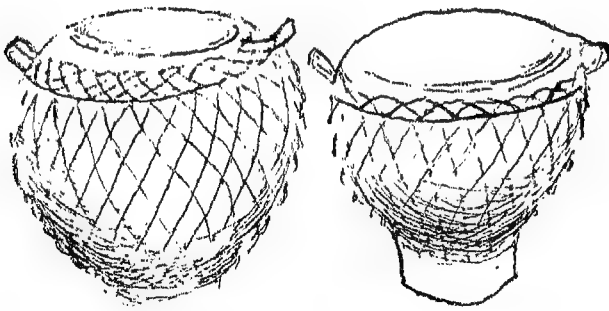
فيلم تناول الحديث مدير الاستديو ، لان أسئلتى كانت عن نشاط السينما فى نوع آخر من الإنتاج .

فعن « الفيلم التسجيلى » عرفت أن له ستديو خاصا يديره واحد من أبرز رجال السينما الوثائقية هو الممثل الشعبى للاتحاد السوفيتى « رمالك فيوموف » .

وكم كنت أود زيادة هذا الاستديو بدافع اهتمامى الشخصى بهذا النوع من الإنتاج الذى أرى عن اقتناع - أنه أجدر أنواع الإنتاج السينمائى بالاهتمام لانه أقربها واقعية وصدقا وتأثيرا فى آن واحد ، كما أنه صالح لكل مراحل التطور باعتباره مصدرا من مصادر المعرفة التاريخية أيضا ، حيث لا تضعف قيمته بمرور الزمن ، بل تتضاعف .

وكان الاتحاد السوفيتى رائدا فى اكتشاف الطاقة الكامنة فى الفيلم التسجيلى مما جعله يمنح هذا النوع أوسع الفرص لينطلق ويحقق الكثير للتقدم الإنسانى ، الى حد الاستفادة به فى تسجيل أحداث الحرب العالمية الثانية التى وصلت خسائره من المصورين التسجيليين بضع عشرات من أمهر الفنانين وذلك لكى يمسكوا بأيديهم أحداثا وقعت فى أماكن محددة وفى أوقات محددة ، يستحيل استعادتها مرة أخرى بنفس الواقعية والصدق .

لقد رأيت - لأكثر من مرة - الفيلم الطويل الذى أنتجه الاتحاد السوفيتى باسم « الحرب العالمية الثانية » ورأيت ما حدث وكأنه يقع حولى وليس أمامى على الشاشة المسطحة فقط ، ورأيت من أهوال الحرب وبشاعتها ما سوف يظل مطبوعا فى ذاكرتى ما حييت ، كما رأيت البسالة وكأنى دخلت فى ثيابها وعشت لحظاتها الباهرة التى حددت مصير البشرية فى عصرنا الراهن ولأجيال قادمة .



رأيت كل هذا - وكأنى أراد الآن وأنا أدون هذه الكلمات وبخاصة عندما كان المنظر المعروض يميل على أحد جانبيه فجأة بعد أن تفجرت أمامه قذائف منها ما أقترب الى مستوى الرؤية بسرعة انطلاق الرصاص ، أن منظرا كهذا يستحيل أن ينساه المشاهد . وعلى الأخص عندما يدرك

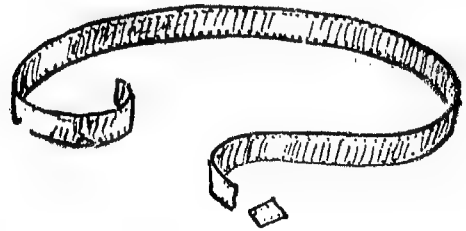
أن المشهد الذي مال فجأة يعنى أن رصاصه أصابت المصور الذي يحمل الكاميرا ، لعله قد مات منها .

لهذا كنت حريصا على زيارة هذا الاستديو لا تعرف على آخر ما وصل اليه تطور الانتاج التسجيلي في أوزبكستان الجمهورية الفتية في هذا المجال .

ولكن ، بسبب العطلة الاسبوعية - وهى يوما السبت والاحد - لم نوفق الى تحديد موعد لهذه الزيارة وسط كومة المواعيد التى كان صيغ الوقت المحدد لبرنامج رحلتى يحول دون التخلي عن احدها . ولهذا ، ومع شديد أسفى ، اضطررت لتأجيل هذه الجولة الى فرصة أخرى .

الا انه لا يفوتنى أن أسجل هنا اقتراحا كنت أود مناقشته مع مسئولى ستديو الأفلام التسجيلية ، ما دامت الزيارة اليه لم تتم ، وهو :

أن المناظر الجميلة التى رايت روعتها في أرجاء طشقند وبخارى وسمرقند ، سواء من الجو أو على الأرض ، وروعة الانشاءات العمرانية ، وبحار الاشجار الوارفة ، كلها تستحق التسجيل . وحالة الشعب في عيشه ومتنزهاته ومعاملاته اليومية أيضا تستحق التسجيل كلها . ورؤيتها بعين خارجية تتيح فرصا مزدوجة الفائدة سواء في اختلاف الدوق والرؤية أو تنوع الاهتمام عن صور التطور الحديث في أوزبكستان . لماذا لا توجه الدعوى في بعض المناسبات الى المصورين القديرين من مختلف أنحاء العالم وتنظم لهم جولات بين ربوع البلاد لالتقاط جوانب الانجاز الحضارى الباهر الذى يولد اليوم هناك ، ومن المحتم أن يكون في هذه المادة صلاحية لانتاج سينمائى تسجيلى مشترك يفيد في اعلام الشعوب بمشال من بناء الاشتراكية ؟



أن هذا الاقتراح ليس موجها الى ستديو الأفلام التسجيلية بجمهورية أوزبكستان وحدها بل موجه في الوقت ذاته الى اللجنة الدولية للمسيما الأوزبكية ومسئولها عبد الله يوف وستديو أوزبك فيلم ومسئوله مالىك فيوموف والى وزارة الثقافة الأوزبكية ، ووزارة الثقافة بالاتحاد السوفيتى وكافة الجهات التى لها دور ومسئولية في هذا المجال .



١ - ديكور لمسرحية للمهندس «ح. الكراوف»

وعن أفلام الرسوم المتحركة (الكارتون) ، قيل لى أن هذا النوع من الانتاج رغم أنه حديث العهد فى توبىكستان ، الا أن الاستديو ينتج عددا من أفلام (الكارتون) وأفلام العرائس لا يزيد عن خمس أفلام مدة الواحد ربع ساعة .

كما ينتج سنويا خمسة أفلام أخرى مدة كل فيلم عشر دقائق من مجلة فكاهية سينمائية باسم « ناشتار » ومعناه « المشرط » وتدور موضوعاتها حول انتقاد النواقص الاجتماعية ، وبالأمرى خرج أحدث فيلم فى هذه المجلة الفكاهية .

أما عن الممثلين ، فقد كان الوضع فى بدء العمل السينمائى يعانى من نقص الممثلين وبخاصة فى الادوار النسائية . فمشكلة نقص الممثلين تنعكس أول ما تنعكس على المسرح . ولكن الآن يوجد ٢٧ مسرحا فيه ممثلون وراقصون ومطربون ومغنون وسائر فروع التمثيل . ومن هنا فلا يوجد ما يعتبر أزمة ممثلين

والحكومة تساعد على تخصيص ممثلين لهذا الاستديو ، ويتولى هذه المسؤولية الرفيق « خد جايف » . ولدينا ارتباط باثنين وثلاثين ممثلا وممثلة .

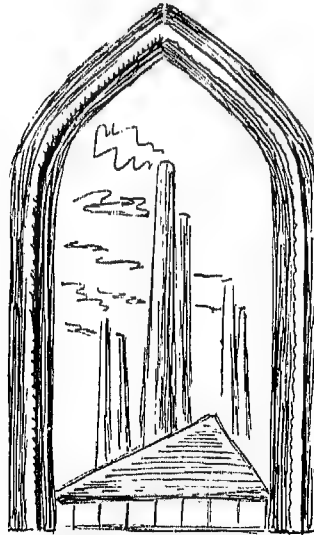
وفى هذه الآونة يبدأ العمل فى فيلم « شيخوف » ويشترك فيه ممثلون أكثرهم من ممثلى الاستديو .

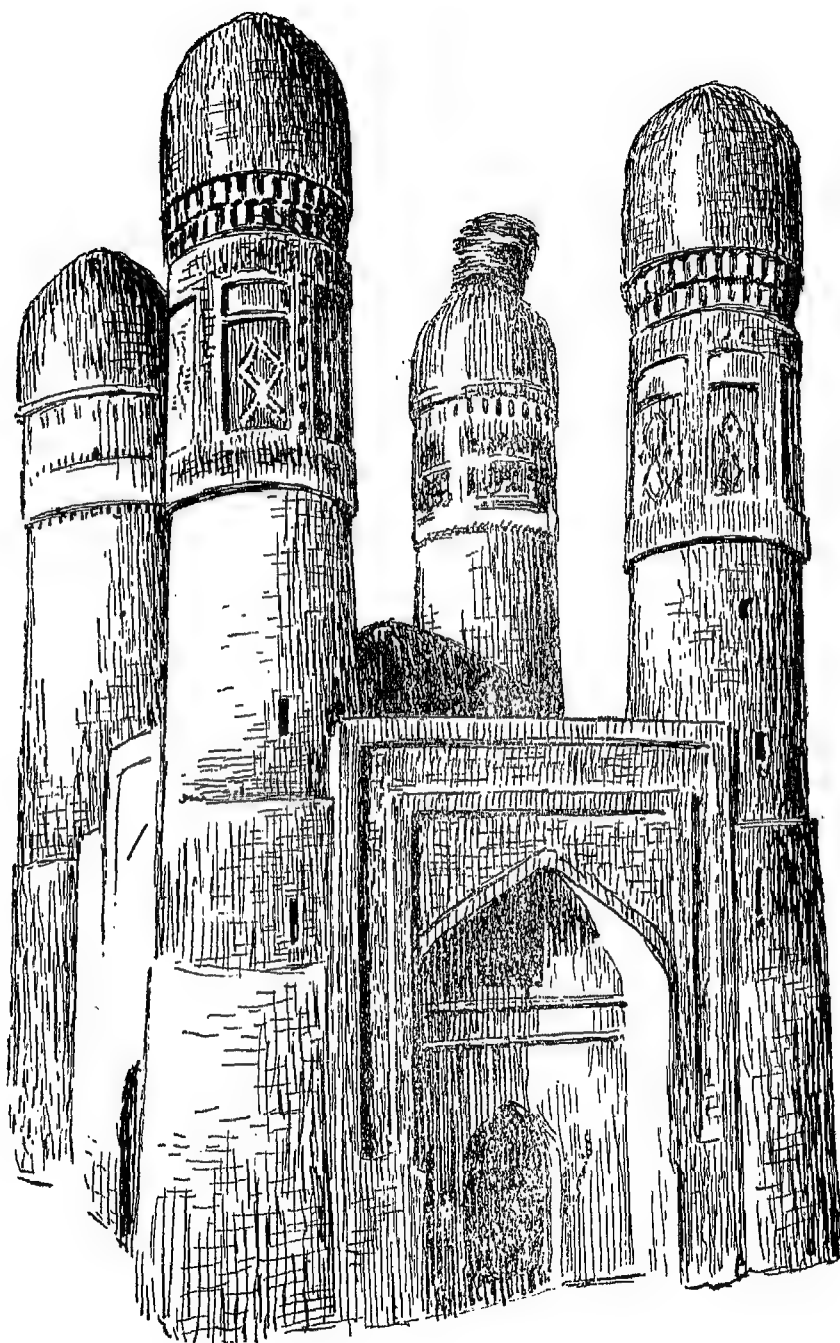
وتوجد مشروعات عديدة لتوسع هذا الاستديو مستقبلا .

وفي الاستديو ثلاثة بلاتوهات منها اثنان كبيران مساحة كل واحد ثلاثون مترا في خمسة وأربعين مترا والارتفاع المستخدم خمسة عشر مترا . تم بناء ذلك ما بين سنة ١٩٥٨ - ١٩٦١ وقبل ذلك كان العمل يعجزى فى بيت قديم . والى جانب هذين البلاتوهين يوجد بلاتوه صغير وبالإضافة الى هذا فلدى الاستديو مساحات شاسعة من الأرض المجاورة للتصوير الخارجى .

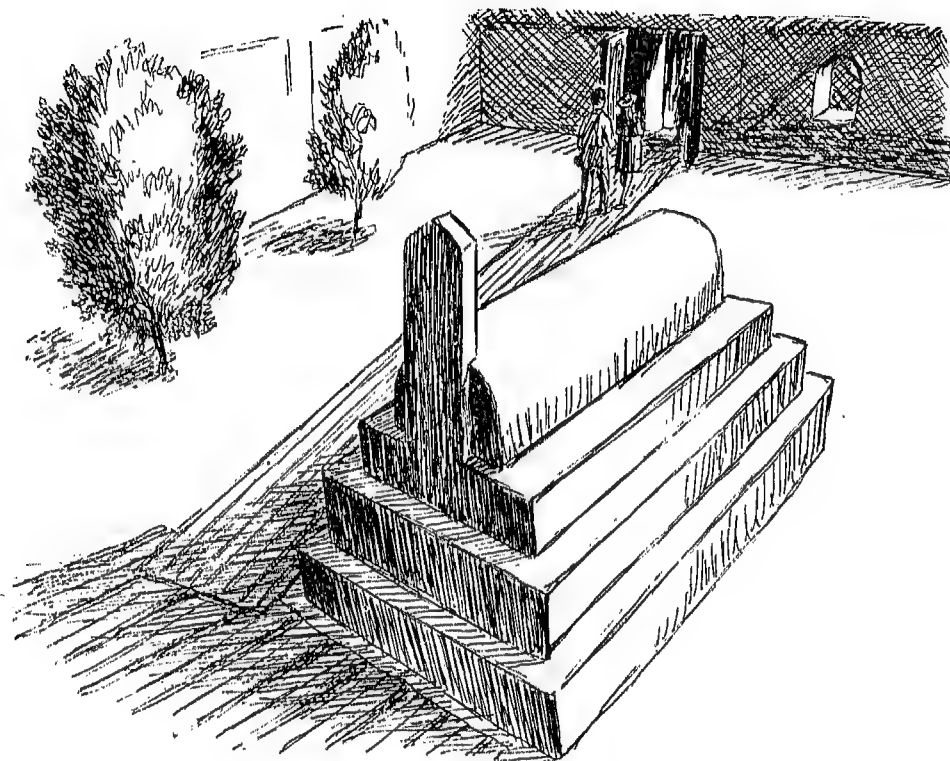
وفي الاستديو استعداد لترجمة الافلام التى تخرجها الاستديوهات السوفيتية والافلام الاجنبية الى اللغة الأوزبكية وهو ما يهم المشاهد الأوزبكي أولا ، ويتم ترجمة ما يقرب من ٨٠ فيلما سنويا .

وفي أوزبكستان عدا استديو الافلام الوثائقية (التسجيلية) يوجد ستديو طشقند للسينما وستديو أوزبيك تيلى فيلم الذى ينتج نوعا من الافلام الاعلامية اسمها « أوزبكستان بعيون الاصدقاء » .

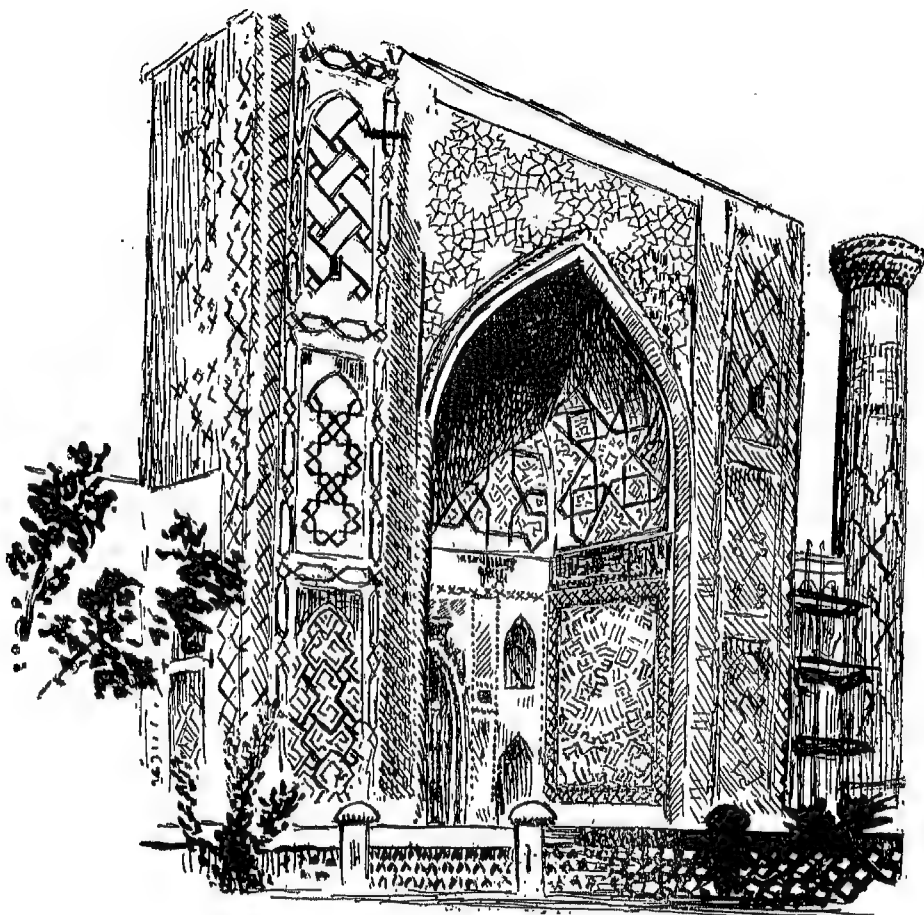




— مسجد قدیم فی بخاری



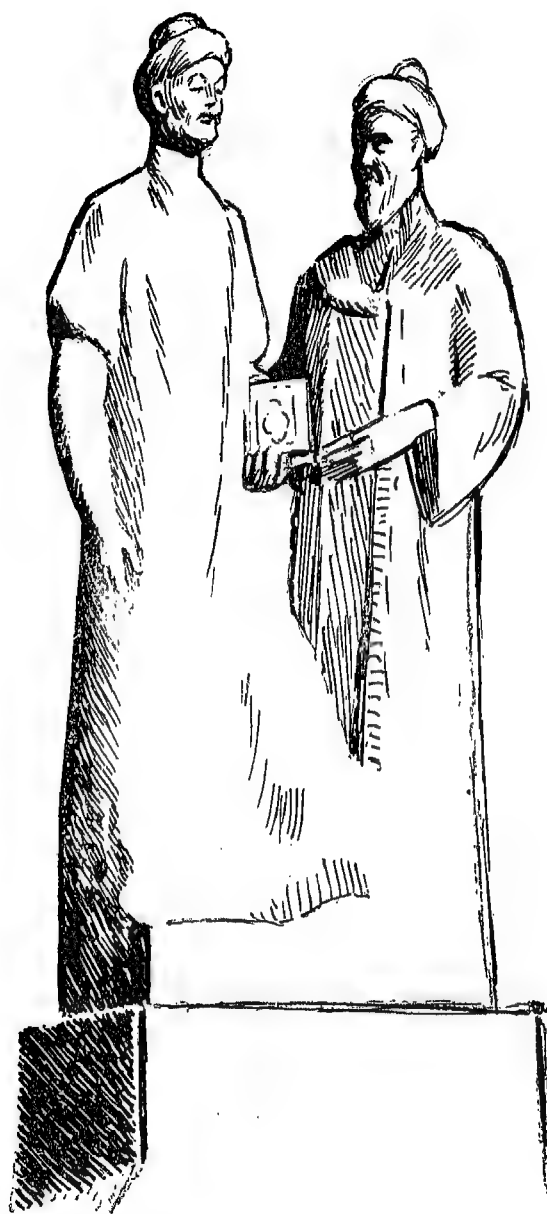
— فريخ الإمام « البخاري »



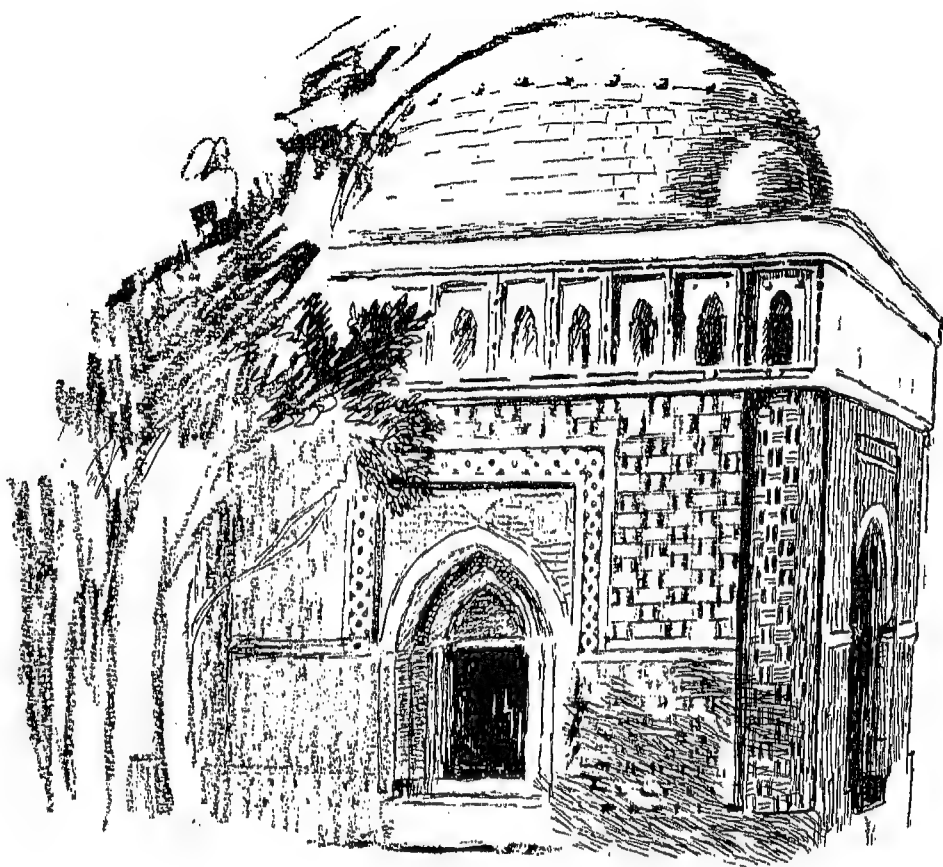
مدرسة أوليغ بك في سمرقند



تمثال علی شیر نوائی



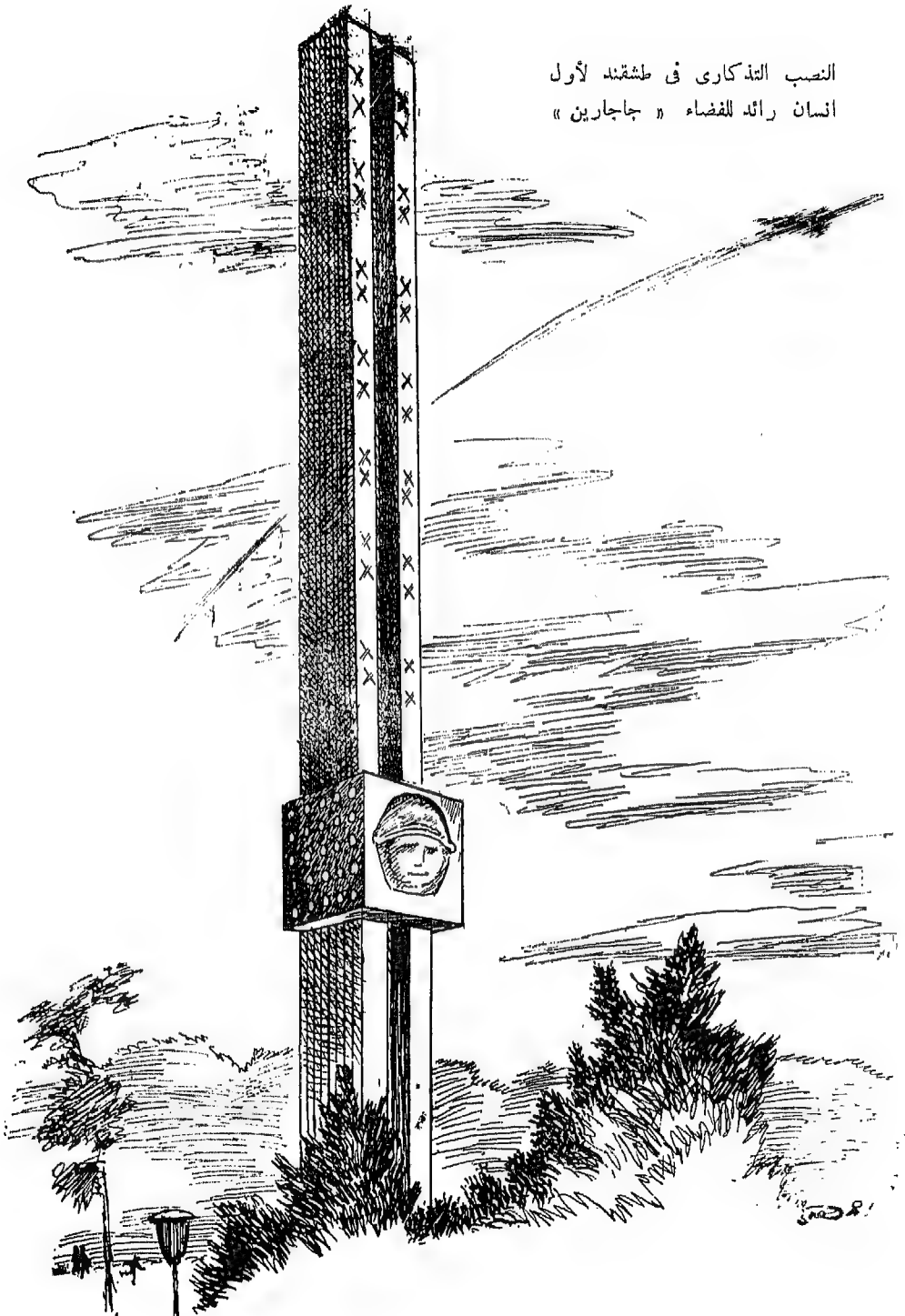
تمثال « شیر ذوائی و حمزة »

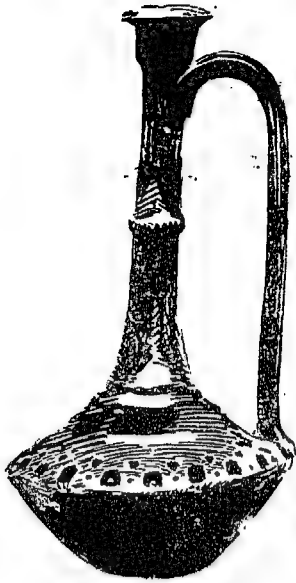


ضريح « اسماعيل ساماني » في سمرقند



النصب التذكارى فى طشقند لأول
انسان رائد للفضاء « جاجارين »





فنى معهد الأبحاث العلمية للفنون

بين مجموعة من الحقائق جميلة الهندسة ، حيث أحواض بأكملها
خصص كل واحد منها لنوع من الورد والزهور المنسقة كأنها لوحات
تشكيلية رسمتها أيدي فنانين عباقرة ، أقيمت عدة مبان حديثة الهندسة ،
أحد هذه المباني - يتألف من أربعة طوابق - هو مقر معهد علمى من أحدث
معاهد العالم وأعجبها . ذلك أنه ليس مكانا لإنتاج الفن ، بل هو متخصص
في القاء النظرة العلمية على كل ما يدخل في دائرة الفنون وذلك بغرض استخلاص
المعارف الفنية التي تساعد في فهم الفنون القديمة كالآثار وتاريخ الموسيقى
وآلاتها وأساليب التصوير والنحت والزخرفة والعمارة ، إلى جانب
المسرح والسينما ... وأجمالا ، الفطرة العلمية في كل ما يدخل تحت اسم
الفنون .

وكان لقائى مع ستة من العلماء المتخصصين في مختلف فروع الفن .

الأستاذ « رديك اسكندر ميخائيلوفتش » نائب المعهد وتخصصه
في علم المسرح ، والأستاذة « دليار فان سعيدوا » ومتخصصة في الرسم
الأوزبكي والسوفييتي ، والأستاذ « مدحت بن سعد الدين بولاتوف »
متخصص في الهندسة المعاصرة وهو أحد النقاد والفنانين البارزين وهو

- الخارطة للرام « ف . فادييف »



واضع تصميم فندق طشقند ، والاستاذ « عمروف عبد الحى رشيدوفيتش »
مدير قسم الفنون التشكيلية المعاصرة ، والاستاذ « تورغونوف
بخادور عزيز وفيتش » نائب البعثات الاثرية فى الخارج وهو اركيولوجى
ومتخصص فى علم الفن ، والاستاذ « اكباروف حميد الله الياشوفتش »
وتخصصه فى علم السينما .

وقد كانت لدى عدة اسئلة حول دور المعهد وعن انجازاته الاخيرة ،
وبخاسة عندما شد انتباهى كتاب مصور فى طباعة متطورة جدا عن آثار



العروس للرسام «ج. كوپير مورادوف»

مدينة «خيوا» التي اكتشفت أخيرا - الى جانب مواضيع أخرى كنت حريصا على معرفة أى شئ عنها .

وقد أفاض كل مسئول في الإجابة على ما طرحته من أسئلة ، كل في حدود اختصاصه . وبعد ثلاث ساعات كاملة خرجت بمعلومات وافية رأيت أن اضغطها في أضيق الحدود .

فالمعهد - الى جوار الاسم المكتوب على رأس هذا الفصل - يطلق عليه اسم واحد من أبرز رجال الفن هو « حمزة حكيم زادة نيازى » الذى يعتبر مؤسسا لفروع عدة في ثقافة أوزبكستان من المسرحيات والدراما والشعر .

تأسس هذا المعهد سنة ١٩٢٨ وفى البداية كانت الثقافة متخلفة ولهذا كان المعهد مجرد ادارة صغيرة . وجاءت الحرب العالمية الثانية . فأغلق لمدة سنتين . ثم فتح ثانية سنة ١٩٤٣ وهو ما يدل على أن الحكومة ، رغم صعوبات الحرب وأعبائها الثقيلة ، فانها كانت تهتم بعلوم الفن .

وأول اهتمامات المعهد تتجه نحو تاريخ الفن الأوزبكي من عمارة وفنون تشكيلية ومسرح وموسيقى وسينما وباليه وتلفزيون ويعمل به حوالى مائة موظف .

وهذا المعهد من أكبر معاهد الاتحاد السوفيتى وله اتصالات مع المنظمات الفنية والثقافية والعلمية بالخارج ويباشر ارسال بعثات أثرية

الشاي جاهز... للرسم « أيتوفانوف »



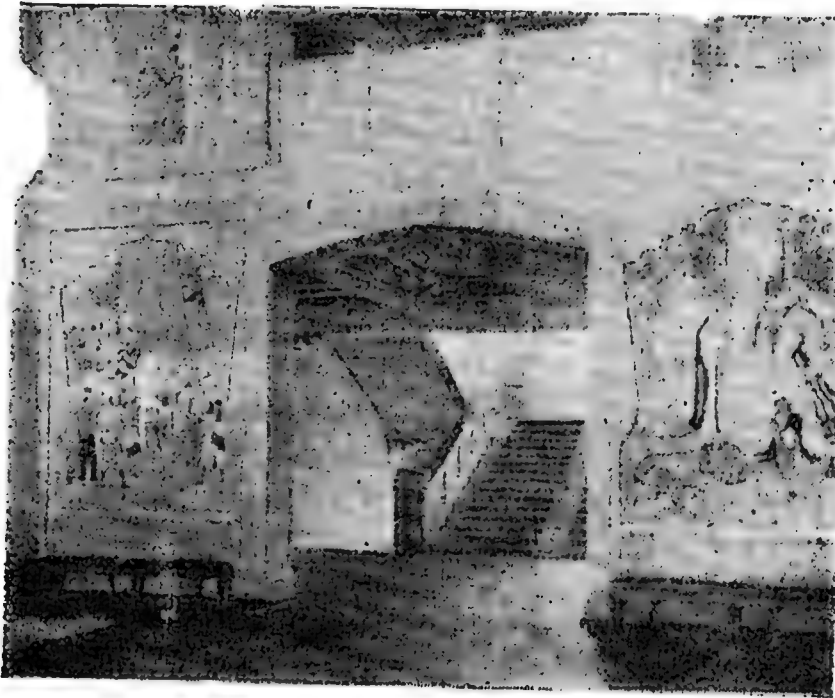
للخارج ويركز على دراسة آثار سمرقند القديمة وبخارى والثقافة التاريخية والحفريات في أماكن عديدة من أوزبكستان ، كما أنه يعمل الآن في أفغانستان ، والهدف الأخير للمعهد هو اخراج الدراسات عن كل فرع من فروع الفن .

وجميع العاملين بالابحاث ممن سبق تخرجهم من المعاهد العليا ، وبخاصة معاهد طشقند للفن والكونسرفاتوار وأقلية غيرهم درسوا في موسكو ولينينجراد . وبعد ذلك يمضون سنتين في الدراسة بهذا المعهد ويوضعون في درجة ترشحهم للدخول في درجة الدكتوراه . وهذه الدرجة وسنط بين الماجستير والدكتوراه ويعمل بالمعهد مجموعة من العلماء البارزين في مختلف التخصصات .

وعندما سألت عن مصير الدراسات التي يعدها المعهد ، عرفت أنها تطبع الى جرت نشرات تنزل السوق للتداول ، وتتم الطباعة في القاعدة الاساسية بطشقند في دار النشر للأدب والفن واسمها « غافور غلام » وهي باسم واحد من أبرز الشعراء . وإلى جانب هذا تطبع أيضا بموسكو ولينينجراد وأماكن أخرى ، وتصدر باللغة الأوزبكية وكذلك بالروسية التي تصدر بها أكثر الكتب لغرض الدعاية للفن الأوزبكي في جمهوريات الاتحاد .

وفي مجال كشف الآثار ، فقد تم اكتشاف هام في منطقة (رسوخانداریا) .
بمحافظة سمرقند ، حيث وجد هيكل لصبي صغير (٨ سنوات) وبجواره
أدوات عمل ويرجع تاريخ هذا الكشف الى عصر انسان (النياندرتال)
وهو موجود الآن بمعهد « سمرقند » .

وفي منطقة « دنيو » كان التوفيق من نصيب الدكتورة « جالينا
آناوليغنا بوبا تشنكوفا » - الحائزة على جائزة « حمزة » ومؤلفة « تاريخ
الفن الأوزبكي » - وذلك عندما بدأت أولى ضربات الحفر في قصر
« خالشايبان » اذ وجدت تماثيل من الطين صغيرة الحجم لا يزيد أکثرها
عن حجم الكف وهى تمثل رؤوس الحكام والجنود والنساء والفرسان في
غرفة ، الاستقبال ، ويوجد تماثيل من هذا النوع للملك وحراسه وضيوفه
وترجع بالتاريخ الى ٢٠٠٠ سنة (القرن الاول قبل الميلاد) ونظرا لانها
مصنوعة من الطين وهو قابل للتفكك بسهولة ، فقد تم الوصول كيميائيا
الى نوع من الصمغ الخاص الذى صنع في هذا المعهد ، وحقنت به التماثيل
الى درجة من التشيع جعلتها صلبة لا يسهل تهشيمها . أما الآثار التى
وجدت داخل المدينة فهى مصنوعة من الجبس . كما وجدت أيضا قوالب
صغيرة من الطين مما يستخدم فى صب التماثيل .



وقد شاهدت في الطابق العلوى من المبنى جناحا مخصصا لهذه الاكتشافات الاثرية. وقد الحق به معمل صيانة علمى للمحافظة عليها وتجهيزها للعرض . وهذا الجناح حديث الانشاء ، وهو في نفس الوقت نواة لا بأس بها في مجال الكشف الاثرى للفنون التشكيلية .

وعندما سألت عن مدى تأثير الفنون التشكيلية هناك بالنيارات الحديثة والتي أبرزها (التجريدية والسوريالية) ، جاءت الاجابة واضحة مؤكدة وفي نفس الوقت كانت منطقية تماما وهى :

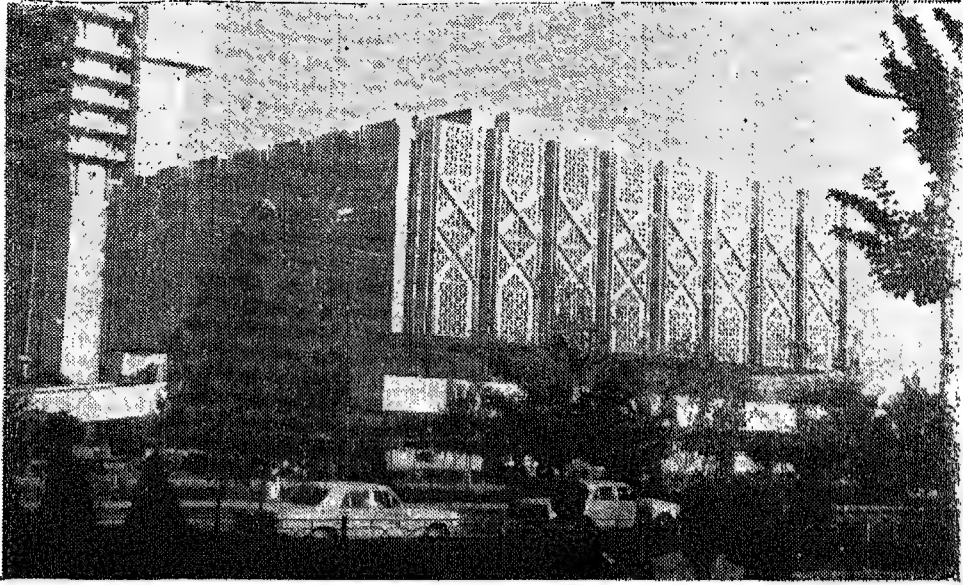
أن هذه الاتجاهات غير موجودة في الفنون التشكيلية التقليدية كالتصوير والنحت والرسم عموما ، ولكن الذى يزور انشاءات معمارية مثل متحف « لينين » أو مسرح « على شيرنواى » فسيرى الاستخدام القديم للفن ، وكذلك في المتحف الرسمى للفن ومتحف الفنون التشكيلية حيث الدليل الواضح على الفن الاوزبكي الاصيل . فالتجريد له استخدام واحد عندنا ، وذلك باعتباره عنصرا تجميلا في الزخارف المعمارية أساسا .

ويعمل بالمعهد واحد من أبرز المتخصصين في « السيراميك » وهو مرشح لجائزة الدكتوراه واسمه « محيى الدين رحيموف » - وهو يعتمد على ما تخرجه الاكتشافات الاثرية في الحفريات من الفن القديم حيث يتولى دراستها فنيا ثم يباشر عملية التطوير بما يحافظ على طابعه الاصيل . والمثال على ذلك موجود في مسرح « شيرنواى » حيث توجد على جدرانه رسوم على نمط الفن القديم ، ويبدو هذا جليا في فن « الجرافيك » وكذلك في فن النحت الحديث بالفندق الجديد الذى أقيم في « سمرقند » وأوضح الادلة على الاستخدام الزخرفى للتجريد يمكن مشاهدته في مدينة « نوائى » بالصحراء .

خطوات الدراسة العلمية الفنية

جميع المتخصصين موزعون حسب الاقسام ، حيث يقوم علماء كل قسم بوضع برنامج العمل لعدة سنوات ، وهم بأنفسهم يحددون اهم المواضيع التى لهادور في تلبية الاحتياجات القائمة . وتتم مناقشة ودراسة هذه البرامج في المجلس العلمى للمعهد حيث يتولى كل واحد من العلماء العرض والمناقشة في موضوع تخصصه .

ويكون للمتخصصين العلميين المبتدئين مستشار من العلماء ذوى الخبرة . وعندما ينهى أحد الاقسام عمله تتم مناقشة هذا العمل داخل القسم . كنوع من المراجعة ، ثم يقدم الى المجلس العلمى لترشيحه بالقبول حيث يقرر المجلس الاعلى ويوصى باخراجه في مطبوع معتمد من المجلس



— فرع متحف لينين في « طشقند »

الى دار النشر التى تعمل وفق برامج وأولويات ، كما يتابع المجلس تنفيذه فى الموعد الذى يرى ضرورته .

الجوائز والمكافآت الانتاجية

أولا هناك لكل واحد من المعلمين بالمعهد مرتب على حسب درجته العلمية ، يعتمد عليه فى العمل . وإذا أتم دراسته قبل الموعد المقرر تقدم له مبالغ معينة بصفة مكافأة له ويقررها مدير المعهد . وبعض العلماء يقدمون دراسات عظيمة القيمة ، ولهذا فان النظام تشجيعا للاجتهاد العلمى أنشأ عدة جوائز على مستوى الاتحاد السوفييتى كله ، مثل جائزة « لينين » و « الجائزة الدولية للاتحاد السوفييتى » وجائزة الجمهورية باسم « حمزة » .

وفى المعهد اثنان من العلماء الذين أصدروا كتاب « تاريخ الفن الاوزبىكى » وقد حصلوا على أول جائزة للعمل العلمى بأوزبكستان ومدير المعهد « واحد زهيدوف » حائز على جائزة « حمزة » هذه .

هذا الى جانب جوائز الاتحادات المختلفة — الرسامين والادباء والسينمائيين — بصفة دورية كل سنة ، وكذلك الجوائز الدولية مثل جائزة جواهر لال نهرو الدولية التى حصل عليها الفنان العظيم « مختار اشرفى » عن باليه « تعويذة الحب » وأيضا حصل على جائزة جمال عبد الناصر الدولية عن الباليه الذى وضعه لمصر .

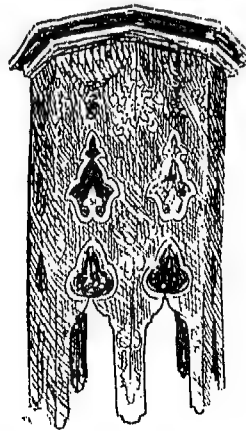
وفى الجوائز الأدبية ، منح لقب شرف للبارزين فى الفن والادب ، مثل ممثل الشعب أو نحات الشعب ، وكثير من العاملين بالمعهد حائزون على القاب الشرف هذه .

الاتجاه المعمارى الجديد

تنسجم دراسة المعمار الحديث فى جميع مدن الجمهورية مع التاريخ المعمارى القديم . وفى الفترة منذ قيام الثورة تراكمت معلومات ضخمة عن تاريخ الفن المعمارى الاوزبىكى ، كما توجد عمارات من القرن التاسع الى القرن التاسع عشر وهى كلها مسجلة علميا وتحت رعاية وحماية الحكومة ، كما توجد عشرات من المؤلفات عن هذه الطرز المعمارية . وقد بدأت هذه الدراسة العلمية فى هذا المعهد .

لقد كان مشاعا بين الناس أن بلدان آسيا الوسطى والاسلامية لم يكن فيها علم للعمارة ، وحتى اذا وجد عمل فنى عظيم ، كان يقال أنه جاء نتيجة وجود افراد جاءوا من الخارج ولهم خبرة معمارية . ولكننا وجدنا من المعلومات المدونة باللغتين العربية الفارسية ما يدحض هذا القول ، ويدل على وجود سابق لعلم الفن المعمارى فى بلدان الشرق الاسلامى وهذا يثبت لأول مرة فى التاريخ . ويتم جمع هذه المعلومات فى كتاب تحت الطبع الآن فى موسكو وقد يصدر فى السنة القادمة ، كما ننتظر صدور كتاب فاخر باللغة العربية عن « طشقند » وتعميرها وهو باسم « نهوض طشقند » .

وأخير ، فان العلماء يلقون عناية من الحكومة ومن الحزب الشيوعى حتى يتمكنوا من مواصلة النشاط والعمل .





مع الموسيقار العالمى مختار أشرفى

— الحائز على الجائزة العالمية « جواهر لال نهرو »
عن باليه « تمويذة الحب » وجائزة « جمال عبد الناصر »
العالمية — ١٩٧٣ — عن الباليه المصرى « الصمود »

عندما يقابل المرء انسانا للمرة الاولى ، يتولد لديه انطباع خاطف
كومضة البرق ، ويكون لهذا الانطباع اثر مباشر فى شكل العلاقة بينهما بعد
ذلك .

وهو ما حدث بالضبط — عندما دخلت مبنى كونسرفتوار طشقند ،
واجتازت عتبة باب مكتب مختار أشرفى ورايته وهو يتقدم فى منتصف
الغرفة وهو باسط يديه مستقبلا ومرحبا . وحتى قبل أن تلتقى كفى بكفه
بالتحية ، كان هذا الانطباع قد أحدث فى نفسى أثرا قويا جارفا ، يجذبنى
الى هذه الشخصية الحلوة بمعنى الكلمة . ففى الحال استحضرت ذاكرتى
لقاءين كان لهما أثر حاسم فى حياتى ، عندما التقيت بالأستاذين العظيمين
بكرم التونسى والشيخ زكريا أحمد . نفس الصفاء والوضوح والطيبة
والصدق والسمو الإنسانى كلها كانت تتمثل فى شخصيتى بكرم وزكريا .
وفجأة وجدتنى أمام مثيل لهما ، هو الاستاذ مختار أشرفى . ولا أظنى

قادرا على تسجيل كل مشاعري في هذا اللقاء وما أعقبه كما يستحق .
وعندما احتوتنا المقاعد أمام مائدة الاجتماع ، والتفت الى الأستاذ
« مختار » انتظارا لأسئلتى ، كاد الارتباك يستولى على . لولا أن تناولت
أقرب سؤال في جدول الموضوعات وهو الخاص برأيه في الانتاج الموسيقى
المصرى وبخاصة وأن له تجربة عملية عندما كان في زيارته للقاهرة والف
« باليه » خصيصا لمصر حصل به على جائزة جمال عبد الناصر الدولية .
وقد استرسل بعد طرح سؤالى في حديث استوعب كل ما كنت قد حضرت
من أسئلة .

أولا ، نقول أن الفن العربى هو الفن القديم . فالصلة الثقافية العربية
لها الأثر الكبير على بقى الشعوب الأخرى . وفي نفس الوقت فإنه استوعب
عديدا من الثقافات والفنون الأخرى في آسيا الوسطى وإيران ، كان لها دور
في مدى تأثيره عليها بعد ذلك .

وابتداء من القرن السابع وخلال الفتوحات الكبرى بعد الغزو
الإسلامى كان التأثير المتبادل قد بدأ يزداد ، حتى أن العديد من إنجازات
الثقافة والفن والعلوم في منطقة آسيا الوسطى عرفت من خلال العرب ،
مثل ابن سينا ، لا عن طريق الأوروبيين . فمثل ابن سينا والبيرونى لا
يصح ربط - نسبتها الى بلد محدد لانهما كانا للانسانية جمعاء . وكذلك
كان الحال في الموسيقى .

وعندنا يعتبر شاش مقام بخارى . ولكن أسماء هذه المقامات أصلها
عربى ومعناها يأتى من العربى . وتوجد في مصطلحات - آسيا الوسطى -
كثير من المصطلحات اللغوية العربية ، فالتأثير المتبادل قائم بين آسيا
الوسطى وبين العرب .

منذ أشهر بعيدة زرت مصر مرتين ، وتجولت مع أصدقائى المصريين .
وبمعرفة الصحافة والجهات الرسمية ، وكان لى الشرف أن أكون أول
موسيقيار يضع باليهها مصرى . وقد وجدت هناك تشابها بين الموسيقى في
بلدينا . ولذلك ، عندما يستمع المواطن الأوزبكي الى اللحن العربى ، ومع
الملمه وإدراكه لمعانى الكلمات ، فإنه يستمع اليه كأنه أغنيته هو .
وماذا نقول عن الموسيقى المصرية المعاصرة ؟

أولا ، بعد انتصار الثورة المصرية سنة ١٩٥٢ أنجز الشعب المصرى
الكثير جدا في مجال الموسيقى .

فعلى مقربة من الأهرام ، وبمبادرة وفكر المرحوم جمال عبد الناصر
أنشئت مجموعة عظيمة من المدارس والمعاهد الفنية الموسيقية ، مثل فرقة
الكونسرتوات ومدرسة الباليه العليا والمعهد المسرحى ومعهد السينما
ومعهد الموسيقى القومية ، ولو أن الأخير أنشئ في زمن آخر واتحدت كلها في
أكاديمية الفنون وهذا الاهتمام والعناية بالفن الثقافى في مصر لا يوجد لهما



مثيل في اى بلد عربى آخر . بل نستطيع القول ، أن بعض بلدان العالم الغربى لا يوجد لديها مثل هذه المؤسسات الفنية المصرية . فعندنا مثلا لا يوجد معهد عال للباليه ، بل يوجد عندنا المعاهد المتوسطة فقط . وبالطبع فان هذه المؤسسات والمعاهد أنشئت حديثا . فمعهد الباليه لم يمض عليه أكثر من ١٥ سنة ومع هذا فقد أنجز الكثير . فخلال هذه الفترة أنجز المعهد العالى للباليه ، دون كيشوت ، وجيزيل ، بخشى سراى ، ودون جوان ، وفرانشيسكو داريمنى ، وغيرها . وقد تخرج من هذا المعهد (الباليه) فنانون لهم اسم لامع ، ليس في مصر فقط ، بل وفي الاتحاد السوفييتى كذلك ، أمثال عبد المنعم كامل ومناجده صالح وغيرهما ، كما أنهم معروفون في طشقند التى سبق أن قدموا بها حفلات وحققوا نجاحا كبيرا ، كما أن من الواجب أن ننظر بعين التقدير والاعتبار الى ما بذلته السيدة عنايات عزمى رئيسة المعهد في دعم التقارب الثقافى بين مصر والاتحاد السوفييتى ، والذي تحققت بتنظيمها للعمل المشترك بين فنانى بلدينا ، وهو الشئ الذى لمستته بنفسى .

وليس من قبيل الصدفة أن تحصل على الجائزة الدولية « جواهر لال نهرو » وأنى انتهز هذه الفرصة وأرجو أن تنقلوا تحياتى وتهانى وتمنياتى لها بالصحة ومزيد التوفيق .

أما كونسر فاتوار القاهرة ، فهى مؤسسة - نسبيًا - ناشئة ومع ذلك فان خريجيهما اشتركوا بنجاح في عدة مسابقات دولية في باريس ، وفي موسكو باسم « مسابقة تشايكوفسكى » ولهذا الأمر أهمية كبيرة وهناك كثير من المعاهد المشهورة والكبيرة لا تستطيع إرسال خريجيهما الى المسابقات ولهذا يكون هناك أهمية كبيرة لاشتراك المعهد (الكونسر فاتوار) بالقاهرة في مثل هذه المسابقات بعد أن برهنت على قدرتها ونجاحها العلمى .

ولعدة شهور ، اشتغلت مع أوركسترا القاهرة الهارمونية ، وقدمت في تلك الفترة عدة حفلات سيمفونية من مؤلفاتى ومن مؤلفات غيرى من

المصريين ، والكلاسيكيين . وبواسطة هذا الاوركسترا حققت وضع موسيقى باليه « دون كيشوت » و « فرانشيسكو داريمنى » و « بخيته » و « الصمود » في سنة ١٩٧١ ، وقد ادخلت تعديلا عليه بعد ٣٠ يناير ١٩٧٤ وعرض في قاعة جمال عبد الناصر بجامعة القاهرة ، وذلك باضافة جزء في نهايته تسجيلا للحادث التاريخي بالعبور المصرى في ٦ أكتوبر ١٩٧٣ .

أنا لا أقول هذا تقويما للأوركسترا السيموفونى المصرى ، فقد عملت معه وأعرف امكانياته وقدراته ، وكم كنت سعيدا بهذا العمل نظرا لوجود كفاءات موسيقية مشهورة اتيحت لها الفرص في دورة التدريب على قيادة الاوركسترا .

وانى الآن اذكر قاعة سيد درويش الرائعة ، واود ان اقول انه لا توجد كثير مثلها في بعض عواصم العالم . وقد زرت طهران وزرت هناك مسرح الاوبرا المسمى « روداكى » وهناك قاعة كبرى ، ولكن ليست مثل قاعة سيد درويش ، وقل نفس الشيء على الهند . بالرغم من أن تعداد ايران خمسون مليون نسمة ، فهى ومثلها باكستان أو بنجلاديش ليس لدى أحداها مسرح أوبرا ، وكذلك اندونيسيا . ومن البلاد العربية لا توجد في سوريا ولا لبنان دار للأوبرا . فأوبرا القاهرة التى بلغت من العمر ١٠٠ سنة هى اول دار أوبرا عربية وقد افتتحت بأوبرا « عايدة » التى فيها فردى خصيصا للمناسبة . وكان المفروض الاحتفال عام ١٩٧١ باليوبيل الذهبى لولا حرق المسرح . وقد أصدر الرئيس « أنور السادات » قراره في اليوم التالى لاعادة بناء مسرح أوبرا جديد ، وانى لمتأكد أن الشعب المصرى يستطيع بناء دار جديدة . وكل ما يدعو للأسف أن من بين ما حرق في الحادث المخطوط الاصلى لأوبرا عايدة الذى ضاع الى الابد ويستحيل استعادة كتابته أو الحصول على بديل له .

لهذا ، فانه - ولفترة مؤقتة - لا يوجد في مصر مسرح للأوبرا ، ولو ان الحكومة قد قررت اعطاء بديل في قاعة جامعة القاهرة ، وهو ما يدل على اهتمام الحكومة بالفن .

لقد كان لدى مصر متخصصون في مسرح الاوبرا بالقاهرة درسوا في معاهد في الخارج ، مثل أبو بكر خيرت وعزيز شوان وحسن رشيد الذى درس في ايطاليا ومنذ ثمانى سنوات تقريبا ألف انطونيو وكليوباترا ثم توفى ، وقد عزفت مقدمة هذه الاوبرا بمعرفتى وقيادتى (مختار اشرفى) وقد احضرت معى هذه المقدمة الافتتاحية في برنامج الفيلها رومونية الاوزبيكية وسوف تعزف في أكتوبر ١٩٧٤ مع مؤلفات أخرى لموسيقين مصريين معاصرين . وهذه الاوبرا مؤلفة تاليفا جيدا ولكنها تحمل لونا من الاسلوب الايطالى . وللأسف حتى اليوم لا توجد امكانية هذه الاوبرا



فى مصر : مع انه يوجد مغنو أوبرا من خريجى معهد القاهرة القادرين على اداء التعبير الصالح والمناسب ، وأذكر من بينهم ، من ذوى الصوت البريتونى « جابر البلتاجى » وكان من الممكن الافتخار به فى أى مسرح أوبرا . وهناك السيدة الشرقاوية ذات الصوت السوبرانو وغيرهما ، وللأسف لا توجد لديهم فرصة عرض قدراتهم الفنية العظيمة فى مسرح الأوبرا . مع وجود مثل هؤلاء المشاهير الفنانين كان من الممكن تحقيق تقدم أكثر فى فن مسرح الأوبرا . ومن وجهة نظرى ، أرجو أن تسمح لى بعرض بعض النواقص .

أرى أن من أخطر النواقص عدم وجود توحيد للفرق والإدارات . أن أى مسرح أوبرا فى العالم يتكون من أوركسترا ومن كورال ومن مجموعة مغنين أفراد وراقصين باليه ومستخدمين . وهذا يكون وحدة واحدة . أما فى القاهرة فكل هذه العناصر موجودة ولكنها موزعة ومتفرقة .

أوركسترا الفيلهارمونى فى وزارة الثقافة لها إدارة خاصة ، ولكن مغنى الأوبرا الفرديين لديهم الكونسرتاتوار . وفرقة الباليه لديها المعهد العالى للباليه . وأصحاب الديكور والمستخدمون والملابس والخدمات لديهم المعهد العالى للباليه . وبدون جمعهم فى مركز واحد لا يمكن إيجاد الباليه ، وهو رأى الشخصى الذى بنيت على الخبرة الطويلة .

هؤلاء المسئولون لديهم خبرة وتجارب وتدريب عملى كثير ولكن بدون اتحادهم لا يمكن الوصول الى أى نجاح فى مسرح الأوبرا .

وانى أقدر بشكل كبير فن الفولكلور ، وفى القاهرة توجد هيئة لذلك ، ومع أن هؤلاء المتخصصين متواضعون فإنهم يقومون بأعمال جبارة حيث يقومون بجمع الفن الشعبى الثمين المنتشر بين أفراد الشعب ، وهذا واحد من أفضل ثورة يوليو ١٩٥٢ . فعندما يضع الشعب يده على حضارته وثقافته يصبح قادرا على تحقيق الانجازات العظيمة ، وهى ظاهرة رائعة .

كما أن هناك مجموعة من المؤلفين الموسيقيين ذوى مهارة من مستوى عال . وفى رأى أنهم فى نشاطهم يقومون بالتوزيع الموسيقى ، ودون أن أقدر على ذكر الاسماء الآن ، فى السنوات الخمس عشرة الاخيرة تطور الفن الموسيقى الخفيف تطورا ملحوظا .

وهناك الفرق الموسيقية الرائعة ذات الاسلوب المحلى الخاص الذى لا يشبه الاسلوب الاوروبى ، وهذا شىء ثمين حقا لأن هذه الفرق فى أساليبها لا تتبع الاساليب القومية التقليدية . وهذه الفرق عادة تدور حول مغن أو مغنية .

(والتفت الاستاذ « اشرفى » ليلقى بدعاية عابرة ، حول أن هذه المعلومات تصلح لان تكون محاضرة بالقسم الشرقى هناك فى طشقند ، ثم تابع بعد ذلك) .

ولو أن هناك بعض الفرق التى تعزف الالحان الحديثة ولكن بعد مزجها بدوق اللحن القومى الشعبى .

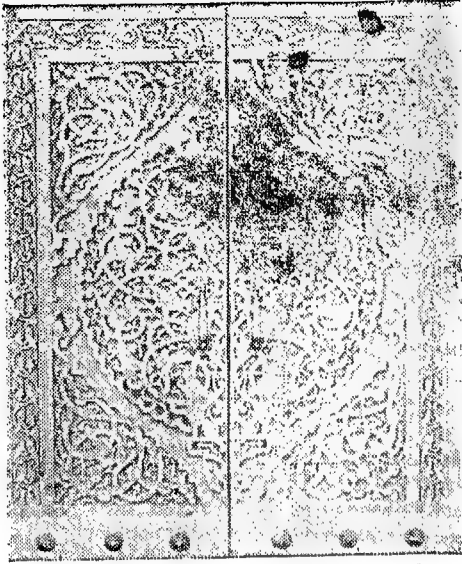
ومن خلال وجودى فى مصر ، تأكدت شخصيا من العناية الكبيرة التى تبديها وزارة الثقافة للموسيقى ، وأستطيع القول أنه فى أقرب رقت سوف يحتل الفن الموسيقى بالقاهرة مكانا مرموقا فى العالم .

وبعد ان انتهى الاستاذ « مختار اشرفى » من حديثه ، أخذت أتهيا للانصراف ، حينما دعانى لأن أدون كلمة فى مجلد الكونسرفاتوار ، وما كدت أنتهى من ذلك حتى أخذنى من يدى وهو يقول لنا - مع بوريس وناريمان - أنه كان يود لو دعانا لتناول الغداء معه لولا أن زوجته متعبة وأنه يرجىء الدعوة لفرصة قريبة ، والى ذلك الحين ، فلنتناول « عيش وملح » هنا . وخرجنا الى الشارع حيث يوجد على الجانب المواجه لمبنى الكونسرفاتوار مطعم وبوفيه من الطراز الحديث وهناك وجدت مائدة لستة أشخاص على جانب من الصالة وقد امتلأت بالأكل والشراب والفواكه . وقال لى الاستاذ « أشرفى » هذا المطعم اسمه « لذة » .

ولاحظت أن معنا على المائدة آخرين ، عرفت بعد ذلك أن من بينهم « أحمد عمر يلو ف » وكيل الكونسرفاتوار ، وهو فى نفس الوقت عازف على « الشانج » وهى آلة مثل القانون ولكن يتم العزف عليها بالطرق .
والثانى « صعبى زكيروف » وهو عميد كلية العازفين ومن أمهر عازفى البيانو .

وعندما بدأت الوليمة ، أمسك كل واحد بكأسه لشرب أول نخب . وأذكر أنه كان « فى صحة العلاقات الثقافية بين بلدينا » فتناولت كوبا وملأتها من زجاجة المياه المعدنية وكذلك فعل الاستاذ « أشرفى » . وبدل الجميع محاولات عدة لى اشرب من أجود خمورهم فاعتذرت لانى حريص على أن تظل العلاقات بينى وبين امعائى علاقات سلمية ، ونظرا لاصرارى فانهم وافقوا على مضض ، وكذلك فعل الاستاذ « أشرفى » نظرا لانه مريض بالقلب ومحظور عليه شراب أى نوع من الخمور مهما كانت خفيفة الاثر . وانتهز مضيفى فرصة توقف الحديث والانشغال فى الاكل فروى لى ما حدث فى أيام الخلافة فى بغداد عندما ضبط أحد السكارى وحبسوه . فانه بعد أن افاق من السكر ، أبدى تعجبه من معاقبته على تناول الخمر بينما القاضى يسمح بالشراب فى مجلسه كما يشرب هو أيضا . فجاء الجواب من أحد العقلاء فى هذه الجملة : نفذ أوامر القاضى ولا تفعل مثله .

وانه - الاستاذ أشرفى - يأخذ بهذه المقولة ، فالطبيب نهاه عن شراب الخمر رغم أنه يشربها .



باب خشبي بالزخرفة البارزة
للشبان « لك. جايداروف »

في متحف الفنون التشكيلية الشعبية

هو قصر كبير كان يملكه السفير الروسي « بولوتسوف » . ثم وهبه لغرض اقامة متحف للفن الشعبي . وما تكاد تجتاز البوابة الكبيرة المصنوعة من الحديد المشغول ، حتى تجد حديقة بديعة التنسيق في نهايتها سلاملك رخامي لبناء قديم الطراز يعلن عن عراقة معمارية من الاسلوب العربي المفعم بالزخارف والنقوش بمادة الفسيفساء والموزاييك المجل بالالوان والاعمدة الخشبية المشغولة بالزخارف المحفورة ، وايضا تلفت تلتقى عينك بالاشكال الزخرفية البديعة حتى السقف الخشبي . والشئ الملفت للنظر في هذه الزخارف ان وحداتها تتغير في تكوينها الواحدة عن الاخرى بالرغم من ان التكوين العام لها يجعلها متوازنة وتكاد ان تتماثل مع بعضها . فحائط الواجهة - حيث نافذة من الحديد المشغول بالرسوم والاشكال - نرى على يمين النافذة وعن شمالها وحدات متساوية في المساحة ، ولكنها معالجة في كل منها بطريقة مختلفة غير متكررة مما يكسبها غنى اكثر .

ومن السلاملك دخلت الى قاعة واسعة للضيوف الزائرين ، وهي من طراز عربي منتشر في « فرغانة » ويستخدم في زخارفها رفوف داخل الحوائط مصنوعة من « الجوانش » وهو نوع من الجبس . وفي هذه القاعة ما يصل الى ٢٠٠٠ وحدة زخرفية مختلفة عن بعضها ، وفيها أيضا محراب جميل النقش والقاعة بابان ، على اسم « دنيا مثال » اي تشبها بالدنيا . باب للميلاد وباب للموت ، او الدخول والخروج .

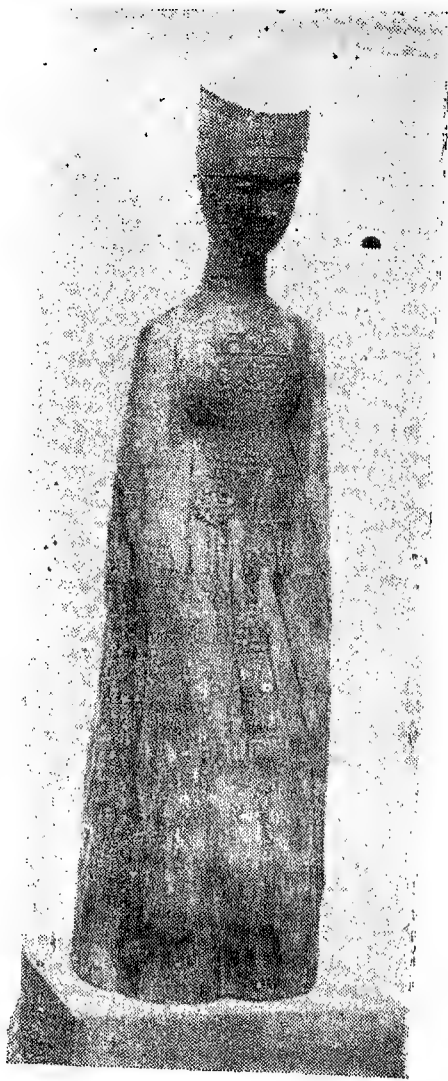
في الماضي القريب - ووضعوا الاسس والتقاليد الفنية القومية ونماذج من انتاجهم الذي تخصصوا فيه . وما يجدر الاشارة اليه ، هو أنه في القاعة نفسها أربع لوحات لأربع شخصيات من الفنانين الاساتذة في هذا المضمار الفني الشعبي ، رسمها نفس الفنانين لبعضهم البعض . اثنان من هؤلاء الاساتذة متخصصان في تشييل الجبس ومن رواده الجدد « شميرين مرادوف » و « تاشيولات ارسلان كولوف » وبالنسبة اسم « ارسلان » معناه بالعربية « أسد » ، واثنان أحدهما حفار لزخرفة الخشب وحفره هو « عطايا لفانوف » والرابع متخصص في تكوين الخشب بالزخارف التي تشبه المنمنمات الدقيقة هو « تاج تهاها تجايف » .

ومررنا بعد ذلك بقاعة السيراميك القديم ، وهو مصدر غني للدراسات الفنية المختلفة من جوانب متعددة ، فمنها يمكن التعرف على كثير من المعرفة التاريخية ، ومنها تستكشف العلاقات الثقافية مع مختلف الحضارات المعاصرة لها ، كما تعرف عن طريقها النقط المشتركة بين الذوق القومي وسائر الاذواق الفنية للشعوب التي تعاملت معها والتأثير المتبادل بينها ، هذا الى جانب الطرق المهيئة والتكنيكية التي استعملت لانتاجها ، ويدخل في هذا الباب الجانب الكيميائي واستخدام المواد الدابغة في حرق الطين . وفي هذه القاعة تعرض انواع من الاطباق البديعة التصميم والنكون ومن مجرد تتبع الاماكن التي اكتشفت بها والازمنة التي صنعت فيها ، يستطيع المرء معرفة خطوات التطور الذي سارت فيها هذه البلاد مع الزمن .

فالاطباق المبططة التي من منطقة « لاجان » والاخرى العميقة من منطقة « باديا » تعطى للمشاهد مؤشرا واضحا في هذه الناحية . أما اطباق بخاري فان ألوانها المتعددة والأكثر اشراقا تشير الى مدى التطور الذي تحقق في هذه المدينة في تلك الفترة من الزمن . وكذلك العمل الذي يسمى « شخري سابر » - ومعناها المدينة الخضراء - يؤكد كيف وصلت بخاري الى درجة كبيرة من التطور .

أما السيراميك الذي وجد في « سمرقند » فيؤكد أنه أقدمها عمرا ومن اشهر المتخصصين في السيراميك الحديث الآن هو الاستاذ « ريجموف »

ومررت في قاعات عديدة زينت حوائطها بانواع من السجاد البديع في تصميمه وألوانه ، ويعتبر هذا النوع من الانتاج الشعبي في الاتحاد السوفييتي من التراث الفني الذي لا يسمح باخراجه من البلاد ، وهو صناعة يدوية . والى جانب هذه السجاجيد الرائعة نوع من الانتاج القومي من النسيج اليدوي والمطرز يدويا وتمتاز به هذه البلاد ، وهي الشيلان (جمع شال) بألوان زاهية متعددة الاذواق وان كانت كلها تشترك في طابع واحد قومي . وفي قاعة اخرى تعرض داخل فاترينات مجموعة بديعة من الطواقي التي تشتهر بها



تمثال منحوت من الخشب
تشتهر المنطقة باستخدام
الخشب المنحوت والمزخرف
في إقامة الأعمدة الطويلة
في المباني وفي السقوف

أوزبكستان . وهي مربعة تماما وتملؤها الزخارف الملونة وكلها صناعة يدوية ولهذا تكون قيمتها أعلى . وكانت آخر قاعة بالدور الأرضي تحتوى على فائرينات بها تماثيل صغيرة أثرية مصنوعة من الجبس والطين وجد من بينها تمثال « نصر الدين خوجة » الذى اشتهر فى بلادنا باسم جحا .

وفى الدور العلوى وجدت قاعة كبيرة للآلات الموسيقية المختلفة واكثرها عددا هو « البزق » الى جانب أنواع من آلة « القانون » وهو شبيه « بالعود » ، وآلات النفخ أهمها « الناي » و « الدفوف » .

والى جانب هذا توجد مجموعة من القفاطين التى كان يلبسها الاغنياء
والحكام وكلها مشغولة بالقصب والذهب والجواهر المختلفة والسيوف
الشمينة المرصعة بالجواهر .
وهبطنا بعد انتهاء الجولة ، وكان الجو شديد الحرارة . وفى الحديقة ،
وتحت شجرة « أم الشعور » كانت عدة مقاعد بسيطة ومريحة فى انتظارنا ،
وهناك تعرفت بمديرة المتحف الرفيعة « سائلة محمود و فنا عبد
الرزاقوا » وقد أخذت منها بعض المعلومات عن هذا المتحف .
ففى الذكرى العاشرة لتأسيس جمهورية أوزبكستان ، أى سنة
١٩٣٧ تم تنظيم واقامة معرض للأعمال الفنية الشعبية ، ثم رثى انشاء
متحف للفنون التشكيلية ، واعتبار هذه المعروضات نواة للبداية . ومنذ
ذلك الوقت أصبح هذا المتحف مخصصا للإنتاج الشعبى وحده .
سألتنى السيدة « سائلة » عن الفنون الشعبية المشيلة عندنا وهل لها
متحف خاص ؟ وقد بدا عليها الجزع عندما قلت له أن مثل هذا المتحف غير
موجود عندنا ، ولم يستمر هذا الجزع طويلا ، بعد أن عرفت أن لدينا
أنواعا من الفنون التشكيلية الشعبية موزعة بين متحف الفن الاسلامى
ومتحف الفن القبطى وبعض المراكز المتخصصة ، وزال جزعها ليحل نوع من
التعبير عن رغبة علمية أصيلة وقالت ، أرجو أن يجمعها قريبا متحف



شفيق أنوروف يستعرض رسوبه

واحد ، فالشعب الذى أنتج الفن القبطى هو أيضا الذى أنتج الفن الإسلامى وهو الذى سيظل ينتج ، وتجميع هذه الفنون فى موضع واحد يزيد من قيمتها لأنه يعلن عن ثراء شعبكم المتواصل وقدرته على التعبير المبدع عن ذاته . وقد بدا عليها الاهتمام الشديد عندما وصفت لها بعض ما يضمه المتحف الإسلامى من الإنتاج الفخارى لفوهات أوانى شرب الماء « القل » وهى عبارة عن دائرة باتساع حلق الإناء « القلة » وبها ثقب تسمح بمسور الماء منها وتتحكم فى تدفقه . وفى المتحف مجموعة من هذا السدادات تصل الى المئات ، وكل واحدة منها مزخرفة بشكل مختلف عن غيرها ، وكلها زخارف بديعة التصميم تدل على موهبة زخرفية أصيلة .

وقد لاحظت أن الحرارة الشديدة التى كنت أعانى منها منذ قليل قد خفت وأصبح الجو أكثر احتمالا ، ولعل السبب فى هذا هو الشجرة الكبيرة التى تظللنا والمياه التى تنساب حولنا من أعمدة رخامية تصب فى أحواض صغيرة فى قمة عامود وتنساب منها الى أحواض الزهور والورد . وعلى الباب الخارجى ودعنا السيدة « سالة » وهى توصينى بأبلاغ سلامها الى الذين التقت بهم عند زيارتهم للاتحاد السوفيتى وصممت على أن أدون أسماءهم حتى لا أنسى ، وظلت تكرر هذه الاسماء ونحن نأخذ طريقنا مبتعدين :

رسام شعب أوزبكستان / شخيز أخروف

من أبرز خبراء الرسم فى أوزبكستان - ولد سنة ١٩١٢ - وهو يعمل فى أوزبكستان منذ ١٩٢٧ - بدأ إنتاجه الفنى بإشرافه فى معارض الفنون فى سمرقند وطشقند ومن خلال عمله فى عدة دور للنشر . تعلم فى موسكو فى الفترة من ٣٥ - ١٩٤٢ بمعهد الفنون بموسكو (معهد سوريكوف) . حصل على الدبلوم ثم واصل دراسته العليا وفى عام ١٩٤٩ حصل على الدكتوراه فى الفنون . حصل على الجائزة الأولى للإتحاد السوفيتى بعد أن قام برسم اللوحات الحائطية بمسرح الأوبرا والباليه بطشقند وهو متخصص فى رسم الشخصيات portrait . وقد قام برسم عديد من اللوحات الحائطية المشهورة المعروفة فى عديد من المدن السوفيتية والى تستخدم فى تزيين عديد من المباني العامة، الفنادق والمسارح وأنفاق المترو بموسكو . رسم لوحتان عن حياة الشاعر الشرقى المعروف ألبشير نأفولى . وهو الآن رئيس قسم الرسم بمعهد طشقند البوليتكنيكى ، ويرأس قسم اللوحات الحائطية بمعهد الفنون المسرحية بطشقند .



الشعار الثابت لجهة الكاريكاتير الاوزبكي « موشتوم »



مواضيع النقد الاجتماعي تحتل مكاناً بارزاً في الكاريكاتير الاوزبكي ،
وفي كثير من الأفكار تعبير فلسفي للحياة . وفي هذا الرسم تعبير عن وضع الأم . .
حيث يصارع الأطفال عليها وهم صغار . . وعندما يكبرون تنعكس الآية

فنى مجلة الكاريكاتير موشتموم



كنت متحمسا لمقابلة الزملاء فى مجال الكاريكاتير ، لهذا تعمدت ان نذهب قبل موعدنا بساعة تقريبا . وامام المبنى الذى يضم وزارة الثقافة توجد عدة محال تجارية صغيرة فأخذنا نتفرج على معروضاتها - كنوع من انساعة الوقت حتى يحين الموعد - ولكن الداء غلاب ، ففى إحدى المكتبات الشعبية لم أستطع مقاومة الاغراء بشراء مجموعتين للفنانين الشعبيين وتاريخ حياتهم ، وكذلك مجلد بالالوان النافرة عن آثار « خيوا » . وفى الموعد المحدد كنا نصعد الدرج الى الدور العلوى حيث وجدنا اثنين فى انتظارنا امام أحد الأبواب . وعلى مائدة اجتماع حافلة بالفاكهة وزجاجات المياه المعدنية تعرفت بالفنانين الحاضرين .

« ابراهيم رحيموف » رئيس التحرير ، و « خاليقوف » الرسام الاول و « شاكروف » رئيس قسم الرسم ، و « قونسكار بيلوف » نائب المحرر ، و « عباس محيى الدينوف » رئيس قسم الحكايات النقدية ، و

« قطب خان نصيروا » عضو هيئة التحرير ، و « ظاخذجان عبيدوف » الشاعر عضو هيئة التحرير .
 وكان استقبالهم طيبا « لزميل في الفن » على حد تعبيرهم . ثم بعدها عرفت قصة المجلة وهي كما حكاهما الى الفنانون .
 بدأت تصدر منذ ٥١ سنة - اى قبل اعلان الجمهورية بسنة - ونعتة بن



رئيس قسم الرسم ————— م بالمجلة
 ملايح تسيل لعاب ريشة الكاريكاتير

من أقدم المجلات في الاتحاد السوفييتى ، كما أنها المجلة الثانية للكاريكاتير بعد « الكروكوديل » - وقد حازت « موشتوم » على شهادة الشرف من المجلس الاعلى للجمهورية في السنة الماضية بمناسبة مرور خمسين سنة على اصدارها ، وكوفىء أكثر العاملين بالمجلة في نفس المناسبة بلقب « خادم الثقافة » .

كانت تصدر في أول الأمر - ملحقا للجريدة المحلية « قزل أوزبيكستان » - وقزل يعنى الأحمر - ثم بعد ذلك استقلت بذاتها ، وهي تصدر نصف شهرية وتطبع كل شهر ٦٠٠ ألف نسخة .

ليس في المجلة أكثر من ١٨ موظفا ، من بينهم ١٢ بارتباط كامل ومباشر ، ومن بينهم من خرج من صفوف العمال والفلاحين والمثقفين بالاضافة الى ان للمجلة مراسلين في الاريااف .

وقد اشترك في تأسيس « موشتوم » عدد من الكلاسيكيين المشاهير مثل



عن الموقف في باريس

« حمزة حكيم زاده نيازى » و « عبد الله قادرى » و « غازى يونس »
وغيرهم . كما ان ابرز الشعراء والكتاب الاوزبكيين يساهمون فى تحريرها :
ومنهم غفور غلام - وهو شاعر شعبى معاصر .

وسألت عن اسم المجلة « موشتوم » : فالمعتاد في اختيار أسماء
المجلات الكاريكاتيرية في مختلف أنحاء العالم ومنذ ظهورها ، أن كل اسم يحمل
معنى معين . وكانت الإجابة ، أن هذا الاسم معناه « القبضة » قبضة اليد
طبعاً .

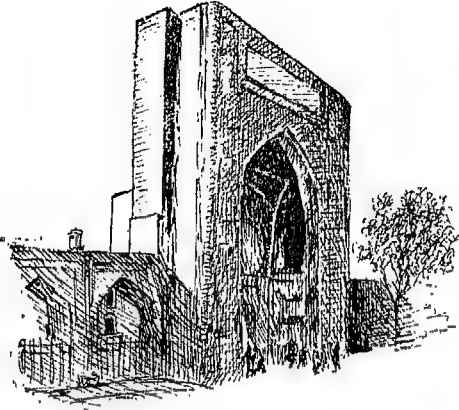
وعن ظاهرة استخدام الشعر في مجلات الكاريكاتير ، فالشعر
المرح ، والناقد باللغة العامية (الزجل) يجد مجالا صالحا له في حيز صحافة
الكاريكاتير . وذلك أن الارتباط بين الكاريكاتير والزجل موجود في الهدف
المشترك وفي أسلوب التعبير . وهدف الاثنين هو نقد الظواهر الاجتماعية
التي تناقض التطور الذي يعمل الجميع من أجله ، والتعبير عن هذا النقد
بأساليب السخرية والمزاح اللذين يحرصان على التغيير الموضوعى ويعبئان
الرأى العام في طريقه .

وتناولت في ختام هذا اللقاء موضوع مكتبة الكاريكاتير ، وقد أظهرنا
اهتماما شديدا عندما ذكرت لهم أن نقابة الصحفيين بالقاهرة قد أخذت
قرارا بإنشاء هذه المكتبة بها ، وقد اقترحوا على أن أسعى لاقامة أى شكل
ممكن من أشكال التعاون وتبادل الخبرة الفنية بين بلدينا .

وعندما تهيأنا للانصراف ، قدم الى رئيس التحرير هدية تذكارية لهذه
الزيارة ، وهى طاقة وطنية مزركشة مع بضع أعداد من مجلتهم موشتوم .
وعندما أصبحنا خارج المبنى ، وقبل أن نبتعد ، كان وراءنا صياح
فتوقفنا لنرى فتاة من المجلة تجرى نحونا وهى تقدم صحنبة من الزهور
الجميلة . ويعتبر أهداء الزهور رمزا للتقدير والمودة .



بدون تعليق



مع فضيلة الشيخ اسماعيل مخدوم

واجهت من الطراز الاسلامى الاوزبكي ، عالية الارتفاع عريضة المساحة تتوسطها بوابة ضخمة ، هناك كان موعدا مع رجال الدين الاسلامى فى المنطقة .

وكان يقف على الباب بضع اشخاص بالملابس الافرنكية وبالملابس التى تميز رجال الدين المسلمين ، واستقبلونا بعد التحية بالترحيب المهود ثم دخلنا الى قاعة مليئة بدواليب حفظ الكتب حيث تغطى ثلاثة ارباع القاعة . وهناك التقيت بفضيلة الشيخ « اسماعيل مخدوم ساتيوف » نائب المفتى .

هذا المكان هو الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وكازاخستان وهذه الادارة هى التى تشرف على شئون المسلمين فى خمس من جمهوريات الاتحاد السوفييتى وهى :

تركمانيا واوزبكستان وقيرغيزنا وكازاخستان وطاجستان . منها ثلاث جمهوريات تحتفل هذا العام بعيد تأسيسها الخمسينى .

وتأملت ملامح فضيلته مليا ، فوجدت الشبه العجيب بينه وبين بعض رجال الدين الذين عرفتهم . نفس الهدوء والامتلاء بالرضى الارادى مع تقدير بثقل المسؤولية التى تراها مرتسمة على وجوه كل من يباشرون رعاية وخدمة الناس والسعى فى مصالحهم ، وكنت بين حين وآخر أجرى بالقلم على دفتر الرسم الصغير الذى احمله ، بينما يواصل فضيلته الحديث .

قبل الثورة كانت هذه المنطقة كلها - التى تعرف باسم آسيا الوسطى - مستعمرة قيصرية بكامل المعنى ، اذ كان القيصر ومن يستعملهم فى حكم البلاد ينظرون الى هذه المنطقة على أنها ملك خالص للقيصر بغير شريك . ولم تكن القيصرية تبدى ادنى اهتمام برفع رفاهية هذه الشعوب بغير استثناء .

المفتي «ضياء الدين باباخانوف» رئيس الإدارة
الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وكازاخستان



وكانت أربع من هذه الجمهوريات تتكلم باللهجة التركية ، ولها تاريخ عريق وعثيد في سجل الحضارة الانسانية كما هو معروف .

اما كيف جاء الاسلام هنا ، ففي سنة ٣٤ هجرية (٦٥٥ م) وفي عهد عثمان ، كان اول دخول الاسلام في تركمانيا . ثم اخذت مبادئه تتسع تدريجيا أيام كان يسميد بن عثمان حاكما على خراسان (٥٢ هـ - ٦٧٣ م) اى بعد ثمانى عشرة سنة ، وبعدها بدا انتشاره يرداد سرعة منذ عهد قتيبة بن مسلم (٦١ هـ - ٧٢١ م) الى أن وصل حتى حدود الصين .

واتسعت الابتسامة على وجه فضيلة الشيخ عندما تساءلت عن اثر هذه الادارة في الرقعة العريضة الهائلة التى تشمل كل الاتحاد السوفييتى . ولبتت هذه الابتسامة الطيبة بضع لحظات قبل أن يجيب .

ان المسلمين اربع ادارات لشئونهم موزعة في أنحاء الاتحاد السوفييتى ، وهذه الادارة احدها .

وتطرق الحديث - وكان لا بد ان يتطرق - الى العلاقة بين طوائف المسلمين وبين نظام الحكم السوفييتى ، فقال فضيلته .



— فضيلة الشيخ « اسماعيل مخدوم
سمائوف » نائب المفتي

أن دستور النظام السوفييتي منذ وضع حتى الآن لم يتغير في هذه المسألة . وهو يقضى بفصل الدين عن الحكم ، وترك لأصحابه حرية التصرف الكاملة في شؤنه ويصرفون أحوالهم كيف يشاءون — ولهذا فالمسلمون يؤسسون إدارتهم الدينية بالانتخاب ، وتوجد الآن للإدارات الأربع أجهزة^١ منتدبة من بين مندوبي المسلمين . وهذه الإدارة تضم عشرة أعضاء منتخبين لمدة خمس سنوات ، ومن بينهم رئيس منتخب هو فضيلة المفتي « ضياء الدين باباخوف » ويعاونه في إدارة النشاط نائب ومساعد وباقي الأعضاء الذين ينحمل كل واحد منهم مهمة محددة ، في مساحة الجمهوريات الخمس .

هذا هو المستوى المركزي للإدارة .

ويوجد في آسيا الوسطى نحو مائتي مسجد وجامع كبير ، وكل واحد منها يعتبر مركزا لجمعية دينية في دائرتها ، يتم انتخاب أعضائها مباشرة

من قبل جماهير المسلمين وبواسطتها تشرف الادارة الدينية على الحركة الاسلامية .

وتتألف ميزانيات الادارة الدينية ومراكزها من تبرعات المسلمين ، بنفس الاسلوب الذى جرى عليه قديما بالتعاون بين المسلمين هنا ، والذى مازال معمولاً به حتى الان حيث يتبرعون من حين لآخر بالاموال لخزينة الادارة الدينية المركزية او للمساجد . واذا احتاج المسلمون الى مواد البناء ، فالحكومة تباع لهم ما يحتاجون منها .

وهذه المراكز يقوم بينها تعاون وثيق وتضامن فى أمور الدين ويتم اختيار الائمة والخطباء لهذه المراكز بطريقة ذاتية فى كل دائرة .

كما أن هذه المراكز تتولى اعداد موظفى مدارسها فى بخارى ، كما أن فى طشقند مدرسة عليا تخرج منها الكثيرون الذين يعملون الآن فى الخدمة كأئمة وخطباء فى المساجد .

ويدخل فى اختصاص الادارة الدينية والمراكز تنظيم الاحتفالات بالمواسم الدينية وشئون الاحوال الشخصية من نكاح وطلاق وميراث وصلوات جماعية وكذلك الاعياد والجمعة ، ويسير هذا النشاط على نظام واضح تماما .

أما حرية الدين والعقيدة ، فمنصوص عليها فى القانون الاساسى للحكومة ، الذى يضمن - بكل دقة - المساواة بين جميع المواطنين بصرف النظر عن عقائدهم .

ويتضمن نشاط الادارة الدينية اصدار نشرات دورية ودروسا دينية بانتظام . وقد طبع القرآن ثلاث مرات فى ١٩٥٧ وفى ١٩٦١ وفى ١٩٧١ ووزعته الادارة بين المسلمين فى مختلف المراكز الدينية .

والادارة تصدر مجلة هى « المسلمون فى الشرق السوفيتى » باعتبارها لسان حال المسلمين ، وهى تعكس صورة من واقع حياتهم الراهنة . ويرأس تحريرها الاستاذ « عبد الغنى عبد الله » وهو خريج الجامع الازهر بالقاهرة . والمجلة تطبع بأربع لغات هى الاوزبكية بالحروف العربية والعربية والانجليزية والفرنسية .

وفى موسم الحج تتولى الادارة الدينية المعاونة فى الاجراءات الرسمية المطلوبة وكافة التجهيزات حتى يتم السفر .

واستطرد فضيلته الى جوانب أخرى فى نشاط الادارة الدينية ، بقوله ان الادارة تساهم فى الشئون الاجتماعية مثل توطيد أواصر الصداقة مع البلدان الاسلامية وتبأشر فى المؤتمرات المختلفة دعم السلام وتوثيق العلاقات الطيبة مع المسلمين وغير المسلمين ، مثل تبادل الزيارات والوسائل والافكار .



— المسلمون في احتفال بالعيد أقيم في الإدارة الدينية

ونتيجة لهذا المنهج توسعت العلاقات بينهم وبين كل بلاد العالم وبخاصة حيث يوجد بها مسلمون وتستقبل المنطقة كل عام وفودا عديدة وتوجه الادارة الدينية الدعوات وتحجيب كذلك على ما يصل منها من البلاد الاسلامية . وقد تم اقامة ثلاثة مؤتمرات اسلامية في طشقند . وتابع فضيلته الحديث عن الخطوة المقبلة .

الآن نستعد للقيام بالاحتفال بمرور ١٢٠٠ سنة على مولد « البخارى » وقد وجهنا الدعوة الى ما يقرب من خمسين بلدا من البلاد الاسلامية ، كما سيشترك في الاحتفال اكثر من مائتين من علماء الاتحاد السوفييتى . اظن في هذا ما يكفى للتأكد من أننا نمارس فعلا حرية العقيدة والنشاط الواسع .

وسالت عن رايه في المسالة التى تثار بين حين وآخر عن رأى الاسلام فى الرسم والنحت ، وكان هذا الموضوع كان محل تفكيره منذ لحظات ، لانه اجاب على الفور :

كان ذلك فى ظروف بداية ظهور الاسلام ، خشية من خطر الارتداد الى عبادة الاوثان التى كان العرب لا يزالون يعيشون فى جوها بحكم العادة على أقل تقدير . ولكن ، ما دام هذا الخطر قد زال الى الابد فلا داعى للاستمرار .

لقد شاهدت عددا من المتاحف المسيحية والكنائس ورأيت فيها رسوما بديعة عن المسيحيين القدماء ، وشاهدت كيف تقدم هذه الاعمال الفنية الرائعة خدمات عالية للبشرية وللمثل العليا يعجز القلم عن أدائها بنفس التأثير ، وبخاصة بين الذين لا يعرفون القراءة والكتابة فضلا عن



— صلاة « الغائب » ويطلقون عليها اسم « أمهـمـازة بيرام »
وفيه تكريم ذكرى الراحلين بأداء صلاة الجمعة في المسجد ويرتبط
بمناسبات احتفالات الزفاف عادة في مدينة « أنديجان »

الذين لا يعرفون اللغة المدونة . ولعلى أكون معبرا أكثر اذا اشرت الى ما
تضمنه كتاب الاستاذ على عثمان حول دور الفنون في كتابه « الدين
الاسلامى والتطور » فقد قرأت فيه احاطة تامة بالموضوع .
وبينما كنا نفادر الحجرة ، قال فضيلة الشيخ لقد تسلمت اعدادا
وصلت الى من مجلة « روز اليوسف » وهى التى نشرت بها عدة مقالات
للشيخ « الفحام » شيخ الاسلام المصرى عند زيارته لطشقند فى سبتمبر
١٩٧١ .

وامام المدخل الكبير أشار البعض الى مبنى يواجهها حيث توجد
مكتبة اسلامية هامة وهى ملحقة بجامع اثرى اقيم سنة ١٥٣٢ بناه أمير
طشقند وقتها « براق خان » ثم تغير اسمه الى « نوروز أحمد خان » بعد
ذلك . كما أن الامير « براق » هذا بنى سنة ١٥٤٢ ضريحا على قبر الامام
« أبى بكر القفال » وهو عالم كبير من علماء الشافعية توفى (٩٥٠ م .
٣٦٥ هـ) .

وذهبنا الى هناك .

ورأيت — بعد اجتياز البوابة الكبيرة وسط سور مرتفع — أرضا
واسعة اقيم فيها الجامع الكبير وامامه بناء آخر اصغر يضم « مكتبة

— مدير مكتبة الإدارة الدينية في طشقند «تورات يوتوسوف»
يفحص مع أحد المسلمين نسخة «المصحف النجاشي» المشهور



«الجامع» وبعد خطوات داخل هذا المبنى الصغير ، أحسست كأنني انتقل إلى الماضي ، فكل شيء يوحى بالقدم ، من سجاد الأرض إلى نقوش السقف الخشبي مرورا بما بينهما من دواليب ومقاعد ومناضد . ودخلت قاعة كبيرة تغطي جميع جدرانها بدواليب ورفوف مكتظة بالوف من المجلدات المنسقة والمرتبطة على أساس علمي وتضم هذه المكتبة ٢٥٠٠٠ مجلد منها ٢٠٠٠ مجلد مخطوط ومقام في جانب منها فاترينة خشبية مغطاة بالزجاج تعرض داخلها عشرات من المخطوطات القديمة ، وكل مخطوط منها له تاريخ . ونظرت إلى أعلى فوجدت شرفة تدور مع الجدران الأربعة وتعتبر طابقا

ثانيا للمكتبة يؤدي إليها درج خشبي في جانب من القاعة ، حيث احتشدت بالدواليب التي تضم آلاف أخرى من الكتب . وفي وسط هذه القاعة وضعت منضدة مبسوطة عليها مجلد كبير ، وهام في نفس الوقت ، هو مصحف عثمان الذي قامت حوله أزمة شديدة في عهد القيصرية . وهذا المصحف يرجع تاريخه إلى ألف سنة مضت ، وقد نقله القيصر من هنا قبل مائة عام إلى بطرسبرج (لينينجراد الآن) حيث احتفظ به في مكتبة بطرسبرج الملكية هناك . وثار المسلمون في آسيا الوسطى مطالبين بهذا المصحف ، وبالطبع لم يكتف القيصر لهذه المطالبة معتمدا على قدرته في قهر الشعوب التي يسيطر عليها استعماراه . وجاءت الثورة سنة ١٩١٧ وعلى الفور أصدر لينين قراره بإعادة المصحف إلى أهله ، وقد كان .

وشاهدت مطبوعا حديثا ، وعلمت من أمين المكتبة أنه مطبوع في سنة ١٩٧٠ وأن طباعة الكتب والمراجع التاريخية النفيسة - عمل مستمر - وهذا الكتاب اسمه « كتاب الأدب المفرد » وهو يجمع الأحاديث النبوية بنظام الأبواب مثل باب بر الأم ، وبر الأب ، وبر الوالدين وأن ظلما ، وباب أثم قاطع الرحم ، وباب من كره أن يتمنى موت البنات ، وهو من مؤلفات الإمام البخاري . وعندما أبدت إعجابي به ، قدمه إلى أمين المكتبة هدية للمناسبة . كما قدم إلى كتيب مطبوعا عن « تاريخ المصحف العثماني في طشقند » من تأليف الشيخ أسماعيل مخدوم نائب المفتي .

وبعد أن ودعنا أمين المكتبة انصرفنا ، وكنت أود وأنا أخرج أن ألقى نظرة على المكان قبل مغادرته فاستدرت وأنا أمشي لأرى أمين المكتبة وقد عاد إلى جلسته الأولى داخل الباب وقد انكأ على كتاب أمامه يطالعه باستغراق .





فى اتحاد نقابات العمال

— « نعيما محمدوفا — »
سكرتيرة الاتحاد نقابات العمال الاوزبيكية

اذا بحثت عن مركز الثقل بين التنظيمات المختلفة فى اوزبيكستان ، فسوف تجد أن هذا الاتحاد هو صاحب النفوذ الأول ، فهو يضم — طبقا لآخر احصاء — ما يقرب من ثلاثة ملايين عامل ، وهو جزء من الاتحاد العام لنقابات العمال السوفيتية .

وليس من شك فى أن وجود صناعة يعنى بالضرورة وجود عمال مدربين ونظام فعال يتيح لهم كل الامكانيات بالارتفاع بمستوى الانتاج ويوفر لهم كافة الضمانات والحوافز .

وفى لقاء مع السيدة « نعيما محمدوفا » سكرتيرة الاتحاد ، امكننى الحصول على صورة تحيط بوضع العمال وبالدور الذى يلعبه الاتحاد فى خطة التنمية .

فهو يضم جميع فروع النقابات بالجمهورية . ويعتبر المؤتمر العام السلطة العليا فى الاتحاد ، وقد عقد آخر مؤتمر منذ اربع سنوات ، وهو يضم مندوبين لفروع النقابات على أساس عدد النقابيين بواقع مندوب واحد عن كل اربعة آلاف نقابى . وفى المؤتمر ينتخب مجلس رئاسة يضم ١٥ عضوا يختار منهم رئيس وثلاثة سكرتيرين منهم سكرتير من العمال غير المتفرغين للعمل النقابى ويباشر عمله الاساسى فى الاتحاد ويعتبر نائبا للرئيس ، والباقون متفرغون للعمل النقابى . ويضم لمجلس الرئاسة ثلاثة عمال ووزير شئون الخدمات العامة ووزير الشئون الاجتماعية ونائب ادارة تخطيط الدولة .

والاتحاد مثل كل الاتحادات السوفيتية يقوم على اساس التقسيم الى لجان مناطق أو ولايات ، ولجان فرعية . والملايين الثلاثة من العمال منظمين في ثلاثين ألف وحدة نقابية . والاتحاد يعمل بموجب ميثاق موحد لجميع الاتحادات السوفيتية وتتم مراجعته في كل مؤتمر ، كما حدث في آخر مؤتمر ١٩٧٢ عندما أدخلت عليه بعض التغييرات في التنظيم الداخلي مثل مهام المناطق .

وبموجب هذا الميثاق تباشر النقابات - باعتبارها منظمات اجتماعية ودولية - مراقبة تنفيذ جميع التخطيطات في حياة الجمهورية ، مع مواصلة التعاون التام مع المنظمات الدولية .

ولضمان سير التعاون يوجد بين أعضاء المؤتمر وزراء ورجال دولة ، وهؤلاء عليهم متابعة ومراقبة التنفيذ ، وهذا هو نفس الوضع من أعلى مستوى الى مستوى القاعدة النقابية في المصانع والمعامل . كما يعمل رجال النقابة في المؤسسات الحكومية ، مثل مجلس السوفيت الأعلى . ويدخل رؤساء اللجان الفرعية المحلية في مجلس ادارة اتحاد النقابات الاوزبكية .

ورؤساء المنظمات النقابية بالمصانع يدخلون في ادارات هذه المصانع . ان أى مشكلة بالمصنع لا يمكن حلها بغير موافقة ثلاث جهات . ادارة المصنع ، والنقابة ، والحزب الذي يشترك في عملية الانتاج ابتداء من التخطيط الى آخر مراحل التنفيذ في المصانع .

ويشارك رئيس النقابة في وضع الاتفاقات بين الادارة والنقابة . وتباشر النقابات الاشتراك في تنظيم المسابقات الاشتراكية وفي دراسة وتوزيع الخبرات المتطورة . وتساهم النقابة ماديا وأدبيا في تشجيع أعضائها بطرق فعالة سواء في تحديد الرواتب أو الحوافز المختلفة . لهذا فان الدور الذي تؤديه النقابات دور كبير في تشجيع واحتضان الابداعات التي يساهم بها العمال في تطوير عملهم .

هذا بالنسبة لمساهمة النقابات في أعمال الدولة والانتاج . والمهمة الثانية للنقابة ، هي رعاية العمل ووقاية العمال ، ولهذا يوجد مفتشون فنيون يتولون مهام حكومية ولكن يعملون حسب خطة النقابة ، ابتداء من مشاريع المؤسسات حتى الانتهاء من الانتاج ، وفي سلطتهم اغلاق أى مؤسسة انتاجية - عندما يكون هناك مبرر مثل وجود خلاف على قواعد العمل وكذلك تقرير عقاب مادي على أى مؤسسة ، كما يدخل في سلطتهم تقديم قرار الى السلطة العليا بعدم اقتنائهم بكفاءة رئيس أى مؤسسة انتاجية .

والمهمة الثالثة ، هي حماية صحة وراحة العمال وعائلاتهم . ولهذا الغرض توجد لجميع المؤسسات والمصانع أماكن عديدة مخصصة للاستراحة كما تقام معسكرات للاطفال ، وهي تدخل ضمن بنود ميزانية الحكومة للتأمين الاجتماعي الذي وصل الى ٣٠٠ مليون روبل سنويا

للجمهورية حسب آخر مستوى . والعامل لا يدفع شيئاً لصندوق التأمينات الاجتماعية ، ومن هذا الاعتماد يصرف على تسديد نفقات العلاج كما ينفق على النساء في حالات الحمل وتكاليف الراحة الجزئية والكاملة وتكاليف الانتقال للراحة كذلك الاطفال في معسكرات الرواد والاكل المناسب الذى يقرر للمريض والتكاليف اللازمة في حالات الولادة ولدفن الموتى .

والمهمة الرابعة ، هى تربية النقبائين ، أخذنا بقول « لينين » - أن النقابة هى مدرسة الشيوعيين - ولهذا الغرض توجد مؤسسات متعددة مثل دور الثقافة والنوادي والمراكز والزوايا وأماكن التعبئة الثقافية كالمكتبات والمراكز السينمائية ، وفى المكتبات تلقى محاضرات وتعرض أفلام وتؤلف الفرق الفنية للهواة ، وهى الآن تصل الى عشرة الاف فرقة تضم ٢٠٠ ألف نقابى . هذا الى جانب الاهتمام بالرياضة وقد وصل أعضاء جمعياتها الى ١٠٠ ألف رياضى .

والمهمة الخامسة ، هى متابعة الحياة اليومية لعائلات العمال واحتياجاتها المعيشية من مساكن ومطاعم عامة . الى جانب هذه المهام ، توجد مهام أخرى ، كما فى العلاقات الخارجية حيث تتولى ايفاد الوفود والبعثات السياحية واستقبال مثيلاتها من الخارج .

وتوجد ميزانية خاصة نقابية تبلغ ٣٤ مليون روبل تأتى من اشتراكات الاعضاء بمعدل ٨ ٪ من مرتب كل عامل نقابى ، وتوزع على نفقات الادارة ، ونفقات النشاط الثقافى والرياضى والبعثات والوفود - من والى - الجمهورية ، ولا يدخل فى ذلك التأمينات على العمل .

ويباشر الحزب الشيوعى الاشراف القيادى للاتحاد . وقد اشترك الاتحاد فى المؤتمر الدولى لحماية النساء ببراغ ١٩٧٢ ، وفى طشقند ١٩٧٢ عقد مؤتمر عالمى اشتركت فيه ثمانى دول وفى ١٩٤٣ اشترك فى مؤتمر النقابات الدولية فى « فارنا » وفى سبتمبر من هذا العام (١٩٧٤) سيشترك الاتحاد فى الدورة الدولية لتنظيم العمل الدولى (MOT) ، وكذلك فى المؤتمر الدولى الذى سوف يعقد باليابان سيوفد الاتحاد ممثلاً له من بين رؤساء النقابات المحلية .

ما اثر كل هذا على الصناعة فى أوزبكستان ؟ فلنتذكر كيف كان حال الصناعة قبل الثورة ، لكى نرى صورة صحيحة للجهود التى بذلت فى اقامة الصناعة الحديثة ، ولا بأس من استعادة ذكرها الآن .

كان نصيب الصناعات اليدوية والزراعية من مجمل الانتاج الاجتماعى ٩ ٪ ولم تكن توجد أى صناعة كيميائية ولا نسيجية ولا تعدينية ولا بناء آلات ولا صناعة الطاقة . أما نصيب الصناعة الثقيلة فكان ٢ ٪ من الانتاج

الصناعى . وكانت نسبة العمال الصناعيين تمثل ١ ٪ من مجموع الشفيلة .

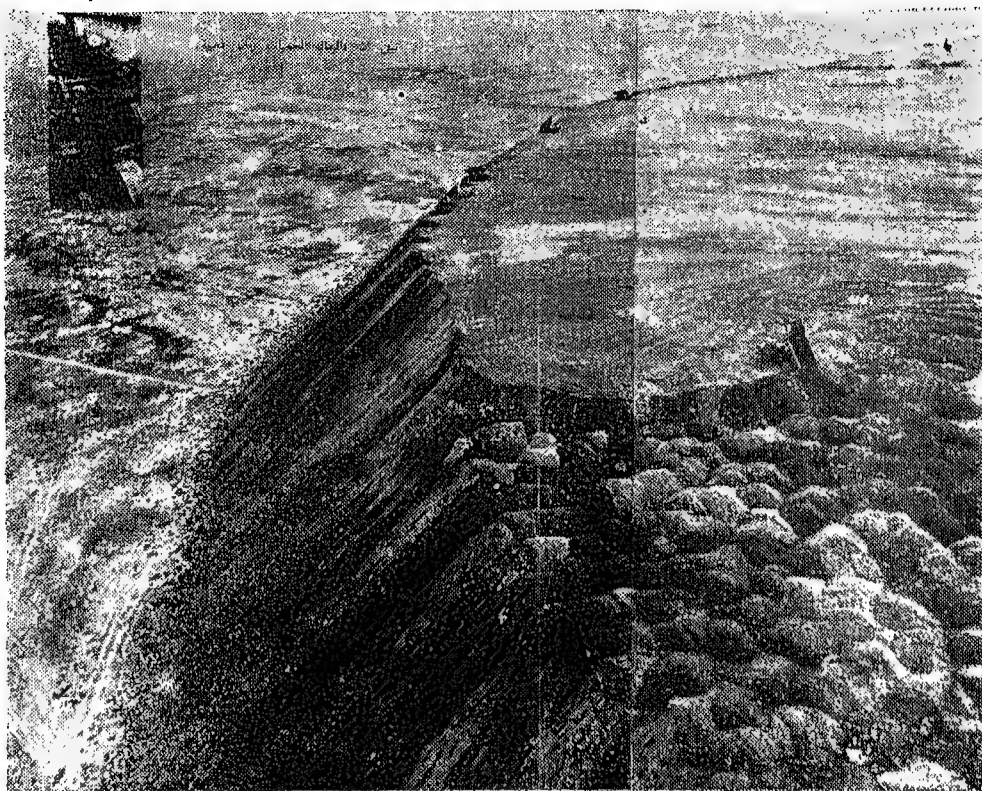
وقد اعتمد فى التخطيط الأولى ان يوضع فى الاعتبار القطن كاساس من خصائص الانتاج الأوزبكي . واتجه الاهتمام الى وضع استراتيجية عامة تقوم على :

اقامة منشآت للطاقة ، ومؤسسات للمكائن والآلات الزراعية ، والأسمدة الكيماوية ، ثم تكتيك وأجهزة الري ، ثم معامل النسيج والمراد الغذائية . . وغيرها .

الا أن كل هذا المخطط يحتاج - لبدء التنفيذ - ايجاد المصانع ، واعداد الكوادر الصناعيين المدربين . ولم يكن فى أوزبكستان منها شىء على الإطلاق . وقد حلت مسألة المصانع بإجراءات فورية ، ففى صيف ١٩٢٠ وصلت الى أوزبكستان الأجهزة والآلات من الاتحاد الروسى لتجديد الأرصدة الاساسية لمؤسسات غزل ولف الحرير بمنطقتى « مرغانه » و « مايميلان » ، وفى ١٩٢٢ نقلت من المناطق المركزية معامل النسيج والورق والاحذية والصابون والسليلوز ، ومن مدينة « ريثوتوفو » بمقاطعة موسكو ، نقلت فابريكة الغزل والنسيج التى سميت بعد ذلك « كراسنى فوسترك » ، كما نقل أيضا معمل النسيج فى « زارايسك » الذى كان أكبر مؤسسة فى مقاطعة ريازان » .

الا أن مشكلة اعداد الكوادر الصناعيين ظلت قائمة . فليس من الممكن نقل العمال من الجمهوريات الأخرى فى الاتحاد السوفيتى للعمل فى أوزبكستان بينما مصانعهم فى حاجة اليهم ، ذلك لان الظروف السيئة للفاية التى مرت بها الصناعة فى الاتحاد السوفيتى بعد ان خربت حروب التدخل معظم المصانع طيلة ثلاث سنوات قاسية . ويزيد من صعوبة المشكلة انتشار الامية التى جعلت عملية اعداد العمال وتدريبهم مضاعفة الصعوبة . ويضاف الى هذا وضع المرأة التى كان من الضرورى العمل على تحريرها من قيود العبودية الماضية ومهانتها ، ثم جذبها الى العمل الاجتماعى الانتاجى . لهذا تكلفت حملة محو الامية ميزانيات وأموالا كبيرة وصلت الى حد تخصيص خمس ميزانية الجمهورية لهذا الغرض طيلة سنوات التصنيع . كما نظم من أجل تحرير المرأة نضال عنيد وصبور ضد التقاليد البالية والمعوقة وعلى مدار سنين طويلة حتى تم تدريجيا كسب المرأة فى صف العمل الصناعى .

وقد تم اعداد الكوادر الصناعية بعدة طرق ، منها التعليم والاعداد الفردى ، ومنها الاعداد عن طريق الحلقات ، وكذلك التعليم فى مدارس المعامل والمصانع ، وأيضا اجراء الدورات التدريبية المختلفة ، والتحضير فى مدارس المهن الجماهيرية ، وغيرها من الاشكال المناسبة لكل حالة . ومن خلال الدورات التدريبية فى المراكز الصناعية تم التوصل الى



تحتل صحراء « قزل قوم » - ومعناها « الرمال الحمراء » - مساحة واسعة من أوزبكستان ، وقد تبين أن هذه الرمال الحمراء ليست إلا رمالا ذهبية. وقد ثبت أن الذهب يمتزج بمعادن أخرى ، وتوصل الخبراء إلى استخلاص الذهب بوسائل حديثة . وفي هذه الصورة يرتفع على أرض هذه الصحراء جبل صناعي للخامات المحتوية على الذهب وتبدو السيارات الضخمة تصب محتوياتها الثمينة .

رفع مستوى كفاءة العمال الصناعيين وكانت النتائج طيبة . وقد ساهم في تحقيق هذه النتائج الكوادر العمالية الروسية مما أكسب عمال أوزبكستان خبرة إضافية في العمل التنظيمي إلى جانب ارتفاع مستوى الانتاج التكنيكي .

ويكفي القاء نظرة على الأرقام لنرى الدليل المقنع .
من سنة ١٩٢٦ وحتى ١٩٣٩ ، زاد عدد العمال بالاقتصاد الوطني أربع مرات ، وزادت الصناعة ١.١٣ مرة وزاد عدد المهندسين والعاملين بالاقتصاد الوطني سبع مرات ، وارتفعت نسبة المشتغلين بالعمل الفكري من ٣٠ ٪ إلى ١٩٨١ ٪ .

وقبل الخطة الخمسية الاولى (١٩٢٨ - ١٩٣٢) كان عدد المهندسين والفنيين ٥٧٤ ، وفي نهايتها كان عدد المهندسين والفنيين ٢٤٤٣ ، باضافة ١٩٢ مؤسسة صناعية جديدة ، وفي نهاية الخطة الخمسية الثانية (١٩٣٣ - ١٩٣٨) وصل عدد المؤسسات الجديدة المضافة ١٨٩ مؤسسة ، ووصل نصيب القطاع الاشتراكي ٩٩ر٥ ٪ من الانتاج الصناعى .

وفي الخطة الثالثة (١٩٣٩ - ١٩٤١) وهى التى اختصرت بسبب قيام الحرب العالمية الثانية ، اضيفت ٣٤ مؤسسة صناعية جديدة فقط .

أما فى ناحية أعداد العمال وتدريبهم فنجد أنه فى سنة ١٩٣٩ كان من بين كل ١٠٠ شخص عامل بالاقتصاد الوطنى ٦١ من ذوى التعليم العالى والمتوسط المهنى .

١٩٦٢ تعلم ١٠٠٠ عامل ومستخدم مهنا واختصاصات جديدة .

١٩٧٣ تخرج ٨٠٠٠ اخصائى (مهندس صناعى وبناء ونقل ومواصلات) .

١٩٧٣ تعلم ٥٠٠ ألف عن طريق التعليم الفردى والحلقات والدورات التدريبية .

١٩٧٣ تم اعداد ٦٠ ألفا من العمال والشبان الاكفاء .

وقد ازدادت ودعمت الامكانيات المالية لاوزبكستان تبعا لمقاييس وعمق التحولات الاجتماعية بصورة كبيرة ، فقد كانت حصة المؤسسات فى الدخل القومى سنة ١٩٢٥ ٩٤ ٪ زادت فى ١٩٣٧ الى ٩٩ر٢ ٪ وهى تساوى ٣٢٢ مليون روبل سنة ١٩٢٥ ارتفعت الى ٢٠٤٥٩ر٢ روبل سنة ١٩٣٧ أما الانتاج الصناعى فقد زاد ٢٢٨ مرة منذ خمسين سنة .

وكان من أثر مضاعفة منسوب التطور الاجتماعى أن انشئت مدن حديثة جديدة لم تكن من قبل مثل « الفرين » و « تشيرتشيك » و « المالك » و « بيك آباد » و « نوائى » و « زارافشاي » و « غزلى » و « تاخيئاتاس » و « كونفراد » وغيرها . وكانت النتيجة أن تحولت اوزبكستان من جمهورية التخلف الى جمهورية الطاقة وصناعة بناء الآلات متعددة الفروع ، ونمت فيها صناعات التعدين والذهب والهندسة الكهربائية وبناء الطائرات والصناعات الالكترونية بالاضافة الى صناعة بناء قوية . أن أكثر من ١٠٠ فرع انتاجى صناعى يضم ١٣٠٠ مؤسسة كبيرة هى الرصيد الفعلى الموجود الآن هناك وقد تضاعف انتاجها ١٦٠ مرة .

ويحتل القطن الماكاة الاولى زراعة وحلجا . وتحتل الماكاة الثالثة الانسجة الحريرية (الحرير الطبيعى) وفى الماكاة الرابعة تتربع صناعة الاقمشة القطنية والاسمدة المعدنية والطاقة الكهربائية والاسمنت بالنسبة للانتاج الصناعى فى الاتحاد السوفيتى . وهذا الانتاج الصناعى يصدر الى أكثر من ٧٠ دولة ويتزايد الطلب على القطن والحفارات والجرارات ومحطات



بحيرة الكومسومول في طشقند واسمها « راحات طشقند »

الضخ والجلاخات ومنتجات الراديو والكهرباء والمكائن الزراعية والادوات الصلبة القاطعة والادوية والعقاقير .. وغيرها .

ما اثر كل هذا على مستوى المعيشة ؟

كان دخل الاسرة في سنة ١٩٢١ يتكون من اجور العمال ٢٨٦ ٪ ومن بقاء مندخرات وبيع اشياء ٤٨٤ ٪ ومن واردات اخرى مختلفة ٢٣ ٪ .
أما الان فان اجرة عمل الاسرة تشكل ٨٠ ٪ من دخلها و ٢٠ ٪ ارسدة الاستهلاك الاجتماعية وغيرها .

أن متوسط اجر العامل سنة ١٩٧٢ وصل الى ١٢٠.٦ روبلا شهريا (الروبل يساوي خمسين قرشا مصريا تقريبا) وقد ارتفع في عام ١٩٧٣ الى ١٢٧ روبلا شهريا .

كما زادت المنح والاعفاءات من رصيد الاستهلاك الاجتماعي - في ١٩٧٣ بنسبة ٧ ٪ عن السنة السابقة ، منها الحصول على مجانية التعليم بكل مراحل ، ورواتب التقاعد والاعانات والمساعدات الطبية ، واعانات الحمل والوضع التي تساوي اجور العمل بدون التقيد بمدة الخدمة .
وفي ١٩٧٣ زادت مخصصات التغذية في المدارس المهنية والتكنية عن سنة ١٩٧٢ من ٢١١ روبلا الى ٢١٨ روبلا للفرد .

وقد زادت في السنوات الاخيرة دخول العمال الحقيقية بنسبة ٣ ٪ .



يوسف جان

مثل معروف في المسرح الشعبى الاوزبكى واسمه يوسف جان شكر جان . ولد عام ١٨٦٨ في مدينة مارجيلان . ومنذ شبابه كان يحب الفن وكان يعيش في وادى فرغانة في هذه الايام مثل كبير ومخرج للمسرحيات الشعبية يسمى سهلى محضوم . وكان في البداية راقصا ثم موسيقارا ثم فكاها . وفي ايام الحرب الاهلية كان يشتغل في فرقة الدعاية المسرحية ، وعرضت هذه الفرقة مسرحيات على الشعب حول قضايا الثورة الملحة . وفي عام ١٩٢٦ ساعد في تكوين فرقة للفن من مجموعة شعوب منطقة آسيا الوسطى . وهناك أسطوانات مسجلة بصوته ويستخدمها طلاب الفن لدراسة الفن الشعبى الاوزبكى . وقد توفى عام ١٩٥٩ في مارجيلان .



المغنى الأوزبكستاني / خوجه عبد العزيز

ولد في سمرقند في ١٨٥٥ وكان يمارس الغناء منذ طفولته - وقد اعتنى به منذ خطواته الأولى مجموعة من المنشدين الذين اشتهروا بحفظ الأغاني وروايتها جيل بعد جيل . وعندما بلغ العشرين من عمره أصبح مغنيا وموسيقارا له شهرته في سمرقند . كان متخصصا في انواع معينة من الغناء . وفي نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين سافر إلى الخارج وحضر إلى مصر وسافر إلى الهند وإيران وأفغانستان . وبعد تجواله في هذه البلدان كتب عددا من الأغاني مثل « الجزائر » مستفيدا من الأغاني الشعبية للبلدان التي زارها .



رسام الشعب الأوزبكستاني / عبد الحق عبد اللايف :

ولد بمدينة تركستان ١٩١٨ - تعلم في إحدى مدارس العمال بطشقند حيث اكتشف أساتذته استعداداته الفنية - منذ عام ٣١ بدأ دراسته بمعهد الفنون بسمرقند وإن كانت شهرته قد بدأت في الديوع منذ عام ٣٤ . وفي سنة ٤٦ رسم لوحة للممثل خيدو ياتوف لعبت دورها في اكتمال شهرته على نطاق البلاد ككل . قام برسم عديد من اللوحات للممثلين والمخرجين ومشاهير العمال وزراع القطن والكتاب . عرضت عديد من لوحاته خارج البلاد ويحتفظ ببعضها في عدد من المتاحف السوفيتية وهو مولع برسم اللوحات المستمدة من موضوع حياة الشاعر الشير فافولي وهو متخصص في رسم الشخصيات



حفنر على المشيب الفنان « لك. ياشادوف »
عيد القطن

مع الرفيق عبد اللatif عبد النبي

عضو مجلس الادارة لوزارة الزراعة

كان هذا اللقاء بحضور أربعة من المسؤولين بالوزارة ، هم :
« عبد الوفيق كريموف كريموفيتش » مدير الادارة للشئون الخارجية .
« واليخان صديقوف صديقوفيتش » رئيس ادارة التخطيط
والاقتصاد بالوزارة .
« ايسايف رحيم سعيدوفيتش » رئيس ادارة زراعة القطن والمحاصيل
الاقتصادية .

« باجاسيان سليمان يوسوبوفيتش » رئيس قسم ادارة الكولخوزات .
القطن هو عماد الانتاج الزراعى من قبل الثورة ، حيث كان يستخدم
في تزويد الصناعات القيصريّة الخفيفة بالمواد الخام . وكان ثلثا الاراضى
الصالحة للزراعة في يد الاقطاعيين والبيكوات اغنياء الريف ، وفي نفس الوقت
كان بيدهم أيضا ثلثا مصادر المياه . وإلى جانب هذه القلة . كان يعيش
مليون ومائتا ألف عائلة من المزارعين لا يملكون من الأرض شبرا واحدا .
فقط يعملون فيها . وكانت وسائل العمل بدائية للغاية ، فهي لا تزيد في
أغلب الاحيان عن الفأس والمحراث الخشبي العتيق ، ولم يكن انتاج القطن
يتجاوز ما بين ٤٠٠ ألف و ٥٠٠ ألف طن بأى حال ، فالكثير الواحد من
الأرض لم يكن ينتج أكثر من ٩٠٠ كيلو فقط من القطن ، أو ما يعادل طنا
واحدا . هذه هي حال الزراعة فيما قبل الثورة ، ويضاف الى ذلك أن
الحرب الامبريالية الاولى التى اشتعلت سنة ١٩١٤ ، وما تلاها من حرب
اهلية ، كانت لها آثار واسعة في استمرار الوضع المتأخر لبضع سنوات
بعد ذلك .

وبقيام الثورة وضع أمام السلطة السوفيتية - كمهمة عاجلة - انشاء قورى للزراعة الحديثة وبخاصة فى مجال القطن بمنطقة « تركستان » باعتبار أن هذا المحصول مهم ومطلوب عاجل ، كالهواء للإنسان ، لتزويد صناعات الغزل والنسيج وغيرها من الصناعات الاستهلاكية الخفيفة . وفى ١٧ مارس ١٩١٨ نشر القرار الذى أصدره « لينين » باعتماد خمسين مليون روبل لإعادة انشاء وتطوير شبكات الري هناك ، وبخاصة فى الحقول « الجائعة » وقدمت تسهيلات عديدة للفلاحين المشتغلين بزراعة القطن ، من قروض وبدور وأيضا من الآلات الزراعية المتاحة .

وفى ١٩٢٣ أمكن الارتفاع بمستوى الزراعة فبلغ الانتاج سبعة أضعاف ما كان عليه فى عام ١٩١٣ ، وفى ١٩٢٦ زاد ٢٢ ألف طن عن انتاج ١٩٢٣ ، وفى ١٩٣١ وصلت مساحة الأرض الزراعية مليون هكتار - وهى مرحلة تأسيسى . وهذا يعنى أن مساحة الأرض المزروعة اتسعت الى ضعف حجمها قبل الحرب .

من أين جاء هذا التطور السريع فى زراعة القطن ؟

كان التوسع فى انشاء المزارع الجماعية « الكولخوزات » هو العامل الرئيسى لسرعة النمو هذه . فالعلاقات الزراعية الصغيرة كان تجميعها فى هذه المزارع الجماعية المنظمة يكسبها قوة انتاجية أكبر من حالتها وهى متفرقة مبشرة ، وحتى سنة ١٩٣١ كان قد تم توحيد ٩٠ ٪ من هؤلاء المزارعين فى كولخوزات . وبهذا أمكن توفير الآلات الزراعية المتطورة من المحارث الميكانيكية وآلات الجر والبذر .

وفى ١٩٣٢ وضعت المهمة لاستقلال السياسة القطنية والوصول الى الاكتفاء الذاتى وعدم استيراد القطن من الخارج ، وذلك بوصول الانتاج الى ٨٠٠ ألف طن سنويا .

واتخذت عملية تطوير زراعة القطن مسارها بعد ذلك ، ففى ١٩٣٦ وصل الانتاج الى مليون ونصف مليون طن سنويا ، وفى ١٩٥٠ وصل الى مليونى طن بمعدل طنين و ١٠٠ كيلو فى الهكتار الواحد ، وفى ١٩٥٨ ارتفع الى ثلاثة ملايين طن سنويا . وفى ١٩٦٥ لأول مرة فى تاريخ زراعة القطن نفذ البرنامج مرتبطا بشهر أكتوبر ، ثم تحول بعد ذلك الى شهر مارس لعدم توافر آلات الحصد فزاد الانتاج عن معدله (٣ ملايين طن) الى ثلاثة ملايين و ٦٠٠ ألف طن فى السنة . وفى ١٩٦٦ وصل الانتاج الى أربعة ملايين طن ، بمعدل طنين ونصف الطن من الهكتار الواحد ، وهو ما يزيد عن انتاج ١٩١٣ بطن واحد سنويا بالنسبة للهكتار . وسنة ١٩٧٢ كانت سنة وفيرة للمحصول ، فالأرض كانت مساحتها المزروعة مليوناً و ٦٨١ ألف هكتار ، وارتفع انتاج الهكتار الواحد الى طنين و ٨٠٠ كيلو ، وكان اجمالى المحصول أربعة ملايين و ٦١١ طناً . ثم جاءت سنة ١٩٧٣ حيث وصل الانتاج الى أعلى من ذلك ، حيث زاد الانتاج عن البرنامج المخطط بما يقرب من ألف طن .

وتعتبر أوزبكستان المصدر الاول لتوريد القطن بالاتحاد السوفيتى ،
فقد وصل الانتاج السوفيتى كله الى ٧٦٦٢ مليون طن كان نصيب
أوزبكستان منها ٤٩٠٠ مليون طن وهو ما يعادل ٦٥ ٪ من الانتاج
الاجمالى . وبهذا اجتل الاتحاد السوفيتى مركز الصدارة فى انتاج القطن
عالميا .

وليس فى الأمر أسرار على الإطلاق .



تشهر البساتين الأوزبكية بأجود أنواع الفاكهة
كالقماح والمشمش والعنب حيث تلقى الأرض
عناية بالغة لمضاعفة جودتها باستمرار

ذلك أن النظام الاشتراكى للاقتصاد الزراعى أوجد الكولخوزات والتي
وصلت الى حوالى ١٠٠ كولخوز وأكثر من ٤٥٠ سوفخوز (مزارع
حكومية) بالإضافة الى استخدام الآلات فى الزراعة بنسبة كاملة (١٠٠ ٪)
مما جعل ممكنا حصد ٥٥ ٪ من مجموع القطن (٤ ملايين و ٩٠٠ ألف طن)
بماكينات الحصد وهو يساوى مليونين و ٦٠٠ ألف طن منها . وهذا يفسر
سر التطور السريع لزراعة القطن .

لقد اخرجت أول ماكينة لحصد القطن سنة ١٩٤٩ حيث بدأ العمل
باستخدام ٢٧٦ ماكينة من طراز M 48 M x ٢ أمكنها جمع المحصول
من ٥٧٠٠ هكتار فقط .

ولكن الان توجد في أوزبكستان مناطق حصد فيها القطن بالماكينات بنسبة تتراوح بين ٦٠ ٪ الى ٧٠ ٪ بالنسبة للإنتاج العام للجمهورية ، وكذلك في أكثر من ١٠٠ كولخوز وسوفخوز بنسبة (٨٠ ٪ الى ٩٠ ٪) وفي أوزبكستان تمكن بعض السائقين المهرة من حصد أكثر من ١٠٠٠ طن (للسائق الواحد) في الموسم الواحد . هذا علاوة على الدور الذي أدته بنجاح ماكينة الحصاد الحديثة المسماة (أوزبكستان) ذات الصفوف الأربعة . هؤلاء السائقون المهرة يوجد منهم أكثر من ٢٠٠ سائق أنتجوا ما بين ٢٥٠ الى ١٠٠٠ طن ، في الموسم الواحد ، أى أن سائقا واحدا بماكينة ينتج ما يعادل إنتاج ١٠٠ جامع يدوى .

والعامل الثانى فى سرعة التطور الزراعى هو استخدام الاسمدة الكيماوية ، حيث تنتج مصانع الجمهورية الاسمدة الكافية لحاجات الزراعة - الأزوتية والفوسفورية - ومن تقارير معاهد الأبحاث العلمية يصرف للمهكتار الواحد ٣ أطنان ٢٥ كيلو أزوت ومن ١٥٠ - ١٦٠ كيلو أسمدة فوسفورية . وهذا يبرهن بالعمل والفعل على أن استخدام كيلو واحد من هذه الاسمدة يعطى ١٠ كيلو قطن زيادة .

والعامل الثالث هو دور شبكات الري فى استصلاح اراض جديدة وربها وبخاصة فى المناطق الجائعة والحقول فى « سورخان شيرابات » وفى بداية سواحل نهر « سيمون » وفى وادى « فرغانة » وفى حقول « يازوان » ، كما أن هناك مهمة جديدة لاستصلاح الاراضى فى « قارش » الشبه صحراوية التى يزرع القطن فيها الآن . وتوجد الآن خطة لا نشاء كولخوزات جديدة خلال الخطة الخمسية الحالية التى ترمى الى استصلاح مليون هكتار فى المستقبل القريب .

بالاضافة الى كل هذا ، توجد شبكات رى للحفاظ على المياه الزائدة وتخزينها للسنة القادمة أو عند الاحتياج .
أن التخطيط الزراعى فى أوزبكستان يتمثل دائما فيما قاله « لينين » :

(لكى نتمكن من أن نحصل من الزراعة على الحد الاقصى ، علينا أن نؤسس ونعتمد على الاساليب العلمية المعاصرة وعلى قوة المهندسين الزراعيين والاعتماد على الادارة العلمية .)

وهذا متوفر الآن فى وزارة الزراعة ، حيث يعمل من ٣٠٠ متخصص يقدمون مساعداتهم الكبيرة لكافة المنظمات المحلية والكولخوزات والسوفخوزات وصولا الى محاصيل مرتفعة من القطن وسائر المحاصيل وزيادة الثروة والانتاج الحيوانى والمواشى .

وغير زراعة القطن ، تنتج أوزبكستان ٥٣ ٪ من « حرير دودة القز » الى جانب ٢٥ ٪ من الكتان و ٣٥ ٪ من الأغنام الصغيرة المعروفة باسم « الكاراكول » ،

الى جانب قوة كبيرة من العلميين مع ١٠ معاهد أبحاث علمية بها ١٠٨٩ .
متخصصا علميا ، من بينهم ١٨ دكتور علوم و ٤٣١ مرشحا للعلوم (بين
ماجستير ودكتوراه) .

وللحصول على فرصة الترشيح للعلوم الزراعية يلزم اجتياز مرحلة
دراسية في دورات خاصة Pose graduate حيث يدرس أكثر من
٣٠٠ طالب يعدون رسالات الترشيح .

وتوجد ٤ معاهد عليا خاصة بالزراعة لم يكن هناك قبل الثورة وجود
لأى منها . ويدرس بها ٢٢ ألف طالب ويعمل بها ١٢٣٠ مدرسا منهم ٢٣
دكتور علوم و ٤٤٩ مرشحا للعلوم . ويوجد للوزارة ٣٠ معهدا زراعي
متوسطا ومتخصصا ، وهى تخرج المهندسين والميكانيكيين فى تربية المواشى وفى
الاقتصاد وغيرهما وهذه المعاهد من بين عشرين معهدا متوسطا متخصصا .

هذه المعاهد العليا والمتوسطة تقدم سنويا ١٠ آلاف متخصص
زراعى ، منهم ٣٠٠٠ متخرج من معاهد عليا والباقي من معاهد متوسطة .
وأغلبهم يعملون بمجرد تخرجهم فى المزارع الجماعية ، ويوجد منهم الآن
أكثر من ٦٠ ألف زراعى بجميع فروع الزراعة من الادارة الى العمل بالأرض ،
ومن بينهم نسبة — فى العمل المباشر . ولم يكن فى البلاد قبل الثورة منهم
الا ثلاثة يحملون دبلومات .

وعندما سألت عن نظام المزارع الجماعية والفرق بين الكولخوز
والسوفخوز قيل لى :

الكولخوز ، هو المزرعة الجماعية الاختيارية ، حيث يشترك العضو
فيها بما يقدر ولو كان بحصان . وله ميثاق خاص يتم التصرف بمقتضاه
فى حدود الارض وله مجلس عام حيث تدبر الكولخوز مجموعة من هذا
المجلس ، وهذا المجلس يختار الرئيس فى نفس الوقت . وجميع وسائل
العمل ملك جماعى للكولخوز وليس للحكومة .

وإدارة الكولخوز تفتح لها اعتماد حساب فى البنك الحكومى لتمويل
العمليات المتبادلة مع غيرها من المنظمات . وفى نفس المجلس تختار لجنة
لمتابعة ومراقبة أعمال الادارة وكذلك موظفين لفروع العمل . وتقترح الادارة
اختيار مسئولين عن فرق التنفيذ بعد موافقة المجلس .

ولكل عضو من الفلاحين بالكولخوز الحق فى زراعة مساحة ١٥ ٪ من
الهكتار بما يشاء لحسابه الخاص الى جانب ما يعود عليه من ناتج العمل
الجماعى الأساسى الذى وصل متوسط دخل العائلة الواحدة منه ٥٠٠ روبل
سنويا .

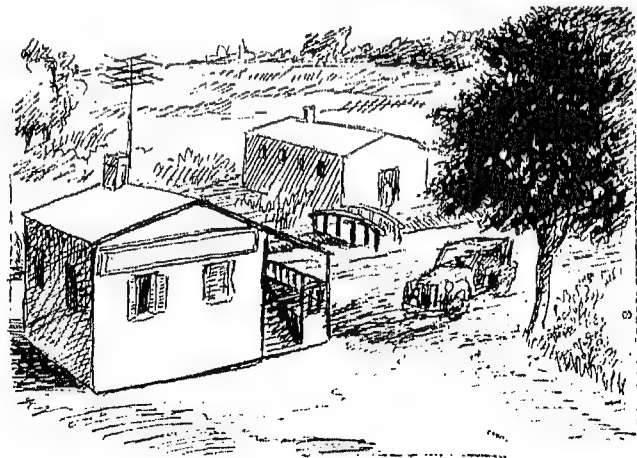
أما السوفخوز ، فهى منشآت حكومية زراعية تؤسس بموجب قرار
حكومى ولهذا تكون وسائل الانتاج من أجهزة ومعدات ملكا للحكومة .
ويتولى ادارة السوفخوز مدير مسئول فى يده كل السلطة .

وفي زيارة لمدينة « بخارى » تسنى لى أن اشاهد كولخوزا في ضواحي المدينة يسمى « كولخوز مدينة » يتألف من ٢٦٠٠ هكتار من الأرض الزراعية ، يزرع منه ٢٠٠٠ هكتار قطنا و ٣٨٠ هكتار لانتاج العلف و ٧٥ هكتارا لزراعة الدرة . ويضم هذا الكولخوز ٧٥٠٠ نسمة من بينهم ٢٦٠٠ طلبة زراعة و ٣٠٠٠ يعملون بالزراعة و ٧٥٠ على المعاش ، هذا بالإضافة الى الأطباء والمدرسين والطلبة العاديين . وتوجد بالكولخوز (مدينة) ٤ مراكز للرعاية الطبية منها مركز للولادة وأربع مدارس (٢ ثانوى دراسة ١٠ سنوات ، و ٢ ابتدائي دراسة ٨ سنوات) .

وينتج هذا الكولخوز القطن الذى كان محصوله في السنة الماضية ٥٨٨٥ طنا ، ويجرى العمل لانتاج أعلى بحيث يعطى الهكتار ٤ أطنان ، وذلك بمناسبة اليوبيل الخمسين لاقامة الجمهورية . وقد وصل الدخل من القطن الى منسوب ٣ ملايين و ٨٤٥ ألف روبل في السنة . واستخدمت الآلات لجنى القطن بنسبة ٥٠ ٪ حيث تحقق الآلة الواحدة ٤٠٠ طن علما بأن الجنى اليدوى من ٦ - ١٠ أطنان .

ولقد كانت زيارتى لهذا الكولخوز اضافة كبيرة الى ما عندى من معلومات عن نظام المزارع الجماعية . وكم وجدت تشابها كبيرا بين حياة الريف في هذا الكولخوز وحياة الريف في بلدنا . فبالبسطة الصادقة استقبلنا مدير الكولخوز « سعيدوف سعد الله » فاذا به شاب في نهاية العقد الثالث تقريبا له الملامح المألوفة عند أهل الزراعة من الريفيين السابقين تلوح الشمس بشرتهم ، وهو قليل الكلام كثير الترحيب كريم الضيافة ، فهو ما يكاد يحضر الشاي حتى يخرج ليعود ومعه أطباق الفاكهة ، ثم أرغفة الخبز الواسعة الحجم والتي يصل قطرها ٤ سنتيمترا مثل ما هو مألوف

على مسافة عشرين كيلومترا من بخارى
مبنى إدارة « كولخوز مرينيه »





— « حليمة نيكو — واه »
رئيسة مجلس سوفيت المنطقة



— « سميدوف سمد الله »
مدير المزرعة الجماعية

عندنا والذي يسمى « المرحوح » ولكنه هناك ليس رقيقا ، بل له سمك وبخاصة من الاطراف الدائرية .

وهناك ، حضرت سيدة رفيعة القوام صغيرة الجسم هادئة المظهر وقد عرفوني بها ، الرفيقة « حليمة نيكواه » وهى الرئيسة المنتخبة لمجلس السوفييت بالمنطقة التى تسمى « رباط كالمك » . وكانت مواظبة على هدوئها وصمتها حتى دار الحديث حول الزراعة والقطن ، فاذا بها — دون أن تفتند ثباتها — تفيض بالحماس حول التحدى الذى أعلنته الجمهورية لكى يرتفع محصول القطن هذا العام الى الخمسة ملايين قنطار . وعندما تطرف الحديث عن فترة ما بعد الثورة مباشرة ووضع الفلاحين فى النظام السوفييتى الجديد كانت كلماتها تحمل رنين التجربة وحرارة الواقع . فقد ظلت تضرب الأمثلة عن حالة البؤس التى كان الفلاحون يعيشونها قبل الثورة وظلت آثارها مطبوعة عليهم الى فترة طويلة بعد الثورة ، وكيف أن تجربة المزارع الجماعية ما كان يمكن لها ان تحقق أى نجاح لولا ان هؤلاء الفلاحين الفقراء وجدوا فيها

الخلاص من حالة القهر المادى والتخلف المستمر ، فقد أدرك هؤلاء الأميون الذين لا يستمتعون بأى نوع من أنواع الثقافة والمعرفة ، لقد أدركوا بغريزتهم الثورية ، أن هذا هو طريق الخروج من أوضاعهم السيئة ، فالتفوا حول الثورة وأعطوها كل ما فى وسعهم من جهد وتأيد حتى حققت هذا المستوى المتطور فى أقل زمن ممكن .



- « همروهيساروف » اهم
الخبراء الزراعيين فى القطن

وعندما خرجنا للتجول فى الكولخوز ، صادفنا رجلا يوحى منظره بأنه سائق جرار أو سيارة نقل ، وعرفت أنه يسمى « همروهيساروف » وبعد أن تصافحنا ، عرفت أن لهذا الانسان قيمة كبرى فى الكولخوز . وقد أكدت الرفيقة « حليلة » بأن صحة هذا الانسان تمثل عندهم هدفا يجب المحافظة عليه ، لأنه الخبير العام للزراعة عامة وللقطن بصفة خاصة ، ولهذا يلزم رعايته تمام الرعاية . وتجولنا بين اشجار الفاكهة المختلفة والتي خصصت لها أجزاء قريبة من الطريق وهى مليئة باشجار المشمش والتفاح والبرتوق ولها سور من الزهور وعباد الشمس والورود المتعددة الالوان .

وكننت قد أحضرت معى بعض العقود الملونة والمكاحل والمناديل المزركشة بالترتر والتي تسمى فى مصر « ابو اوية » فقدمت هذه المجموعة للرفيقة « حليلة » كما قدمت لى طاقيّة أوزبيكية ومندبلا مزركشا وصممت على أن البسه كمادة الفلاحين هناك وذلك بربطه حول الوسط بحيث يكون المشات متدليا من الخلف ، ففعلت ، وانصرفت وأنا على هذا الوضع وسط تحيات بالأيدي حتى غابت بنا السيارة فى طريق العودة الى بخارى .

وفى بعض الاجتهادات العلمية ، تفسير لمصدر اسم هذه المدينة ، بأن أصله فى اللغة السنسكريتية « فى خارى » ثم تحولت مع الزمن والتداون مع سائر الشعوب الى ابدال « فى » « فيو » ثم الى « بو » وأن « بخارى » تأتي

في القدم بعد « بغداد » وأن بها من الآثار ما يرجع الى القرن التاسع الميلادى . وتعدادها الان ١٤٥ ألف نسمة وطقسها صحراوى (٣٠٠ يوم مشمس في السنة) ويتألف سكانها من ٦٠ ٪ أويك و ٥ ٪ تاجيك والباقي يمثل ثمانين قومية مختلفة . وتنتج بخارى ٣٣ ألف طن من القطن طبقا لآخر احصاء . وتنتج مصانع بخارى ١٠٩ ملايين متر مربع من مصنوعات القطن . وبها ١٩ مؤسسة متخصصة في تربية (الكازاكول) وهى نوع من الخراف الصغيرة وقد نالت في ١٩٦٥ الدبلوم الدولى في معرض ليبزج ، وهذا النوع من الخراف منه في بخارى ما يمثل ٤٥ ٪ من الموجود في كل الجمهورية ، ويسمونه هناك « جوهرة الصحراء » كما يطلق نفس الاسم على بخارى باعتبارها ماسة في اطار من الرمال .

وفي بخارى مائة حوض آبار لياه الشرب . وقد شاهدت أحدها أمام جامع اسمه « بولو هاوس » أنشئ سنة ١٧١٢ ، وقد شاهدت فيه معرضا لرسوم أطفال المدارس حتى الصف الثامن .

وقد شاهدت مئذنة جامع مدرسة « ميرى آراب » التى يصل أساسها الى عشرة أمتار تحت الارض وترتفع فوقها ١٠٥ درجات حجرية حتى القمة ، وقد اشتهرت لكثرة المتحجرين من فوقها ، وقد بناها الشيخ عبد الله من اليمن في القرن السادس عشر عندما كانت سمرقند عاصمة للإسلام ، وتجاورها مدرسة دخلتها فالتقيت بشاب اسمه « رحمت الله قاسم » وهو طالب بالمعهد



١ - مدرسة « ميرى آراب » والبرج المئذنة الذى كان الباشون يستعملون إليه ويلقبون أنفسهم منه

الدينى في بخارى وسبق له أن درس بعض الوقت في الجامع الازهر بالقاهرة ودعانا الى غرفته الصغيرة التى تواجه حوش المدرسة الداخلى . وقد افاد

علينا بالترحاب الشديد وهو يتحدث بلغة عربية لا يشك السامع اليها أنها من مكان غير القاهرة ، وهو متعلق بمصر بصورة جامحة ، وقد ذكر لنا أنه بعد انتهاء دراسته هنا سوف يوفد في بعثة الى الجامع الازهر بالقاهرة . وهو يحتفظ بعدد من الاشرطة المسجلة عليها أغان مصرية لشادية ونجاة الصغيرة وعبد الوهاب وأم كلثوم وعبد الحليم ، كما انه يجيد تلاوة القرآن ، وقد استمعنا اليه ، فاذابه يؤدي بانفعال وتأثر واتزان ، وبكل فهم وكان ادائه يكاد يطابق أسلوب الاستاذ القارئ الكبير الشيخ عبد الباسط عبد الصمد ، ولا يختلف الا في حدود فارق الحنجرة والتجربة . وعند انصرافنا طالبنا بأن نحاول تمكنه من قراءة المجلات والصحف المصرية لانها لا تصل اليه بانتظام سوى « الشباب العربى » ثم سلمنى ظرفا بريديا مرسلا اليه بالطائرة وهو من ظروف المجلة .

وتوجهنا الى جامع « كاليان » حيث يصلى فيه ١٠ آلاف مسلم في الأعياد والمناسبات . أما تحفة العمارة الاسلامية الأوزبكية فهي ضريح « اسماعيل » فهو مشيد من قوالب صغيرة من الاجر القوى وتبدو من بعيد كأنها حوائط ملونة ، مع أن اللون لا يدخل فيها اطلاقا فهي بلون الطوب ذاته ، ويقال أن البلاط الذى استخدم فى البناء قد عجن بلبن الجمال حتى يأخذ صلابة وتحجرا . وهناك خلف الضريح تظهر بقايا سور المدينة القديم وهو بطول ١٢ كيلو متر وفيه ١١ بوابة كل واحدة منها باسم الطريق الخارج منها الى جهة من الجهات مثل بوابة « تاليباتش » و « سمرقند » و « كارش » . وهناك أيضا ضريح ومركز للسفن هو « تشاشى أيوب مزار » حيث توجد عين مياه كانت تنسب اليها خرافات عديدة مثل علاج العيون المريضة وشفاء المرضى ، ثم تبين بعد ذلك بالكشف والتحليل المعمل العلمى أن مياه هذه العين تحتوى على نسبة مرتفعة من اليود .

وعلى طول الطريق كانت لافتات معلقة تشير الى نسبة الانتاج الزراعى وقد سجلت منها بقدر ملاحقتى لسرعة السيارة :

٥٥٠٠٠ طن قطن - ٢٢٠٠٠ طن فول سودانى - ٥٤٢٠٠٠ طن فواكه - ٥٠٥٠٠ شمام - ٨٦٨٠٠٠ طن لبن - ٢١٨٠٠٠ طن لحم ٦٠٣ ملايين بيضة - ٨٥٠٠٠ طن خضار ..

وفي بخارى قناة قديمة تحيط بالمركز الداخلى وتصل الى اطرافها . وقد تهدمت وبدأت الاتربة تطمرها ، ولكنهم بدأوا يعيدون لهذه القناة شبابها بالطرق الحديثة وتسمى « قناة سخروت » وقد حفرت فى القرن التاسع ، والان يتم تغليفها بالاسمنت وتقام فوقها الجسور والكبارى للمرور .

وزرت بعد ذلك مبنى المحافظة الأثرى ، وهو الآن متحف تاريخى ، وهو مقام فوق ربوة مرتفعة قليلا والصعود الى مدخله عن طريق درج يرتفع الى خمسة امتار وعند الباب يميل شمالا حيث دهليز يستمر فى الارتفاع ، وهو بمبان تعلوه وعلى جانب هذا الدهليز عدة أبواب صغيرة ولها أبواب مزدوجة من أسياخ الحديد وكانت تستخدم سجوناً مركزية ، ونظرة واحدة اليها كفيلة بأن تعطى فكرة كاملة عن مدى القسوة التى كان يلقيها من تشاء السلطة وقتها أن تبطش به وتنكل ، فهو بعيد عن أى مقياس انساني بعد السماء عن الارض . وبعد الخروج من دهليز البطش هذا وجدتني فوق سطح المحافظة ، حيث متحف للفنون الجميلة يضم لوحات وتمائيل وكلها من الانتاج الذى جاء بعد الثورة . وبعد ذلك مررنا فى دهليز مكشوف يؤدى فى جانب منه الى قاعة غير مسقوفة كانت تستخدم فى الاستقبالات الرسمية وضعت فى صدرها منصة عالية لها سقف ضيق يحمله عمودان خشبيان مزخرفان . وبعد خروجنا من هناك صعدنا بضع درجات الى مساحه غير مغطاة ثم صالة فى المواجهة تؤدى اليها عدة درجات حجرية ، حيث اقيم متحف لما قبل الثورة . وهناك رسوم وصور تعبر عما كان يلاقيه المواطنون من تنكيل وقتل وتعذيب منها صورة جلد « صدر الدين عيىز » على ظهره ٧٠ جلدة سنة ١٩١٧ ، والى جانب ذلك آلات التعذيب المختلفة وملابس الحكام المطرزة وبيانات واحصاءات عن جرائم القيصريه ضد شعوب آسيا الوسطى . ونزلنا من هذه البناية التى تعطى فكرة القلعة فى نفس الوقت .

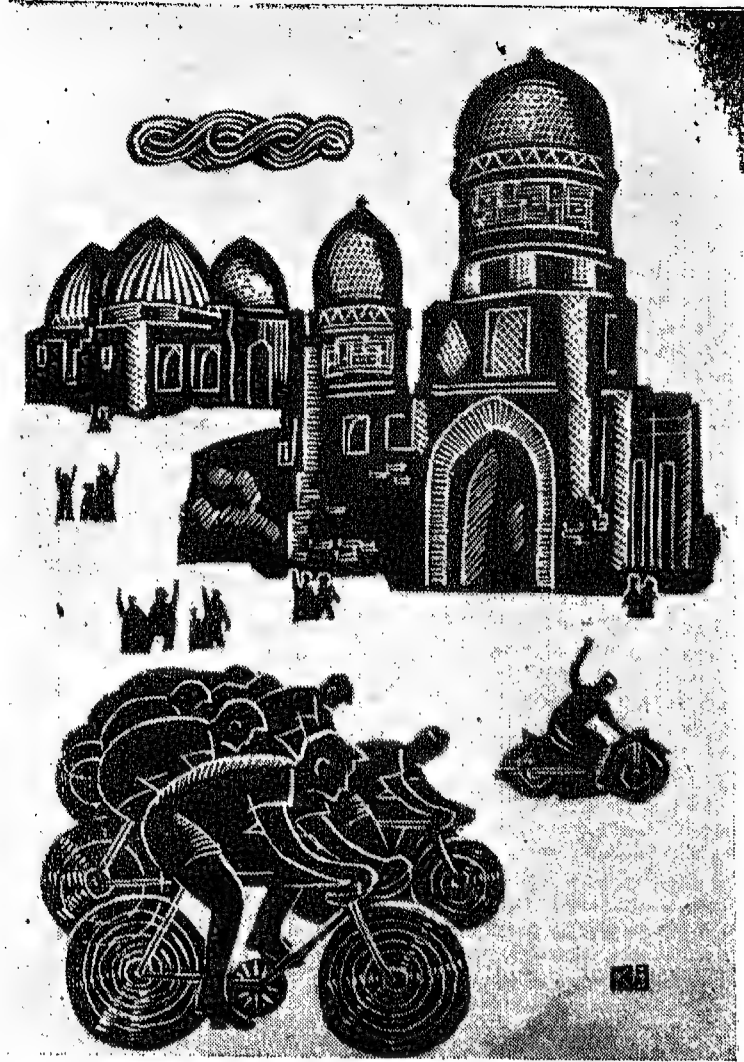
وتوجد الآن فى « بخارى » ٣٥ مدرسة ابتدائية ، ٩ مدارس متخصصة ثانوية ، ومدرسة واحدة للمعلمين وأخرى مسائية للتدريب الهندسى وبتم سنويا تخريج ٧٠٠٠ معلم .

وفى كل سنة يتم انتقال ٥٠٠ عائلة الى مساكن حديثة .

وعندما كانت بخارى محصورة داخل السور قديما ، لم تكن بها أى مساحة تكفى لزراعة الخضرة والحدائق ، أما اليوم ، وبعد قيام الثورة فقد بدأت المساحة الخضراء تظهر وتتزايد داخل المدينة لتؤدى دورها فى تلطيف الجو القارى القاطظ ولزيادة وسائل النزهة .

وتعتبر « بخارى » قبلة السياح من كل الأنحاء وفى كل فصول السنة ، ومع مرور الزمن تتزايد أعدادهم الى الدرجة التى دعت الى التفكير فى انشاء مطار دولى هناك بحيث تستقبل الطائرات مباشرة بدون الهبوط فى موسكو كما هو جار الآن .

مدينة سمرقند لسنة ٢٥٠٠ هـ حفر على الخشب للرسم ك. ياشاروف



في سمرقند

في كثير من أنحاء الأرض مدن تحوط بتاريخها الأساطير وأشبهه الخرافات ولكن تكاد سمرقند تكون أعجبها حقاً ، حتى ليكاد الإنسان يتصور ترابها وقد خلط بماء الأسطورة . فحيثما مشيت ستجد أثراً قديماً تصاحبه قصة من الأساطير العجيبة . ولعل أول الحقائق الثابتة ، أن

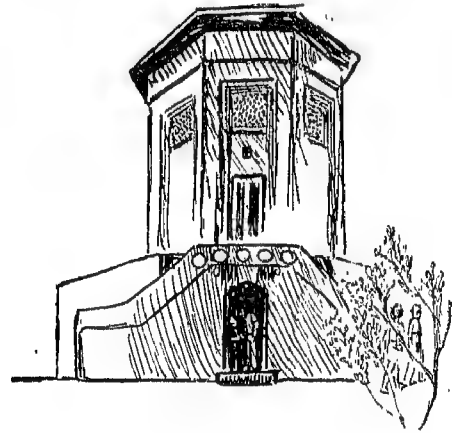
سمرقند من أقدم مدن الأرض ، حيث أنها انشئت منذ ٢٥٠٠ سنة . وهى تقوم على أرض مساحتها ٢٩ كيلو متر مربع وتعدادها الآن يصل الى ٣٠٠ ألف نسمة . وقد يكون من أسباب تعلق الأساطير بها هو التاريخ الفنى بالاحداث الضخمة التى عاشتها هذه المدينة والتى تعرضت لهجمات خارية مدمرة منذ القدم . ففى سنة ٧٢٩ قبل الميلاد احتلها الاسكندر الاكبر ودمرها تماما ثم أعاد بناءها ووجد آبارها . وفى القرن الحادى عشر غزاها العرب وفى القرن الثالث عشر اجتاحتها جحافل المغول بقيادة « جنكيزخان » الذى دمرها بكاملها وقتل من أهلها ٣٠٠ ألف نفس وأسر ٣٠ ألفا من الاهالى .

وتستحق « سمرقند » أن يطلق عليها اسم « متحف التاريخ » ، فلكل اثر من آثارها حكايات ترتبط فى أذهان العالم بأسماء مشهورة ، مثل « تيمورلنك » ولنبدأ ببعض الآثار .

متحف « فراسيا » وهو مقام على قمة ربوة عالية نصل اليها بدرج حجرى وسط أشجار الورود والزهور وأشجار الزينة المتوسطة الارتفاع . وهو بناء مقام من طابقين ، حيث يوجد فى الطابق الأراضى مجموعة من الصور المختلفة من فوتوغرافية الى رسوم زيتية ورسوم بالريشة ، مع مخطوطات اصلية ، وكلها حول احدى العبقريات التى ساهمت فى بناء الحضارة الانسانية . وهى شخصية « أوليغ بك » حفيد « تيمورلنك » وهو الذى تولى الحكم بعد وفاته . وكان مهتما بالفلك وبالارصاد . والمخطوطات الموجودة بالمتحف تؤكد ما وصل اليه « أوليغ بك » من توفيق علمى ظهرت حديثا الدلائل على صحته . ففى لوحة يوجد غلاف لكتاب من مطبوعات « أوكسفورد » باسم (جداول مواضع ثوابت الطول والعرض) باللغة العربية ، وفى داخل الكتاب تسجيل لاكتشافه لعدد من النجوم والكواكب عددها ١٠١٨ ، وكذلك سجل لعدد ٦٠٨٣ من مدن العالم وقتها ، وفيه ما يفيد أنه اكتشف بالعلم والتجربة والمتابعة أن طول السنة هو ٣٦٥ يوما و ٦ ساعات و ١٠ دقائق وثمانى ثوان ، وقد جاء بعد ذلك بزمان طويل العالم الانجليزى « نيوكومب » ليؤكد أن الفارق بين هذا التقدير وما وصل اليه التحقيق العلمى الحديث لا يزيد الا دقيقة وثانية ، فما وصل اليه « أوليغ بك » صحيح فى الايام والساعات ، ولكن صحة طول الدقائق هى تسعة بدلا من عشرة والثوانى ستة بدلا من ثمانية . أن الذى توصل اليه « أوليغ بك » منذ خمسة قرون ونصف يصح اعتباره عملا خارقا للعادة ومعجزا فى نفس الوقت . ولكن هذا ما حدث بالفعل . الى جانب هذا توجد رسوم للمرصد الذى بناه لاجراء تجاربه العلمية والذى توجد باقى آثاره فى مكان مجاور للمتحف فوق الربوة وهو الجزء الذى نجا من الدمار بعد أن تأمر ابن أوليغ بك من بعض القادة على قتله ونفذوا مؤامرتهم ثم دمر كل شىء أمكن تدميره ، وقد

سجل أحد الرسامين على لوحة زيتية صغيرة الحجم (٤٠ x ٦٠ سنتيمتراً) عملية اعدام العالم الكبير « أوليف بك » وهى من معروضات هذا المتحف . وفى المتحف تعرض الأدلة العلمية الكافية لاثبات أن المجمعتين اللتين عشر عليهما « لتي مور وحفيده أوليف بك » ومعهما صورة فوتوغرافية للأستاذ العالم الباحث الاثرى والنحات « جيراسيموف » ، هذا الى جانب عديده من المطبوعات المترجمة لأعمال « أوليف بك » باللغات الأوروبية جميعها . وفى الطابق الثانى من المتحف تعرض بعض الاثار القديمة من أسلحة وملابس وأدوات . وأمام المتحف يوجد شاهد لمقبرة يحيط به سور صخري من أسياخ الحديد وهو يضم رفات أول من قام بأعمال الحفر والبحث عن الاثار وهو الاستاذ « فيادكين » المتوفى سنة ١٩٣٢ . وقبل أن أغادر هذه الربوة التاريخية ، القيت نظرة على المدينة التى كانت تبدو منبسطة فى منخفض الوادى ورايت المكان الذى وقف أمام ربواته المرتفعة جنكيزخان قبل اجتياحها ، بينما كان هناك تمثال كبير أفيم حديثا « لأوليف بك » وهو ينظر نحو الأفق . وذهبنا الى ربوة أخرى فى طرف آخر من أطراف سمرقند القديمة . حيث توجد « مدينة الموتى » وهناك وقفت « ايناس » الفتاة الجميلة التى

١٢٨



قامت بدور الدليل السياحى لنا ، لتحكى قصة هذه المدينة . . مدينة الموتى . انه عندما جاء العرب بقيادة « قشم بن عباس » كانت نظرة الناس اليه باعتباره غازيا تجعله محل كراهية ، وبينما كان « قشم » يصل الى فوق هذه الربوة ، جاءه شاب متحمس لوطنه وضربه بالسيف ضربة فصلت راسه عن جسده ، وكان وقتها ساجدا ، ثم أخذ راسه ودفنها تحت سفح الربوة فنبت حولها بستان مزدهر ، وسمع الناس هاتفا يقول لهم : من يريد التقرب الى الله فليدفن بجوارى فوق هذا التل .

وعندما سألتها ، كيف تقول أنه بعد أن ضربه الشاب بالسيف استمر يصلى ، قالت لى وكأنها لا تدافع عن هذا القول :
هكذا تقول الرواية ، ولكنى لم أشاهد ما حدث بعينى ، أنا فقط انقل ما يقال . وقد فسرت هذا بتصوير بسيط لما حدث ، وهو أن الساجد اذا ضربت رقبته ، فمن الممكن أن يظل ساجدا ، وهذا يفسر أنه استمر يصلى .

وفى هذه المدينة عديد من الأضرحة المشيدة على الهندسة الاسلامية الأوربيكية حيث تغطيها نقوش بالسيراميك البديع الألوان والزخارف فى كل بوصة من مساحاتها ، وكأنها خلية نحل جميلة الألوان ويشترك الخط العربى الحسن التنظيم فى تسجيل بعض الآيات القرآنية والأسماء والتواريخ والحكم الماثورة . والعجيب أن أحد الأضرحة مكتوب عليه اسم الفنان الذى زخرفه واسمه « الأسطى على بخارى » ولا يوجد أى أثر لاسم صاحب الضريح . وهناك وجدت قبر « بوروندوك » أحد قواد تيمورلنك وهو بسيط بالنسبة لغيره . كما تتعدد كتابات أسماء الفنانين والمزخرفين الذى



« إيناس » المترجمة الحناء

اشتغلوا فى هذه الأضرحة ، مثل « الأسطى على من كارشى » والأسطى زكريا الدين من سمرقند . ويوجد قبر لزوجة تيمورلنك « طومان آكا » وهى من أذربيجان وقد بنت ضريحها قبل أن تموت .

أما ضريح « قثم » فهو أضخمها كلها وله باب من ضرفتين كان فى عهده مغطى بالذهب ويسمى « مدخل الجنة » وهو يؤدى الى بهو متسع فى نهايته باب على اليمين تصعد اليه بعدة درجات ليؤدى الى صالة واسعة كانت مسجدا وقد بناه « تيمورلنك » فى القرن الرابع عشر وكان منقضى بالسيراميك من الأرضية الى الحوائط والسقف . وفى الجهة المقابلة للمدخل

شباك من الخشب المعشق تتخلله فراغات صغيرة ومنتشرة في مساحته تظهر من خلفه أضواء غرفة المدفن حيث يوجد قبر « قثم » . ريجوار هذا الشباك باب منخفض الارتفاع وهو مغلق دائما ولا يفتح الا في الاعياد الدينية لكي يدخل الجمهور ليؤدي صلاة العيد أمام القبر للتبرك . وعند العودة كنت على وشك نزول الدرج الحجري الواسع (٨ أمتار) والذي يصل عدد درجاته الى الخمسين درجة ، عندما نادتنى « ايناس » وطلبت منى أن أنزل درجة درجة وأن أحصى عددها ، كما هو متبع بين الزائرين هناك ، ولكنى كنت قد وصلت من الإرهاق الى حد رغبت فيه أن تحملنى طائرة الى الفندق حتى أخلع ملابسى وأهرب من القىظ الشديد وأنام ، فلم انفذ هذه النصيحة ، وقفزت الدرج قفزا حتى وصلت الى السيارة فألقيت بجسمى على مقعدها الوثير .

وصممت على أن نذهب الى تناول الغداء وبعض الراحة ثم نواصل جولتنا ، وقد كان ما أردت .

وكانت الزيارة الثانية ، لمكان أثرى كبير تبدو عليه آثار التدمير وعوامل الزمن ، ولم تبق فيه سوى ثلاثة جوانب ، تقوم عليها حوائط ضخمة ، وفي تقديري أن مساحة هذه المنطقة الاثرية تكاد تصل الى ٤٠٠ × ٤٠٠ متر . وفي الجوانب الثلاثة يصل سمك الحوائط الى خمسة أمتار من الطوب الأحمر ، وفي كل حائط بوابة عالية شاهقة يصل ارتفاعها الى حوالى العشرين مترا واتساعها تسعة أمتار ، والمسافة التى فى الوسط مليئة بأكوام من الطوب المنهار ، وبينما كنت واقفا أتأمل المكان كانت « ايناس » تحكى لى ما تردد عن هذا الأثر :

عندما كان تيمورلنك فى حملة غزو الهند ، طلبت زوجته « بيبي خانوم » أن يبنى لها مسجدا كبيرا فى « سمرقند » ودفعت كل جواهرها لهذا الغرض . وكان المهندس الشاب الذى تولى هذا العمل يحب « بيبي خانوم » وكانت المبانى التى أقامتها تهبط وتفوص فى الأرض ، ويبدو أن السبب هو أن



« بيبي خانوم » كانت تتعجل اتمامه ولهذا لم يكن الأساس بالعمق الكافى معماريا . وقد سألت « بيبي خانوم » عن سبب تأخيرها وهددته بالقتل . ولأنه كان يخشى أن يكشف لها عما فى قلبه وامنيته أن يقبلها ، أحضر كوبتين ، وقال لها :

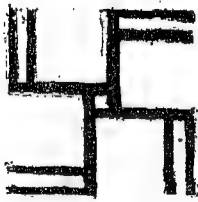
إذا شربت واحدة فانه لا يحدث شىء ، ولكن اذا أنا شربت الثانية احترق بالحب .

وعندما عاد « تيمورلنك » عرف بما حدث ، ولم يصدق أن يحدث هذا لزوجته ، وأرسل في طلب المهندس الذي اختفى ولم يظهر له أثر ، فأراد أن يحول بين زوجته وبين أن يرى وجهها أحد غيره ، فأمر بأن ترتدى النساء الحجاب منذ ذلك الحين .

وبينما كنت أستعرض ما قالته « ايناس » ومدى معقوليته ، إذا بها تعلن لى بأن هذه الحكاية التى شاعت زمنا طويلا قد انتهت ، وأما الحقيقة فهى ان السراى بنتها « بيبى خانوم » أما الجامع فقد بناه « تيمورلنك » بمناسبة فتحه للهند وكان فى الاصل أربعة جوامع على الجهات الأربع ، ولكنه اهتز قبل الانتهاء من بنائه وتداعت أجزاء منه .

وفى الميدان الذى يتوسط هذا المكان توجد قاعدة عرضها ثلاثة أمتار اقيمت عليها منضدة حجرية فوقها صفحتان من الحجر أعدت لتوضع فيها نسخة من القرآن للتلاوة منها فى الاحتفالات الدينية والمناسبات الكبيرة .

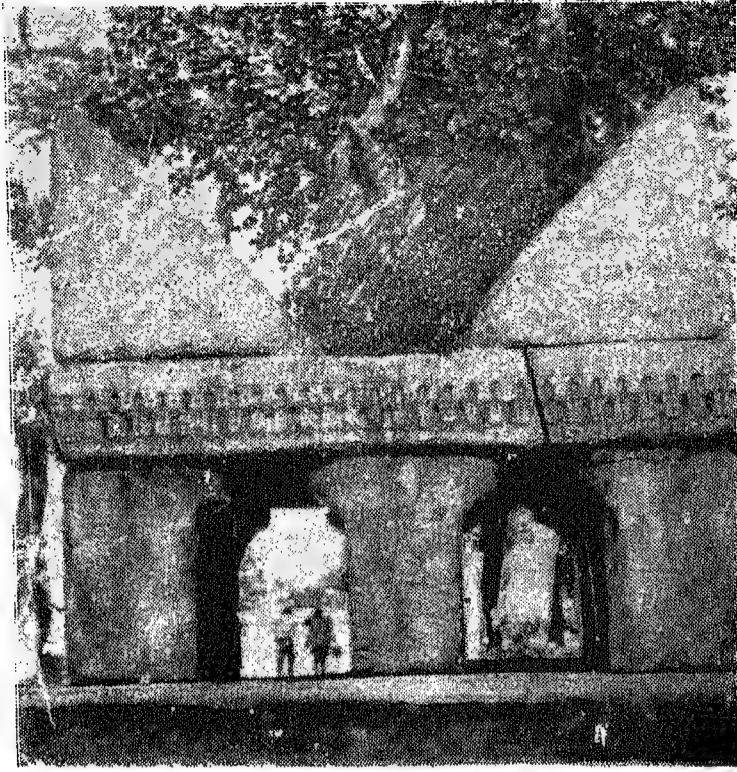
وما أن انتهينا من هذه المشاهد حتى نقلتنا السيارة الى اثر ثالث على مقربة من هناك ، حيث مساحة أصغر بعض الشيء من سابقتها ، مقام على ثلاثة من أضلاعها عمارات ثلاث ، كل واحدة عبارة عن مدرسة . وقد بنى المدرسة الاولى « أوليغ بك » وهى أيضا عبارة عن مساحة حائطية عالية جدا تتوسطها بوابة ضخمة ، وعلى جانبيها مئذنتان ، وكلها مغطاة



عند الهندوزنا السادة
العلامة الزخرفية
التاريخية ،
والتي اتخذها
علامة الصليب
المعروف

بالسيراميك ويغلب عليه الألوان الزرقاء . وكانت فى زمانها محاطة بسوق تجارى ، وفى القرن الخامس عشر كانت تضم ٥٢ تلميذا ، وبجوارها كانت بيوت المدرسين . وكانت مكشوفة ولهذا كان البرد شديدا الى درجة تمنع المدرس من الالتفات ، ولهذا لم يكن لها شأن يذكر . ويقابل هذا الجامع ، جامع آخر بنفس الحجم ولكنه أكثر فخامة وقد بناه « يالاختوش » فى القرن السابع عشر وهو فى الجهة الشرقية من الميدان ، خلف هذا الحائط ، توجد بنايات من طابقين على شكل مربع يتوسطها حوش حجرى ، وفى هذه البنايات حجرات للدراسة ومأوى للطلبة والمدرسين ، وتتسع لأكثر من ١٠٠ تلميذ . وأعجب أثر أمام هذه المدرسة ، هو قبر لا يكاد يرتفع عن الأرض لأكثر من قدم واحدة ، وهو للجزار الذى كان يقدم ذبائحه للمدرسة بدون مقابل سوى أن يدفن امامها ، وكان له ما أراد . وعلى واجهة المدرسة نقوش

مسجد حيدري ضمن للقرآن الكريم
أمام مسجد «البيبي خانوم» في سمرقند



وزخارف ، منها أسدان على قمة اليمين واليسار ، ولهذا سميت المدرسة باسم « شيردور » أي « ذات الأسود » . وفي هذه المدرسة تعلم حمزة حليم زاده نيازي ، كما أن مدرسة « أوليغ بك تعلم فيها المفكر الكبير » على شيرنواي .

وقد لفت نظري نقش واحد يتوسط الزخارف . وهو على هيئة تصميم الصليب المعقوف الذي اتخذته هتلر رمزا للنازية ، وتعجبت ، وسالت عن معناه ، ف قيل لي أن الهنود كانوا يتخذونه رمزا للسعادة ، وهو بالطبع أثر قديم .

أما المدرسة الثالثة ، فهي تسمى « تيللاكورس » ومعناها « المصنوعة من الذهب » وقد شيدت بعد المدرسة الثانية بسبعة عشر عاما ر قد بدأ أنشاءها نفس الشخص ، ولكنه توفي قبل اتمامها فظلت معطلة عن الانعام ولم يستفد منها ، وكانت مغطاة بمساحات زخرفية كثيرة باللون الذهبي . ووسط هذه المدارس ، يوجد ميدان واسع لا يشغله أي شيء من المباني ، وهو مرصوف بالحجارة السوداء والبيضاء وهذا الرصف حديث . ولو نظرت اليه من ارتفاع كاف فمن الممكن أن تقراء على حجارته رقم السنة التي قامت فيها الثورة « ١٩١٧ » .

ولهذا الميدان ذكرى فى تاريخ المنطقة ، فففيه عقد أول مؤتمر عام وحضره « كالينين » حيث تم اعلان قيام الجمهورية .

وقد حدث فى هذا المؤتمر ، وبعد أن سمع الألوف من الناس المبادئ التى قامت عليها الثورة ، وكان من بينها تحرير المرأة ، أن تحمست إحدى النساء المحجبات - وكلهن كن محجبات - فخلعت حجابها واحرقته أمام الملا . وفى اليوم التالى وجدت مقتولة بيد زوجها . وكانت النتيجة أن اندلعت بين النساء موجة من الاحتجاج والشعور الفريزى بالحق الانسانى لهن ، فاجتمع منهن مئات ، ثم تجمعن فى نفس المكان وخلعن عنهن الحجب ثم حرقنه فى مشهد كبير ، معلنات وقوفهن الى جانب قرار تحرير المرأة ومواجهة الرجال المتخلفين حضاريا بالتحدى الى آخر مدى . ولم تقتل منهن بعد ذلك واحدة .

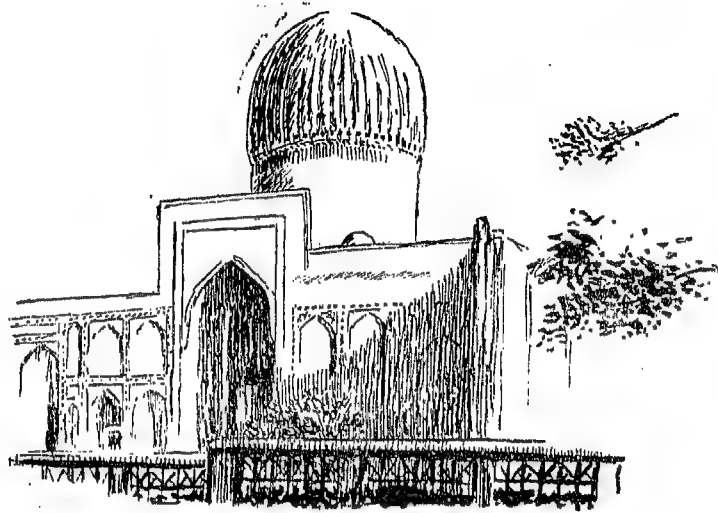
وبينما كنت اغادر المكان ، اخذت أتأمل هذه الأحداث ، واتأمل كيف يكون الانسان مستعدا لتقديم أغلى ما يملك - وهى حياته - فى سبيل التعبير عن حق من حقوقه ، بعد أن كان راضيا لأوضاع تعود عليها منذ ولد يمضغ آلامها صامتا ، حتى انطلقت فى سمائه دعوة للتحرر من سيطرة التقاليد البالية . فاذا هذا الكائن الذى عاش احيالا يتوارث العبودية ، يهب لينفص عنه غبار الاجيال ، وكأنها غفوة يوم أو ليلة فحسب .

ومن الآثار الهامة فى « سمرقند » ضريح الكبار واسمه « جور امير » أو ضريح الأمراء . وقد بناه تيمور لابنه الأكبر « محمد سلطان » الذى كان يرجو أن يخلفه فى الملك ، ولكنه مات وهو فى الثانية عشرة من عمره . وقد تم بناؤه فى سنة ، ولكن تيمورلنك لم تعجبه القبة ، وأراد هدمه وبناء غيره كما يرى . ولكن أوليغ بك وذوى الراى عارضوا هذا ، وانتهى الأمر بهناء قبة ثانية اكبر فوق القبة التى لم تعجبه ، وقد توفى تيمورلنك فى « اوتار » فى جمهورية « كازاخستان » وهو فى طريقه الى غزو الصين ، ويقال أنه مات بأحد امراض رشح البرد ، فعاد به « أوليغ بك » ودفنه فى هذا الضريح ، وفى حديقة الضريح يوجد مكعب حجرى من الرخام الرخيص وبه زخارف ، اعرض تيمورلنك .

ودخلنا الضريح ، فاذا بالقبة من الداخل مزخرفة بأشكال دقيقة الصنع من الذهب ومكتوب فيها (سعيد ذلك الذى يرفض الحياة قبس أن ترفضه) وقد تكلفت هذه القبة ٢٢٠٠ جرام من الذهب ، ويتدلى من القبة مصباح من الجواهر النفيسة ، أما الأرض فمغطاة بالرخام . وتحت القبة مباشرة توجد خمس قطع من الصخر علامات على خمسة مقابر ، الأولى قبر « مرسيت بيركه » الأب الروحى لتيمورلنك وهو فى المقدمة ، وخلفه قبر تيمورلنك ، من حجر اخضر غامق جلبه من الهند أوليغ بك ، وبجواره قبر لولدى تيمور

« ميران شاخ » و « شاخ روخ » وعلى بعد متر ونصف يوجد قبر « أمير سعيد أمير » الساقى الخاص لتيمورلنك . والقبر الخامس لابنسه « محمد سلطان » .
وقد حدث أن « شيخ نادر الايرانى » غزا « سمرقند » وأخذ الحيز

قبر شيخ الإمام « البخارى »



الأخضر من فوق قبر تيمورلنك ، ونظرا لثقله حطمه الى قطعتين وعاد به الى بلده ، وفي منتصف الطريق مات ، فأعيد الى مكانه فوراً .
وعند اكتشاف المقبرة ، تم رفع الشواهد التى عليها فلم يعثر فيها على جثث بل كانت فارغة . وظل البحث والتنقيب حتى أمكن العثور على مقابر أخرى بنفس النظام ولكن على عمق أربعة أمتار تحتها مباشرة فى قبر يوصل اليه درج حجري . وقد وجد على قبر تيمورلنك الحجرى نقوش فيها تحذير لكل من يعثر بقبره أنه سيصاب بالمناعب وتجتاح الحروب العالم ، وكان ذلك يوم ٢١ يونية ١٩٤١ ، وعندما رفع غطاء القبر وجدت فيه جثة تيمورلنك وفى اليوم التالى اجتاحت جحافل النازية حدود الاتحاد السوفيتى فى الحرب العالمية الثانية . وقد استمرت الدراسات العلمية على رفات تيمورلنك ثم أعيد الى مكانه وأقفل القبر فى فبراير ١٩٤٣ ، والعجيب أنه فى هذه الفترة من الزمن وبعد قليل ، بدأت معركة ستالينجراد تأخذ مجراها الذى انتهى بمحاصرة « فرن ياولوس » وأسر مئات الألوف من القوات النازية ، وأعقبها الهجوم الكاسح الذى انتهى بدخول برلين والقضاء النهائى على النازية فى عقر دارها .

وغير هذا من الأماكن الأثرية فى سمرقند ، شاهدت السوق التجارية القديمة ، وهى مقامة تحت قباب متجاورة تكون فى مجموعها سطعا تغطى المحلات المعدة لبيع الانتاج المحلى ، حيث المنسوجات الحريرية وصناديق

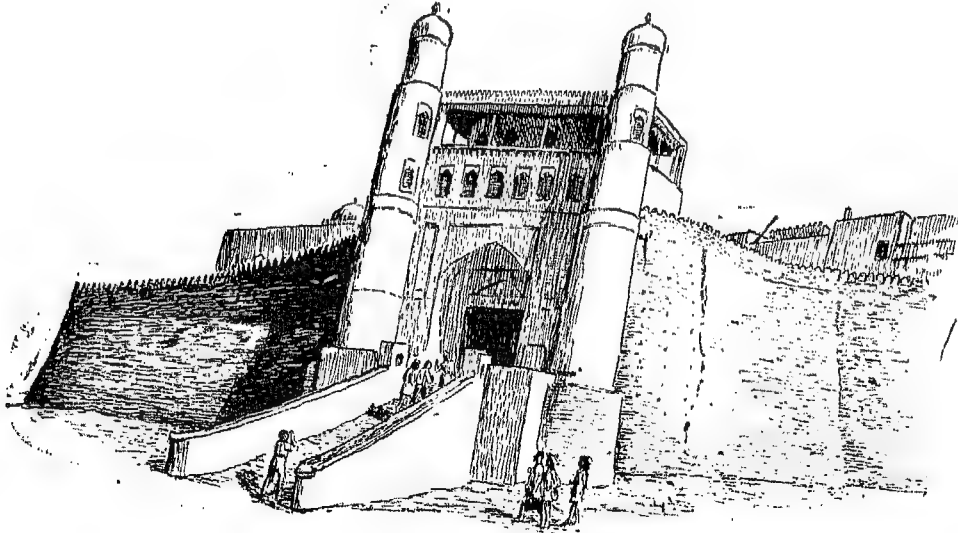
الملابس التى تشبه تماما صناديق ملابس الفلاحين فى مصر ، وتنتشر الى جانب هذه الاثار وفى أنحاء من المدينة عدة آبار عجيبه الشكل والتكوين فالبئر تتكون من أربعة أضلاع عرض كل ضلع عشرون مترا تقريبا وفى كل ضلع درجات حجرية تتجه مائلة نحو الوسط ، بحيث يكون قناع البئر فى حدود عشرة أمتار أو أكثر قليلا لكل ضلع ، وكانت فى زمانها مصدر المياه فى المدينة حيث ينزل الناس للماء الاوانى منها .

ولكن سمرقند ليست مدينة الماضى فقط ، ففيها الآن حركة تعمير وتطوير نشطه . فهناك ٦ معاهد عليا ، وبها جامعة تشمل ١١ قسم دراسة تخصصية ، فيها خمسون ألف تلميذ ، وبها معهد عمارة يضم ٦ أقسام ومعهد طبى (أنشئ ١٩٣٠) يدرس به ٦٠٠ طالب مسلم ومعهد بيواوتحى لعلمى الجمهورية ، الى جوار مدارس مهنية عديدة ومدارس عليا ، ومعسكرات صيفية للأطفال .

وكانت فى سمرقند مكتبة واحدة أنشأها « فارسوف » سنة ١٩٠٨ . والآن بها ١٦ مكتبة (دار كتب) أكبرها مكتبة الجامعة التى تحتوى على عدة آلاف من المجلدات .

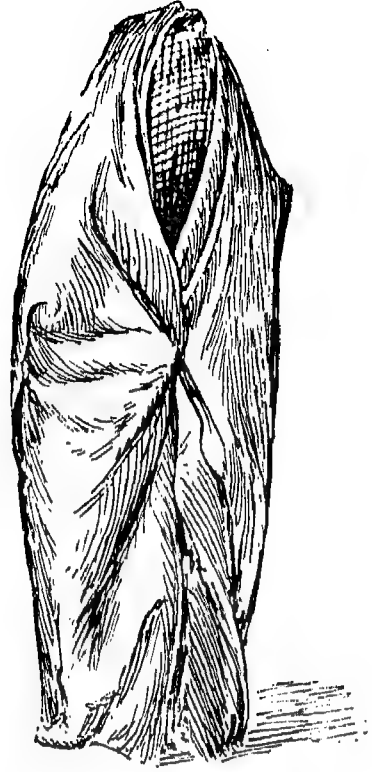
ولم يكن فى سمرقند الا ١٩ طبيبا قبل الثورة ، أما الآن فانه لكل ٨٠٠٠ مواطن يوجد ٦٥ طبيبا . ولم يكن هناك الا مستشفيان اثنان ، والآن يوجد أكثر من ١٠٠ مستشفى .

وفى كل سنة يضاف الى المساكن ٢٠٠ ألف متر مربع مبنى العمارة الحديثة . وتصدر فى سمرقند جريدة « طريق لينين » باللغتين الأوكرانية والروسية .



— مبنى المحافظة القديم مركز الساطة القيصرية فى قمع شعوب المنطة حيث السجن داخله

صدق أو لا تصدق . . . كان هذا هو . . .



عن النصف الحلو

أحيانا أتصور نفسى فى أيام الحكم القيصرى لبلاد آسيا الوسطى ، وانا سائر فى احدى الطرقات ليلا ، واواجهه شبعا فى الظلام يتحرك أمامى ، ويتمكننى الخوف فأسارع بالالتجاء الى أقرب مكان بعيد عن طريقه حتى يمر ويستعد . والآن أضحك من نفسى بعد أن عرفت أن هذا الشبح لم يكن سوى امرأة أوزبكية بالملابس القومية .

لقد عاشت المرأة الأوزبكية أسوأ نوع من الحياة قبل الثورة ، ففى ظروف القهر الاستعماري القيصرى وانحطاط مستوى المعيشة الى أدنى مستوى ، كانت المرأة تحمل - بجانب كل هذا - وضعا عبوديا مهينا أهدر آخر ما تبقى لديها من قيمة أنسانية . فهى بالنسبة لأبيها - ثم لزوجتها - تعتبر متاعا من ضمن ممتلكاته الخاصة . لهذا فرض عليها أن ترتدى عباءة فضفاضة داكنة اللون من الصوف والوبر الرخيص تغطيها من قمة رأسها الى أخمص القدمين ، وفى مكان الوجه فتحة ضيقة ينسدل وراءها نسيج من شعر الخيل ، وبهذا تختفى كلها داخل هذا الرداء ، وكان محرما عليها أن تخرج الى الطريق - اذا دعت الضرورة لذلك - الا وهى داخل هذا

الحجاب الكلى . أما حياتها في البيت ، فهي لا تظهر لأى رجل سوى زوجها ، وهى محرومة من رؤية الطريق لأن البيوت لم يكن لها نوافذ على الشارع غير الباب الوحيد . وهذا الوضع كان ينفذ بأقصى درجات الصرامة والقسوة وما كان ممكنا أغفاله تحت أى ظروف .

في مثل هذه الظروف ، لم يتجاوز عدد النساء القادرات على القراءة والكتابة سوى ٢٩٥٢ متعلمة . ومن بين نساء ناحية « نارباى » في مقاطعة « سمرقند » البالغ عددهن ٢٣٢٢١ امرأة لم يتلق التعليم الاولى سوى ١٤ امرأة .

هذا هو الوضع الذى جاءت الثورة فوجدت المرأة الأوزبكية عليه . ولعلها تجربة فريدة في بابها من بين تجارب الشعوب ، جديرة بالنظر والمعاينة ، ولنبدأ بقول « ماركس » في هذا الصدد :

(أن تطوير المجتمع لا بد وأن يرتبط بما يمكن أن تقدمه المرأة) .

وجاء المخطط ليضع تصميمًا نموذجيًا مفصلاً على ظروف حياة المنطقة . وكانت البداية ، فأنشئت شبكة من النوادي النسائية الخاصة في جميع أرجاء الجمهورية ، وخصصت لإدارة هذه النوادي كوادر من النساء المدربات على الإدارة والإرشاد الصحى والتعليم ، نظمت حملة جذب للنساء لا رتباد هذه النوادي بغرض الاستماع الى قراءات من المجلات والصحف الدورية ، ثم اضيف الى الأنشطة هذه النوادي تعليم النساء أصول التفصيل والخياطة ، والى جوار ذلك اقيمت أمسيات لسماع الموسيقى والفناء الى جانب مناقشة النساء في مشكلات تربية الاطفال . وكانت المرأة الأوزبكية تحضر محجبة وبخاصة في المرحلة الاولى للسلطة السوفيتية .

وعندما وصل مستوى التعود على الحياة الاجتماعية الجديدة مرحلة معقولة عندئذ فقط أنشئت للنساء مدارس لتعليم القراءة والكتابة . وقد أظهرت عملية انشاء شبكة واسعة من المدارس النسائية الخاصة للقراءة والكتابة ، أن الحاجة ملحة لإيجاد عدد كبير من المعلمات . ولهذا استخدمت هذه المدارس ذاتها في اعداد المعلمات كخطوة أولى ، ثم أعقبها انشاء دور خاصة للمعلمات ومعاهد للتثقيف وقد نظمت بالجمهورية في العام الدراسى ١٩٢٠ - ١٩٢١ حيث كانت النساء يحصلن على تعليم ثانوى ، وهؤلاء كان لهن دور كبير في التدريس داخل عشرين مدرسة . ففي عام ١٩٢٣ - ١٩٢٤ مثلاً ، كانت تدرس في دار المعلمات بطشقند ٦٣ امرأة ، ثم اشتركن جميعهن مع الطالبات في حملة مكافحة الأمية بين النساء .

وفي العام الدراسى ١٩٢٩ - ١٩٣٠ كان تعداد المعلمات ١٠٥ آلاف امرأة . ولم تكن غرف التدريس تكفى للاعداد الكبيرة الراضية في محو الأمية . ففي سمرقند كان النقص قد وصل الى ١٩٢٠ غرفة تدريس . ولم تكن الجمهورية الوليدة بقادرة على اعداد ابنية جديدة ، لاهتمامها

بإعادة بناء الاقتصاد الوطنى الذى دمرته الحروب . فاستخدمت المباني الصالحة نوعا ما ، كالتوادرى القروية ونوادى المشروعات والمؤسسات . . . وما الى ذلك . وفى كثير من الأحوال كانت الدروس تلقى فى « الشايخانات الحمراء » - وهى أماكن فى المنتزهات لتناول الشاي مثل المقاهى فى مصر - وكذلك فى بعض بيوت الأفراد . ذلك أن الشعب ذاته ، وبعد أن أستشعر انتماء النظام الجديد له واهتمامه بمصالحه ، قدم بمبادرة أصيلة مساعدات كبيرة للتغلب على مصاعب هذا النقص ، ومثالا على ذلك - أن الفلاحين فى ناحية « يانفيكورغان » بمقاطعة « انديجان » أقاموا ست عشرة بناية مدرسية تحتوى على ثمانين غرفة ، وذلك فى سنة ١٩٢٨ . ومن هذه الأمثلة يوجد العديد .

واليوم ، يكفى أن نلقى نظرة سريعة على أى مكان فى جمهورية أوزبكستان ، فى العاصمة طشقند كما فى كل جهة من أطراف الريف ، لنرى الدليل الكافى على أن المرأة قد تحررت تماما من ربقة الماضى وأسره وأنها تحقق وجودها الاجتماعى والإنتاجى فى عديد من المجالات . فهى فى مجال الطب تشكل أغلبية كبيرة ، وتحتكر المرأة - أو تكاد - جميع الخدمات فى مجال التجارة ، وتساهم نسبة ملحوظة من النساء فى إدارة المرور وقيادة الترام ، وفى المزارع يساهم بعضهن فى قيادة الجرارات والآلات الزراعية والحاصدة . أما فى المصانع فالمرأة الأوزبكية تشارك الرجل فى كثير من المجالات التى تناسب قدراتها . هذا الى جانب مجالات الهندسة والإنشاءات المعمارية ومعامل الأبحاث البترولية والكيميائية . أما فى مجال الفنون ، فالمرأة السوفيتية قد خطت مراحل كبيرة وحققت نجاحا مرموقا وبخاصة فى الفنون الشعبية مثل الرقص القومى المتعدد الألوان وأيضا فى الباليه والموسيقى الكلاسيكية والمسرح والسينما .

والمرأة الأوزبكية تبدو انيقة المظهر بدون اسراف أو مبالغة ، فمن النادر أن ترى امرأة تجرى لاهثة وراء الموضة الحديثة ، بل انهن يعتمدن على ذوقهن الخاص فى اتخاذ مظهرهن وبكل بساطة ، مع الاهتمام بتصفيف الشعر بغير افتعال وتزايد ، ويشدبن أضافرهن ويصبغنهن بالألوان الطبيعية . وتنتشر بينهن الفساتين الحريرية الصنيع والتى تنتجها الجمهورية وبمئات من قبل ممنوعة على النساء الفقيرات . وتكاد زخارفها تتشابه بين جميع النساء ، كما أن تفصيل هذا الفستان من أبسط ما يكون . فهو بدون حزام فى الوسط ليناسب حرارة الجو ، وله أكمام تصل الى ما قبل الرسغ وهو غير فضفاض ، ويطول الفستان الى ما تحت الركبة .

وخلاصة القول ، أن المرأة الأوزبكية ، رغم جمالها المعتدل ، وذوق ملبوسها السليم ، فانها تستولى على احترام من يشاهدها قبل أى شىء .



فنى صحة الشعب

ظهرت فى منطقة آسيا الوسطى أسماء لعدد من العلماء الذين يسجل لهم تاريخ الطب جهودا وإنجازات علمية أضافت الى المعرفة الطبية الكثير مثل « أبو بكر محمد بن زكريا الرازى » (٨٦٥ - ٩١٠ ميلادية) ويطلق عليه فى الغرب اسم « رازيس » وله مائتا مؤلف فى الطب . وأيضا « أبو على بن سينا » (٩٨٠ - ١٠٣٧ م) .

وابتداء من القرنين الثانى عشر والثالث عشر حتى القرن التاسع عشر ، أصيبت العلوم الطبية بانحطاط نتيجة للحروب والغزو المغولى ١٢١٩ مما أدى الى انحطاط اقتصادى كبير اتبعه انحطاط ثقافى أيضا ، وتدهورت الظروف الصحية الى الدرك الأدنى .

وفي ١٨٦٨ م افتتح في طشقند أول مستشفى عسكري لأفراد القوات المسلحة الروسية . وبعد مرور ربع قرن على احتلال روسيا للبلاد ، أنشئ ٣٣ مستشفى تتسع لعدد ٢٠٤٠ سريرا (منها ١٣ مستشفى تضم ٢٤١ سريرا لخدمة ٣ ملايين فرد) وخصص العشرون مستشفى الباقية للجيش الروسى وموظفى القياصرة .



ومن ١٨٩٥ الى ١٩١٣ كان المخصص للخدمة الطبية في تركستان من ٣ الى ٤ كوبيكات للفرد الواحد سنويا . وحتى قيام الثورة كان في رقعة تركستان الحالية ٦٥ مستوصفا تضم ٩٧٦ سريرا و ٣٤ صيدلية و ١٠٢ من الاطباء (بواقع طبيب واحد لكل ٣٤ ألف شخص) و ٢٣٤ مساعد طبيب ومولد . ولهذا كانت تنتشر الأوبئة وامراض التراخوما والسل والجذري والتيفود والدرن الرئوى والجرب ، وكان احصاء ضحاياها يصل الى عشرات الالوف ، ولعل اخطر هذه الأوبئة كانت الملاريا . ففي ١٨٧٢ اصيب من الكوليرا في منطقة « تشيناز » قرب طشقند ٣٩٧٨ مات منهم ٢٠١٠ مريضى بنسبة ٦٣٪ ومن الجنود بنسبة ٣٢٪ . وفي ١٨٩٢ اصيب بنفس الوباء في طشقند اعداد كبيرة ومات خلال ٨ سنوات منهم ٣٩٦٥ مريضا . وفي سنة ١٩١٤ كان فوق رقعة أوزبكستان الحالية ١٠٢ من الاطباء و ٦٥ مستوصفا و ٣٩ مستشفى (٩٩٨ سريرا) أما مراكز الاستشارات النسائية على قلتها والتي فتحتها الطبيبات الروسيات ، فلم يكن باستطاعتها أن تقوم بدور ملحوظ في حماية الامومة والطفولة ، فقد كانت نسبة الوفيات مرتفعة للغاية بين الاطفال والنساء عند الوضع .

وقد بدأ تغيير هذا الوضع بعد قيام الثورة حيث أنشئ في جامعة الدولة بطشقند التى انشئت سنة ١٩٢٠ معهد للطب ، ونتيجة لعدم وجود أستاذ واحد قدمت من موسكو مجموعة من الاساتذة والاطباء المتخرجين . وفي ١٩٢٢ خصص مبلغ ٦٥ ألف روبل ذهبى لشراء أجهزة مختبرات ومراجع من ألمانيا . وفي الفترة منذ انشاء معهد الطب وحتى انفصل وأصبح كلية مستقلة بذاتها (من ١٩٢٠ حتى ١٩٣١) تخرج منها ألفا طبيب كان

لهم اثر فعال في مكافحة الأوبئة والأمراض وفي اعداد كوادر علمية وأبحاث ودراسات علمية وكذلك في تأسيس القاعدة الاكلينيكية ، بالاضافة الى اعداد كوادر متوسطة تعمل بالطب . وفي ١٩٢٤ بدأت الحملة الطبية تؤتي ثمارها بسرعة وبخاصة ضد الأوبئة الخطيرة (الكوليرا والطاعون) وحمى التيفوس الطفحي ومرض الديشتا . (وهو مرض جلدي سريع الانتشار) وقد أصيب منه في بخارى وحدها ما نسبته ٢٠ ٪ من سكانها .

وفي ١٩٢٣ تم تجفيف اخواض المياه ومناطق تجمعها الشابت ، وفي ١٩٣١ تم القضاء على المرض وأعلن في ١٩٦٢ القضاء التام النهائي على الملاريا في جميع أنحاء جمهوريات الاتحاد السوفيتي .

وفي ١٩٣٠ افتتح في سمرقند معهد للطب .

في ١٩٥٥ افتتح في انديجان معهد آخر للطب .

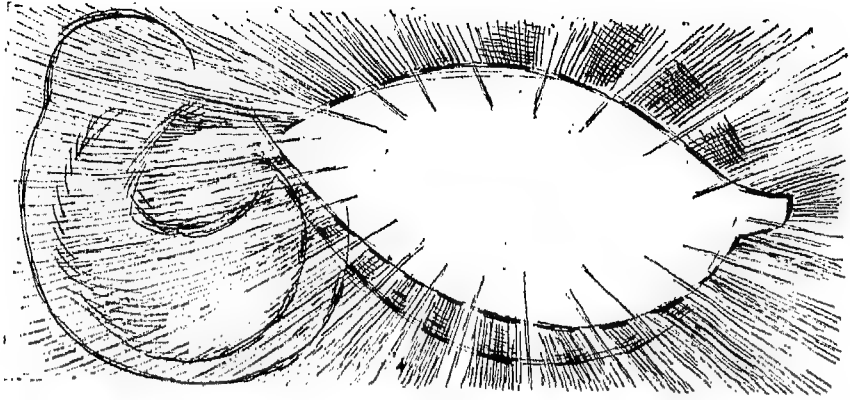
وفي ١٩٦٧ افتتح في طشقند معهد للصيدلة . ومن هذه المعاهد تخرج حتى عام ١٩٦٧ من الأطباء ٢٤٢٤٤ طبيبا ، وفي يناير ١٩٧٣ كان يوجد في جميع المعاهد العليا والأبحاث العلمية ٢١٣ دكتورا في العلوم الطبية والبيولوجية بالاضافة الى ٢٧ دكتورا في فلسفة هذه العلوم .

ويمكن مقارنة التطور الصحي الذي حققته الثورة في اوزبكستان بهذه الأرقام :

على اساس طبيب واحد لكل ١٠ آلاف فرد ، كان في إنجلترا سنة ١٩٦٠ نسبة ١٠٧ طبيب وفي فرنسا سنة ١٩٦٣ نسبة ١١٢ طبيب ، وفي تركيا سنة ١٩٦٢ نسبة ٢٤ طبيب وفي اوزبكستان سنة ١٩٦١ نسبة ١٨٣ طبيب ، وهذا احصاء يدل على مدى الانجاز الذي تحقق في سنوات معدودة .

وقد وصل منسوب متوسط حياة الانسان في ١٩٦٧ الى ٦٩ سنة .





سمعت... ثم رأيت

كان اول علمي بالخبر في صبيحه يوم منذ ثمانى سنوات وبضع شهور . ولم يكن فيما نشرته الصحف ما يحمل تفاصيل اكثر من « أن طشنةند تعرضت لزلزال عنيف » أما عن الخسائر والدمار ، فلم أعرفهما الا بعد ذلك بيوم أو اكثر . ولأننا في مصر لا نتعرض للزلازل كثيرا ، وإذا حدث زلزال فإنه يكون زلزالا هينا رحيما . لهذا فقد مررت بالخبر كأنه كارثة عادية .

ولكن ، لم تمض أيام حتى عرفت أن الزلزال كان عنيفا ، وأنى استعيد الآن الصورة التى انطبعت في مخيلتى من وقتها ، وما زالت ماثلة كأنها وقعت منذ لحظات .

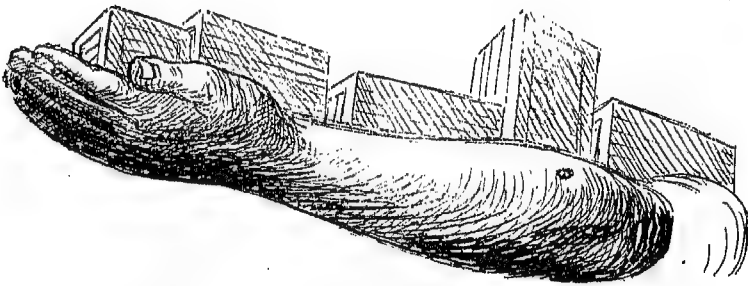
في فجر السادس والعشرين من ابريل عام ١٩٦٦ والناس نيام ، وعقرب الساعة يقترب من الدقيقة الثالثة والعشرين بعد الساعة الخامسة ، وما يكاد يثبت على هذه الدقيقة ، حتى اهتزت الأرض لبضع دقائق هزات قوية ، ثم هدأت قليلا . وهب النيام مدعورين ، ثم تلاشت المفاجأة وأدركوا بخبرتهم أن الخطر قائم ، فهرعوا من مساكنهم الى الخارج ، ولكن الطبيعة لم تكن هدأت ، فعاود الزلزال هزاته بعد ذلك وهى تتزايد عنفا وطولا حتى وصلت الى ألف هزة عفيفة . وعندما أفرغت الأرض ما فى جعبتها من فورة ، كانت عدة آلاف من الافدنة قد تهدمت وتساوت مع الأرض تماما ، وكانت عشرات الألوف من العائلات تقف بعيدا عن منطقة الدمار ترقب بيوتها وهى تتحول الى اكوام من الصخور والأخشاب والحدائد .

شئ واحد لم يكن موجودا بين المواطنين من ضحايا الطبيعة ، ذلك هو الجزع . ولو أن هذه الكارثة حدثت قبل ذلك الوقت بنصف قرن ،

لكان من المحتم أن يجزعوا لأنهم بحكم تجاربهم يدركون أن الاستعمار القيصري لن يهتم كثيرا بما حدث من دمار ، بقدر اهتمامه بإعادة بناء قصور البكوات من عملاء الحكم القيصري وتشبيد دور الحكومة ونواذى مرحهم ومتعتهم ولا شىء غير هذا . أما الشعب المحكوم فليس له أى حق أكثر من أن يعيش كسكان الكهوف وأن يعيد بنفسه بناء بيوتيه كيفما يشاء .

بلا أدنى مبالغة كان هذا هو الذى يحدث لو أن الزلزال تقدم موعده نصف قرن .

ولكنه - لحسن الحظ - تأخر هذا النصف قرن ، ليقع فى عصر جديد ، تقوم فيه الاشتراكية العلمية بدلا من التسلط الاستعماري القيصري ، فالآن يحكم الكادحون ، بدلا من طبقة الاقطاعيين والمستبدين . لهذا ، كنت والطائرة تحملنى وتقرب من الاراضى الاوزبيكية أتساءل بينى وبين نفسى : ترى ماذا سأرى على أرض طشقند ؟ كم بيتا أمكن بناؤه ، وكم مؤسسة وكم مدرسة وكم مستشفى . . . ؟ الى آخر هذه التساؤلات . وأخيرا ، وصلت الطائرة ، ولست قدماى أرض مطار طشقند ، بينما أخذت عيناي تتجول حولى دون أن تتبين غير انشاءات عادية مما يوجد فى كل مطار . وانتظرت حتى نصل المدينة والتي تبعد قليلا عن المطار . وكانت مفاجأة حقيقية لى ، عندما كانت السيارة تطوى الطرقات المرسوفة داخل العاصمة طشقند وأنا أرى على طول هذه الطرقات مئات من العمارات الحديثة الضخمة وسط مئات من الحداثق الوارقة العالية الأشجار ، ومئات من النافورات المتعددة الأحجام والاشكال جميلة التصميم تنتشر فى الميادين كما تنتثر أيضا داخل البساتين والمتنزهات . حقا انه العجب .



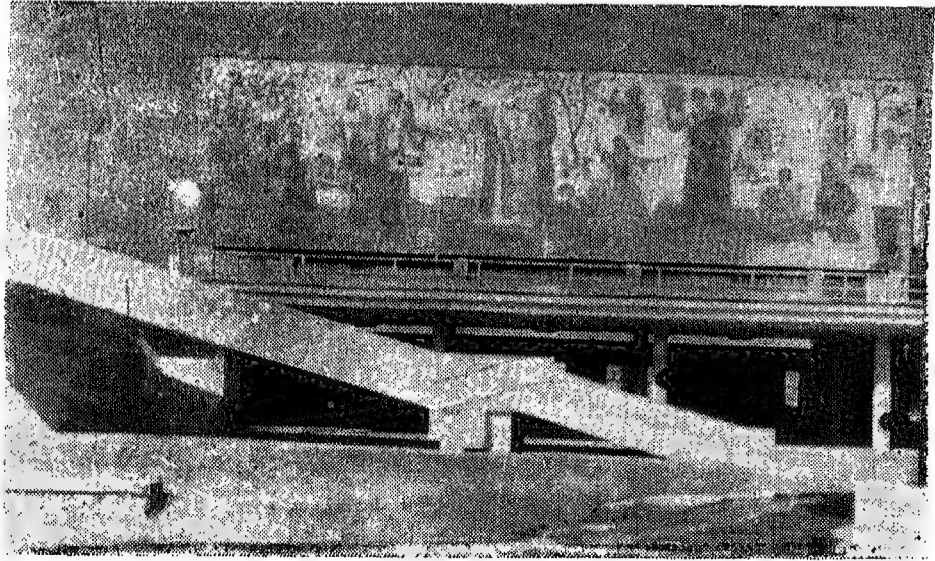
لقد مضت ثمانى سنوات فقط ، فاذا بمدينة عملاقة مترامية الأطراف تقوم وكأنها المارد الخرافى الجبار الذى نقرأ عنه فى الاساطير . ولم تغفل دهشتى طويلا ، بعد أن عرفت ما حدث .

فما كادت الكارثة تقع ، حتى هبت جميع الجمهوريات الاشتراكية الأربع عشرة التى تؤلف الاتحاد السوفييتى تقدم العون المطلوب للعاصمة

الشقيقة ، والعون من كل نوع ، من الغذاء ومواد البناء والاسعافات الطبية والملابس والأثاث الى الأجهزة العلمية والدراسية من كتب وكراريس .
لقد كان بحق مثالا رائعا للتضامن الأخوى بين جمهوريات الاتحاد السوفيتي .
والكى نضع امام أعيننا صورة لهذه المعاونة الأخوية ، يكفى القول بأنه لم
تمضى ثلاث سنوات على وقوع الزلزال المدمر حتى امكن انتقال ٨٠ ألف
عائلة الى مساكن جديدة ، وشيدت مدارس تضم ٦٥ ألف مقعد ومؤسسات
للأطفال تحتوى على ٣٢ ألف مقعد ، بالإضافة الى عديد من مؤسسات العلاج
والثقافة والتجارة والخدمات العامة . والى جانب كل هذا ، انشئت المدينة
الاولمبية وقصر للرياضة ومجموعات من معاهد التعليم العالى ، بخلاف
العشرات من الحدائق العامة والمتنزهات وأماكن اللهو .

ولهذا ، فان طشقند ، اعترافا بروح الاخوة والتعاون الرائع الذى
لقيته من سائر الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية ، فانها اطلقت اسماء
هذه الجمهوريات على عديد من شوارعها واحيائها ، وقد رايت لافتاتها
تحمل اسماء « موسكو فى » و « ليننجرادى » و « كييفى » و « بيلوروسى »
و « اوكرانى » وهكذا .

١
صورة حائطية من أعمال الفنان « د . د . يوسوف »



واليوم ، بعد مرور السنوات الثماني على الكارثة ، تتمتع طشقند
بمولدها الجديد ، وكأنها وهى تستعد للاحتفال بمرور الفى سنة على انشائها

في ٢٨ سبتمبر ، كأنما شاءت لها الظروف أن تتزين كالعروس بالمنشآت الجديدة التي أبدعت القرائح الفنية في تخطيطها على آخر ما وصلت اليه الهندسة المعمارية من ابداع .

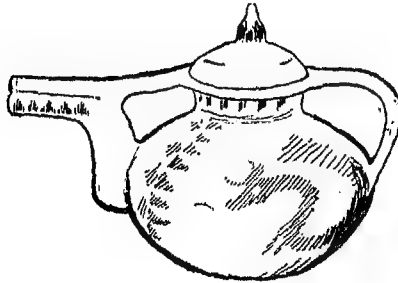
وقد كان لهذا الزلزال - غير فضل اعادة بناء طشقند - فضل آخر . ففي هذه العاصمة العريقة الشابة انشئ احداث معهد لأبحاث الزلازل ، حتى يتمكن من السيطرة على الاضطرابات الأرضية بالعلم الحديث . وبهذه المناسبة ، كنت على موعد في المبنى الجديد لرئاسة الوزراء في ميدان لينين وكانت الساعة الحادية عشرة والنصف ظهر يوم الثلاثاء ٣٠

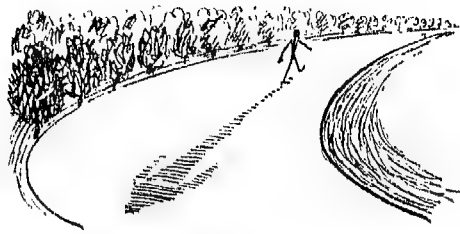


يوليو الماضي عندما شاهدت عشرات الموظفين والموظفين يخرجون زرافات من باب المبنى الشاهق الارتفاع . ومن أحاديثهم عرفت أن زلزال وقع منذ قليل واستمر لمدة خمس دقائق وأنهم شعروا وهم في الأدوار العليا بالتأرجح . وعندما التقينا في موعدنا داخل المبنى قيل لنا أن هذا المبنى حديثه ومصمم بحيث تقاوم الزلازل ، فهي مؤسسة على هيكل من الحديد وبهندسة علمية مجربة .

هذا ما رأيته بعد أن كنت سمعت .

وهكذا زال عجبى ، ليحل مكانه اعجابى .





طريق إلى الجنة

وجدنا أنفسنا نحن الثلاثة « بوريس وناريمان وأنا » في أطراف طشقند وكان الوقت ظهرا والشمس في أوج شدتها ، فاتجهنا نحو حديقة اسمها حديقة « بابيوا » أي الانتصار . وكان البرنامج الذي أعده « ناريمان » لزيارة معرض المنجزات الصناعية الزراعية قد تعذر تنفيذه بسبب إغلاق مبنى المعرض للترميمات السنوية . وكانت محنة ناريمان في هذا الجو القائل تتضاعف لأنه كان يقدم الاعتذارات عن عدم تحضيره لزيارة المعرض بشكل كاف ، وكنت أشارك « بوريس » في دفعه الى مواصلة الاعتذار بطريقة - أو بأخرى - فناريمان هذا يشجع المرء على مداعبته لخفة « . » . ووجدنا أنفسنا نسير بغير برنامج سبق أعداده ، بل بشكل تلقائي ، وكانت الظلال الوارفة قد أعادت إلينا بعض الرفق الذي كدنا نفقده تحت سطوة الشمس ولهيبها .

ولم يكن أمامنا أن نختار بين الطرق العديدة تحت هذه الغابة المرتفعة الأشجار ، لأن الطرق جميعها كانت تتشابه مع بعضها ، وهي تبدو كأنها دروب طبيعية خطتها أقدام الناس بدون أن يكون للهندسة دور فيها ، فمشينا في أوسعها ، وكان من حولنا يمينا وشمالا عديد من المناضد المثبتة في الأرض وكذلك مقاعدها وعلى بعضها يجلس أشخاص بعضهم يستذكر في كتاب والبعض الآخر يتسامر ، والهدوء يخيم على المكان . وشاهدت على جانبي الطريق صورة فوتوغرافية للقادة العسكريين من الأوزبك والروس المقيمين في طشقند والذين استشهدوا في الحرب العالمية الثانية ضد النازية وكان عددهم ٢٦ يحملون جميعا أرفع وسام عسكري في الاتحاد السوفيتي وهو وسام « النجمة الذهبية » وكان أول اسم هو

للجنرال الأوزبكي « صابر رحيموف » الذي اشترك في معركة ستالينجراد واستشهد في مارس ١٩٤٥ .

أن مثل هذه اللوحات تدل على الاهتمام الذي تحرص عليه الدولة والحزب في ضرورة تذكير الشباب الذي لم يعان نفسه ظروف الحرب وويلاتها وكم يتكلف الدفاع عن الوطن من أرواح غالية ، وليدرك أن الحياة التي يعيشها في ظروف الاستقلال الوطني لم تتحقق بغير ثمن ، وأن السلام لا يمكن ستمانه بغير التأهب للدفاع عنه دائما .

فالدو الذي مات واحد وهو النازية ، ولكن هناك أعداء آخرين ما زالوا أحياء طالما بقي على الأرض استعمار واستعمارين وأميراليون يحملون باستعادة سيطرتهم على العالم واستئناف نشاطهم غير الانساني في قهر الشعوب واستغلال ثرواتها ، ولذلك فهم يتربصون الفرص ، بل ويحاولون صنعيتها كلما كان هذا ممكنا ، من أجل معاودة ما فشل في تحقيقه هتلر . ولهذا تقوم السياسة الاعلامية السوفيتية على منطق واضح لكل ذي ادراك ، وهو أن المسالم القوى الواعى احق بالحياة الحرة من المستسلم الضعيف . وهو منطق بسيط ومقنع .

وشاهدت نوعا آخر من اللافتات تحمل صورا فوتوغرافية كبيرة لأبرز العمال والموظفين الذين يحمل كل منهم لقب « بطل العمل الاشتراكي » . وفي نهاية الطريق كانت هناك بركة كبيرة - تكاد تصبح بحيرة - تموج بالحياة ، شباب بملابس السباحة وفتيان وفتيات يشغلون جانبا من بداية البحيرة ، وعلى الشاطئ اقيم سقف يظل تحته مساحة لتناول الطعام والمشروبات المثلجة .

وعلى طول هذا الشاطئ شاهدت « شايخانات » ومطاعم ومقاه خشبية يجلس فوقها المتفرجون على البحيرة التي يتوسطها تمثال كبير لعروس البحر ، والزوارق البخارية تمرق من حوله ذهابا وجيئة . وأسلمنا هذا الشاطئ الى دغل آخر كثيف الاشجار كسابقه ، وفي موضع منه شاهدت ارجوحة على هيئة طائرتين مرفوعتين الى أعلى عامود ضخمة وهي عندما تدور يصدر منها صوت يظل يتزايد حتى يصبح كإنه أزيز الطائرة ، والطائرتان تدوران بسرعة كبيرة نسبيا مما يعطى للأطفال تجربة الطيران من أولها . وكم وددت لو أن هذه الفرصة كانت أتاحت لي عندما كنت صغيرا .

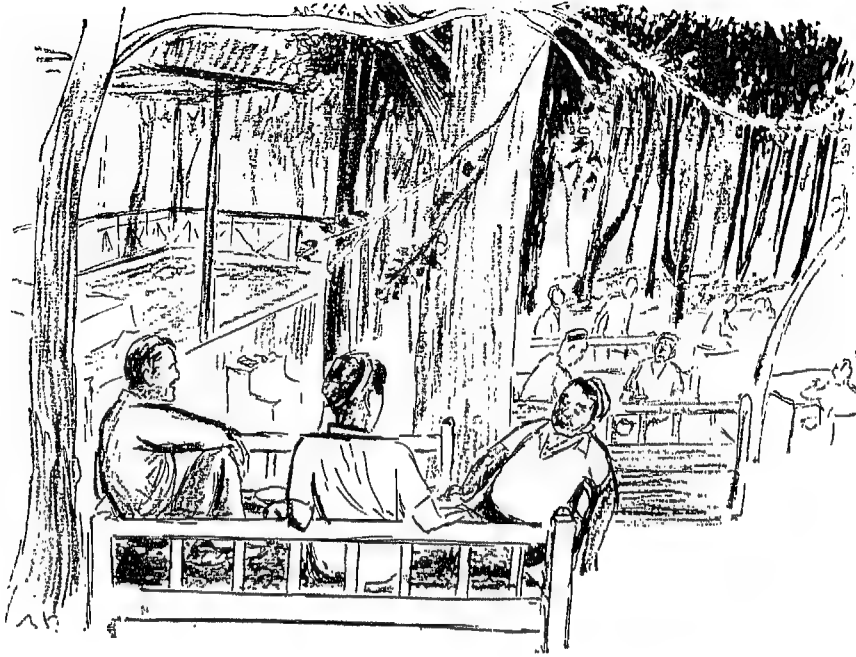
وبغير توقع وجدت أمامي منظرا شدا انتباهي له من أول نظرة . رأيت وسط الأشجار العالية مساحة من الحديقة وضعت فيها أرائك كبيرة يبلغ طول الواحدة مترين في مترين ، ولها حاجز من جوانبها الثلاثة يجلس عليها المواطنون يتحدثون ويشربون الشاي ، وللتو حضرت في ذهني صورة سبق أن قرأت عنها في قصص ألف ليلة وليلة ، عندما كان رجل فقير .

الشاي الأخضر في إحدى الشايخانات



يسير في يوم قائف فاذا به امام بستان وارف الظلال فدخله وسار في دروبه فاذا به يرى اريكة مفروشة بالوسائد فتمدد عليها واستسلم لنوم عميق ونسط حفيف الشجر حين يداعبها النسيم ورفرفه العصافير وزقزقتها ، ثم هب من نومه مدعورا على صوت يقترب فاخترأ خلف الاريكة واخذ يطل برأسه خلفه على موكب مقبل بين الاشجار لحساء محمولة على محفة بين اربعة من الزنوج المفتولى العضل ومن حولها جوقة من الحسان يعزفن على آلات موسيقية الحانا عذبه ، وعندما اكتشفوا امر الرجل المختبىء امسكوا به ، وافقت من هذا الشرود ، بعد أن عثرنا على اريكة في اقصى « الشايخانة » مفروشة ببساط فوقه « طبلية » مربعة فجلسنا حولها ونحن نجيل ابصارنا في الجو اللطيف الذى كنا فيه .

ولم يمضى وقت يذكر على مجيء الشاي الأخضر حتى لمسح « بوريس » شخصا يعرفه مع بعض اصحابه . وقد تعرفنا عليه - وهو يعمل بمحطة اذاعة طشقند - وشاركونا في جلستنا ، او بالاصح ، اصبحنا نحن ضيوفهم . فقد لقيت منهم استقبالا جميلا وترحابا صادقا حقيقيا ، وهذه من الصفات الاساسية للشعب الاوزبكي فانت اذ طرقت اى باب تصادفه فانه بمجرد فتح الباب تلقى الترحاب القلبى وحسن الاستقبال . وكان على أن اعانى من



شايخانة « الانتصار »

هذه الضيافة ونحن في الشايخانة ، ذلك انى كنت قد تناولت افطاري متأخرا ، فلما جاء عامل الخدمة يحمل صينية نحاسية كبيرة فوقها نل من الارز واللحم يسمونه « الليلاف » حاولت الاعتذار عن المشاركة في الاكل ، فسمعت مضيفنا يقول نفس الذى نقوله فى مصر وبخاصة فى الصعيد :

(تبقى كبيرة .. لازم تشارك ولو ناى مقدار .)

واشتركنا فى استعراض التشابه بين عادات شعبينا . وانتقلت احاديثنا من موضوع لآخر ، حتى اظهرت اعجابى لهذا المكان ومقارنته بجو الف ليلة وليلة ، فقال احدهم ، انه يتذكر الآن كلمة قالها زعيم لأحد الأحزاب الشيوعية فى أوروبا ، حول واجبات العمل الاشتراكى ، وأنها تحويل الدنيا الى ما يشبه الجنة التى يحلم بها الناس المتدينون بعد الموت وأن الواجب ان تقام على الأرض بتحقيق العدالة الاجتماعية .

وقد استعرضت معهم خلال الحديث جوانب التطور فى الحياة الأوزبكية بعد الثورة ، ابتداء من القضاء على الامية تماما ، وتحرير المرأة ، والحفاظ على المستوى الصحى اللائق لحياة الناس ، وحق العمل لكل قادر ، الى رعاية الطفولة والشباب ، والتى تصب فى نهاية الأمر عند رفع مستوى معيشة الشعب الأوزبكى .

واختتم حديثه بتعليق حسم المناقشة حين قال :

واضح ان هذه التجربة الفريدة دليل عملى على أن إقامة الجنة على الأرض امل ممكن ، وان يتحقق الآن فى بلادنا الاشتراكية هو بداية لذلك .

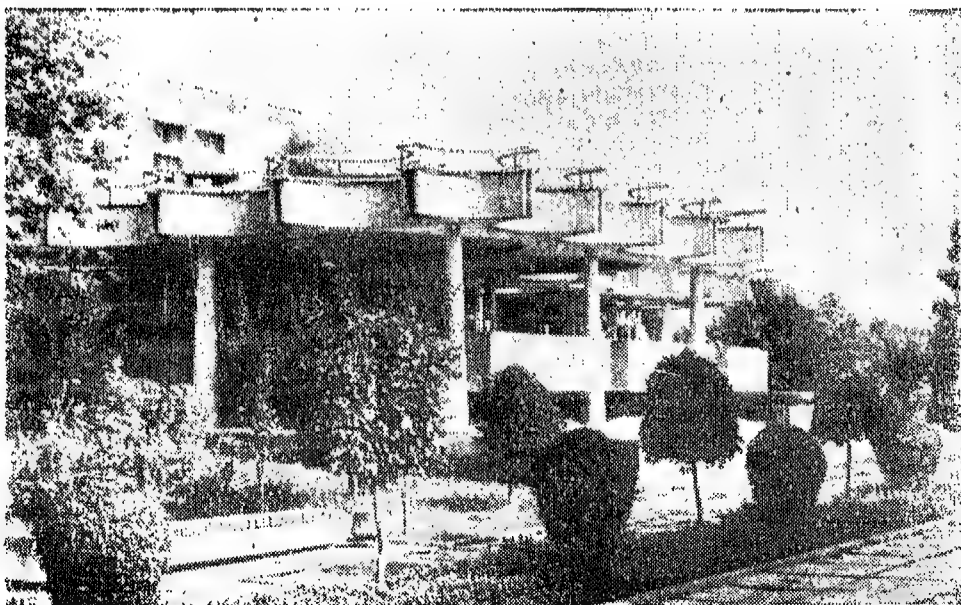
والتفت أحدهم وهو يشير الى المنظر الذى حولنا ويقول أن الاختلاف بين هذا والـف ليلة وليلة هو أن البساتين هنا متاحة للشعب وللشغيلة وليست لطبقة الاغنياء وحدهم .

♦ التضامن الاشتراكي

تعتبر التجربة الاوزبكية فى بناء الاشتراكية مثالا واضحا على ما يمكن أن يحققه التعاون الاخوى بين جميع الجمهوريات السوفيتية . الثورة الاوزبكية قد استفادت اكبر فائدة من دعم الجمهوريات الأخرى فى الاتحاد السوفيتى - وبخاصة جمهورية روسيا - فى التخلص من حكم الرجعية المحلية هناك ، وفى القضاء على قوى الثورة المضادة التى اشعلت نار الحرب الأهلية ، وفى التخطيط للتحويل نحو الاشتراكية فى الصناعة والزراعة والثقافة ومحو الامية وسائر احتياجات التحول الاساسية .

وعندما وقع زلزال ١٩٦٦ هبت الجمهوريات السوفيتية لتمد يدها بالـعون المطلوب حتى اعيد بناء طشقند فى زمن خيالى وعلى أحدث طراز فى العالم .

فبفضل هذا التضامن الاخوى قامت الجمهورية الاشتراكية السوفيتية فى اوزبكستان ، وبفضله تتم كل انجازات التطور العلمى ايضا .



شاىخانة حديثة فى قلب طشقند

لهذا ، فان النظرة الواعية التى تسود وتنتشر بين جموع الشعب الأوزبكي تضع الأهمية الأولى فى حياتها اليقظة ، التضامن هذه ، حماية لما تم انجازه ، وأملا فى مز

ولنأخذ مثالا على ذلك .

فالمعروف أن أربعة أخماس أراضي آسيا الوسطى صحار غير مزروعة وغير قابلة للزراعة لعدم توفر الماء الكافى . وقد أعلن أخيرا عن مشروع جبار ، لتحويل مياه سيبيريا التى تتألف من ثلاثة أنهار هى (أرطيش ، وأوب ، وئانيسيه) وبدلا من أن تصب فى بحر الشمال يتم توجيهها جنوبا حتى جنوب « كازاخستان » لتنضم الى نهر « سيجون » فى منطقة طشقند . ثم تتجه نحو « سمرقند » وتتجمع فى نهر « زرفشان » ، ثم تنعطف شمالا فى مجرى النهر القديم « اقجه دريا » ثم تنضم أخيرا الى نهر « جيحون » عن طريق قناة طولها ثلاثة آلاف كيلو متر بعرض من ٤٠٠ الى ٥٠٠ متر وبعمق بين ١٢ و ١٥ مترا . أن مثل هذا المشروع سوف يقلب موازين القوى الانتاجية بالمنطقة تماما . فسوف يساعد على استصلاح ملايين الهكتارات ، كما سيضيف الى الرقعة المسكونة عديدا من المدن لا بد وأن تنشأ فى الاراضى التى كانت صحارى غير مأهولة بالسكان من قبل .

هذا علاوة على الانشاءات الصناعية التى ستقام على طول القناة ، مثل مصانع الأسمنت والتجهيزات الصناعية الأخرى التى تدخل فى بناء القناة . فكل هذه المراكز الصناعية سوف تقام لتعمل - حتى بعد انشاء القناة - وهذا اضافة كبيرة الى مؤسسات الانتاج الصناعى .

فضلا عن ان هذه المراكز الصناعية سوف تقام فى جمهوريات أخرى سوفييتية ، وهى التى تمر القناة فى أراضيها .



أرض الأساطير



• أسطورة الكارناي

في بعيد الزمان كان يعيش رجل فقير وله ولدان ، وعندما حان وقت موته دعا ولديه وقال لهما :
يا ولدي قريبا ستكونان وحدكما ، وأرجو أن تعيشا في صداقة وتعاون معا وقت الشدة .

ثم مات ، وعلى الفور بدأ النزاع بين الأخوين على الميراث .
وفي يوم من الأيام ، رأى الأخ الأصغر في منامه حلما هذا ملخصه :
اقترب منه أبوه وقال له - يا بني أرجو منك أن تعطى لأخيك الكبير كل شيء لأنه يعول الأسرة وانت خد « الكارناي القديم » (وهو مزمار كبير)
واذهب وتجول في الدنيا وانفخ فيه لأصحاب الهموم والسرور ، وستحصل بهذا على سعادتك .

وعندما استيقظ من النوم ، نفذ الأخ الصغير وصية والده وأعطى جميع ما يملك إلى أخيه ، ثم أخذ « الكارناي » وانصرف .
و ذات ليلة وجد نفسه في حفرة تحت سطح الجبل فقرر أن ينام فيها تلك الليلة ، ولم يكن يعرف أن الشياطين تسكن فيها وانها تخفى داخلها كنوزا وجواهر وذهب . ولما اظلم الليل تجمع الشياطين في المفارة وأخذت تتحدث بافتخار عن الذي عمل في هذا اليوم .

أنا - هكذا قال الشيطان الأول - ذهبت بعقل ابنة أحد الملوك وحتى

لا يمكن من علاجها ، خصصت اثنين من الجن الغير مرئيين لكى يرقباها
ليل نهار حتى لا يؤثر اى دواء فى علاجها .

يقال الشيطان الثانى وكيف يمكن تخليصها من مرضها ؟
فأجاب الشيطان الأول - عندما يدوى صوت « الكارناى » بقربها
فجأة ، يخاف الجنيان ويهربان ، وتعود البنت الى طبيعتها فى صحة
جيدة .

وجاء كبير الشياطين وصاح - بوف .. بوف .. أنا أشم رائحة
انسان .. ألا يشعر أحدكم بذلك ؟



وتفرق الشياطين بالمغارة وسحب الى وسطها الشاب وهو يرتعد
خوفا . وصاح كبير الشياطين :
- سنمزقه الآن اربا اربا .

ولكن الشاب لم يرتبك وتناول الكارناى ونفخ فيه ، فارتبكت الشياطين
وقدفت بما تحمل من اموال وكنوز الى الارض وفرت هاربة .

وفى الصباح اشترى الشاب من المراعى اربعين جملاً وأربعين حمرا

وشحن صناديق وأوعية الجواهر فوق ظهورها وعاد الى بيته ورأى أخاء في حزن عميق جالسا على باب البيت وهو يندب حظه بعد أن ضاعت أمواله وأصبح فقيرا وأولادهم جياع . فطمأنه الأخ الصغير وقدم الى أخيه الأكبر الأموال الكثيرة ثم أنصرف حاملا مزمارة - « الكارناى » ليواصل تجوله فى أنحاء الأرض .

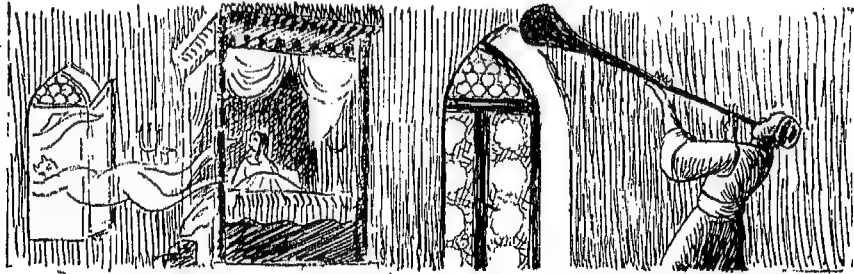
وهكذا أخذ ينتقل من قرية الى أخرى وهو ينفخ بالكارناى فى حفلات الزفاف حتى وصل الى مدينة يفمرها الحزن وتعيش فى صمت عميق ، وعرف أن السبب هو أن بنت الملك ووحيدته مريضة منذ سنين ، لا تأكل ولا تشرب ولا تنطق بكلمة ولم تشاهد على وجهها ابتسامة ، ولذلك أمر الملك بمنع الأغاني والألعاب والضحك والأفراح ، كما أنه وعد بان يتنازل عن نصف ملكه لمن يقدر على شفاؤها بعد أن عجز كل الأطباء عن ذلك .

وسمع الشاب هذه الكلمات فذهب الى القصر وقال للملك :
- سأعالج ابنتك .

وأخذه الملك الى حيث رأى الأميرة راقدة ، فطلب الشاب من الحاضرين أن ينصرفوا جميعا ، فلما خرجوا تناول مزمارة ثم نفخ فيه بقوة ، وما كاد الجنيان يسمعان صوت الكارناى حتى تملكهما الخوف فانطلقا هاربين ، وعاد للأميرة صوابها وصحتها كما كانت .

وعرض عليه الملك نصف مملكته ، ولكن الشاب رفض الأملاك وطلب من الملك أن يسمح له بالنفخ فى مزمارة على الشعب الذى حرم سنين طويلة من سماع الموسيقى .

وانتشر خبر شفاء الأميرة فى جميع أرجاء المملكة وبدأ الأمراء يتوافدون



على قصر الملك لطلب يد الأميرة ، ولكنها كانت ترفض لأن قلبها تعلق بالشاب الذى أنقذها .

يابنتى - قال لها الملك الأب بحزن - لقد شاب شعرى وليس لى وريث . وليس هناك حل سوى أن تذكرى اسم الشاب الذى يناسب مقامى وعرشى، ليتزوجك .

وردت الأميرة - يا أبى . أصدر امرى الى جميع الرجال الساكنين فى
أراضينا أن يمروا تحت شباك القصر وسوف اختار الذى يناسبنى .
ووافق الملك ، وبدأ رجال البلد يمرون تحت شباك القصر ولكن لم يقع
اختيارها على أحد . وسال الملك :
هل بقى هناك آخرون ؟
وقال الحراس - قد مر جميع الرجال ما عدا الشاب الفقير عازف
الكارناى .
ودعا الملك الشاب وسأله عن سبب تخلفه عن المرور مع الرجال تحت
القصر .
وقال الشاب - قد مر أمام عيون الأميرة أغنى وأشهر الفرسان وقد
رفضتهم جميعهم . أما أنا عازف الكارناى الفقير فكيف أجرؤ على الدخول
فى منافسة مع الأغنياء .
ولكن الملك رفض أن يسمع حجته وأمره بالمشى تحت شباك الأميرة .
وما كادت نظرات الأميرة تقع عليه حتى قذفت اليه بزهرة ، وهذا هو
التعبير عن قبولها له .
واستمر الاحتفال أربعين يوما وأربعين ليلة فى زفاف عازف الكارناى
والأميرة .





أسطورة ماء الخلود

في قديم الزمان احتل الاسكندر ذو القرنين العالم بأجمعه ولكن في احدى غزواته بدأت جروحته تؤلمه وشعر بدنوه أجله فدعا أحد الأطباء المصاحبين له وقال :

— قد حان أجلي ولكنني لا أريد أن أموت . بل أريد أن أعيش وأظل ملكا على البلاد التي فتحتها الى الأبد ، فابحثوا عن العقاقير التي تمد في عمري وتطيله قرونا وقرونا .

وفكر أشهر واذكى الأطباء في ذلك ثم نصح الاسكندر بأن يشرب من ماء الحياة الذي يتدفق من باطن الجبل في عين تقع بالاراضي البعيدة ، ويقال أن من يتذوق منها قطرات معدودة يعيش الى الأبد .

وأمر الاسكندر فحملوه على محفة وأخذ الجنود يسرعون به في طريق يمر داخل غابة من الأشجار الظليلة تحميه من أشعة الشمس المحرقة ، كما كانت النباتات السائكة تحميه من الرياح الساخنة اللافحة ، حتى وصلوا الى جوار العين فوضعه الجنود ثم انصرفوا .

واستيقظ الاسكندر وغرف الماء بالمفرقة الذهبية وما كاد يقربها من شفتيه حتى ظهر أمامه رجل نحيل أشيب مخنى الظهر وقال هامسا :

— يا بني ، اذا شربت الماء من هذا المصدر فسوف تصبح خالدا .
فرد الاسكندر بحدة — ولكنني أريد ذلك .

وقاطعه العجوز — لا تستعجل يا بني . أولا استمع الى حكايتي . فمئذ ثلاثة آلاف سنة سيطرت بجيوشى على جميع الدول التي كانت موجودة

فوق الأرض وقتها وكان العالم كله تحت قدمي ، ولم يكن أحد من الناس يجروني على أن يرفع نظره نحوي . وفي ذلك الحين قررت أن أكون خالدا لكي أظل آمرا واحكم الشعوب والدول . وشربت من هذا المصدر . وما كان يمر ١٠٠ سنة فقط حتى أصبح اسمي ملعونا في كل البلاد . والآن عندما اقترب من الناس وأذكر لهم اسمي يبصقون في وجهي ويطلقون على القاب « السفاح وقاطع الطرق » وذلك لأنني نشرت الشرور في وجه الأرض كما فعلت أنت .

وفجأة اختفى العجوز وبقي الاسكندر غارقا في تفكير عميق ، وأخذ زجاجة صغيرة كان قد مألها بالماء ووضعها في قميصه عند صدره ونادى على الجنود أن يحملوه للعودة الى داره . وكان الموت ينتظر الاسكندر في الطريق .

وبعد قليل توقف الجنود ووضعوا محفة الاسكندر في ظل ثلاثة اشجار « القره أغاتش » (ومعناها الشجر الأسود) وأخرج الاسكندر القارورة من صدره ، ثم تراجع عن شرب ماء الخلود ، وسكبه على الأرض .

ومرت القرون على هذه الأرض ، فاذا بالأشجار الثلاث السوداء تخضر أوراقها وسط الحقول الضامئة لتهدى المسافرين المرهقين من شدة الحر ولتمنحهم بعض الظلال والمأوى .

ان تعلق الأوزبيكيين بالأساطير واهتمامهم بتناقلها جيلا بعد جيل : عادة قديمة نشأوا عليها وتوارثوها أبا عن جد ، ذلك أنها كانت دائما تحتوى على نوع من الحكمة يسترشد به الناس في تربية أولادهم ويستخلصون منها

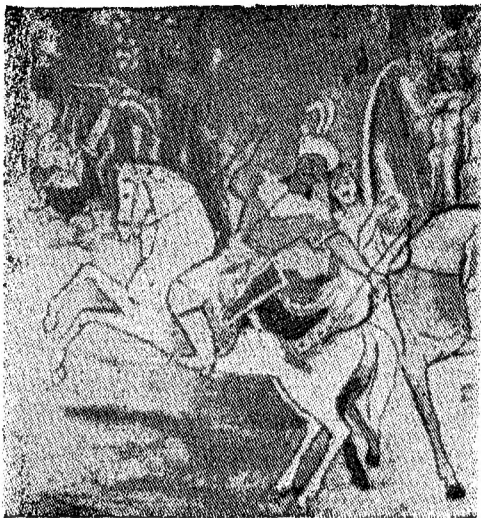


مبادئ انسانية وأخلاقية . ولست معنيا بدراسة محتوى هاتين الأسطورتين باستفاضة ، ولكنى أعرض بهما نموذجا يفيد في التعرف على الصفات التي يتميز بها الشعب الأوزبكي ، من عراقة تاريخ وانجذاب نحو الخير للبشرية ، كما تدل اسطورة ماء الخلود . وكما تدل على قوة الفن والثقافة وعمق التأثير في نفوسهم ، وهو بعض ما تدل عليه اسطورة الكارنای . وإكاد أتصور اليوم الذي تختفى من حياة الناس تماما كل الأساطير ولا تصبح سوى مجرد تفسير الماضى والبحث عن الفرائب التي عاشت في ظلها الشعوب السابقة . أكاد أتصور أن الأسطورة عندما تختفى فسوف تحل محلها بالضرورة اسطورة من نوع جديد ، اسطورة الاشتراكية التي قامت في أوزبكستان وفرضت وجودها لتغير من مصير ملايين البشر وتنقلهم من عصر التخلف والتأخر الى العلم والتكنولوجيا الحديثة ، في زمن كان اهل الخبرة والتجربة من العلماء يعتبرونه - وما زالوا يعتبرونه - امرا في حكم المستحيل ولكنه تحقق بالفعل .

وهذه هي المعجزة .



من رسومات الفنان الاوزبيكي شينغيز آخمروف



صدر أخيراً :

- | | |
|--|-------------------------------|
| ٤ - الأمن الأوروبي والشرق الأوسط | ١ - الصهيونية |
| تأليف - حسين فهمي | ودورها في السياسة العالمية |
| | تأليف - هايمان لومر |
| ٥ - التعايش السلمي وحركة التحرر الوطني | ترجمة - محمد مستجير مصطفى |
| تأليف - حمدي عبد الجواد | ٢ - مخطوطات كارل ماركس |
| | ترجمة - محمد مستجير مصطفى |
| ٦ - الأمن الآسيوي والشرق الأوسط | ٣ - الحروب والسكان |
| تأليف - فؤاد عبد الحليم | تأليف - ب . أورلانيس |
| | ترجمة - سعد رحى - أحمد القصير |
| ٧ - القرية المصرية | |
| تأليف - فتحى عبد الفتاح | |

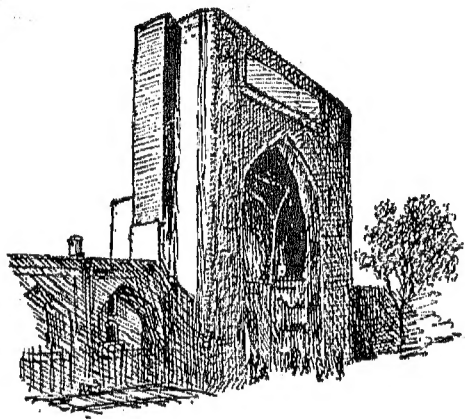
_____ • _____

الناشر : دار الثقافة الجديدة

٣٢ شارع صبرى أبو علم - القاهرة

ت ٥٨٧٨٠ - ٥٨٤٧١

شع من التاريخ
في وزيكستان بحير
الشايخانة المقلوي
مات الاشهار القهري تيا الاشتر اليه سرقة الاعشى أسهل
سمرقند عمرها ٢٠ عام
الثقافة مع الدين
مصارعة الزلازل



نقد أمر القاضي ولا تفعل مثله
الإمام البخاري
مراسيم دفن الأممية
مع استقرار العالم مختار أشرفي
داد الثقافة الجديدة
مساكنها مير النمن ٤ قرشاً
مخرا من الذهب
الدين عبد الحية في يد الجهادي